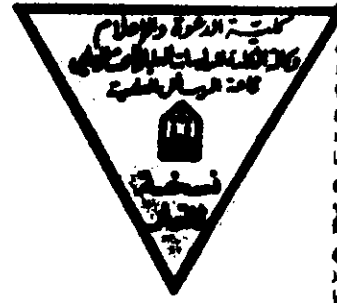


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



ضرورة الحسبة للمجتمع الإسلامي

موضوع رسالة لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

إشراف فضيلة الشيخ : صالح بن عبدالرحمن الأطرم

الأستاذ المشارك بكلية الشريعة بالرياض

مقدمة من الطالب

عمر محمود عمر

بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية

قسم الحسبة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثبت بموضوعات الرسالة

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة : وقد اشتملت على النقاط التالية :- • اصر في طلب العلم .. • جامعة إمام وما أحدثه للعلم وطلابه . • اختراع المعبر العالم للدعوة الإسلامية، وتهيئته للدراسه . • توضيح الله في اختيار الشرف والموضوع . • أهم أسباب اختيار الموضوع .	١
التمهيد : وقد اشتمل على النقاط التالية :- • الأسس الذي بنى عليها المجتمع الإسلامي على يد رسول الله ﷺ . • ضرورة المحبة للمحافظة على هذا المجتمع . • ما يؤدول إليه المجتمع الإسلامي إنه ترك الحجة . • لمرصه سريع لحظة الرسالة .	٦
الباب الأول	١٢
حول أساسيات البحث	
تمهيد : الفصل الأول : [التعريف بالمحبة]	١٣
تمهيد : تعريف المحبة لدى كتب المعاصم ..	١٤

الموضوع	رقم الصفحة
تعريف الحجة لدى الفقهاء :	١٨
٠-١ . باعتبار مهمة الحساب .	
٠-٢ . كلفه الحجة .	
□ إسلام كاتب الرسالة بتعريف للحجة .	٢٢
□ نظرة بعين الأئمة إلى شمول الحجة لأصول الدين وديننا	٢٤
أمرًا بالعرف ومنها عند المنكر .	
التعريف بالمعروف والمنكر .	٢٩
مراتب العرف والمنكر .	٣٥
مزية التعرف على هذا القدر .	٣٧
<hr/>	
الفصل الثاني : [المجتمع الإسلامي]	
• تمهيد حول علم الاجتماع في الإسلام والهدف منه	٢٩
• التعريف بالمجتمع الإسلامي .	٤٠
• ركائز المجتمع الإسلامي وما ينبغي أن يكون عليه	٤١
• ذلك المجتمع من الالتزام .	
• المجتمع الإسلامي بآله ورسوله حاميته إلى الالتزام .	٤٨
<hr/>	
الفصل الثالث : [تكليف الضرورة]	
• تمهيد حول الحجة كعلاج لما سجد منه أدوار المجتمع الإسلامي .	٥٠
• تعريف الضرورة لغة .	٥١
• الرأي في تكليف الضرورة كما تراوت في .	٥٢
• تصنيف الضرورة بأنواعها على الحجة داخل المجتمع الإسلامي .	٥٤

الموضوع	رقم الصفحة
• محتسب سد آل فرعون .	٨٥
• احتساب امرأة فرعون .	٨٧
• المرحلة الثانية : خروج موسى ومع بني إسرائيل والدعوة فيهم وفي هذه المرحلة :	٨٩
• نزعة الشرف على فلوله ليهود	٨٩
• اليهودية بلاس واليوم .	٩٠
• موقف اليهود من الأتباع والخصم .	٩١
• الأتباع والخصم من الاحتساب	٩٢
• المرحلة الثالثة : الاحتساب مع أهل الكتاب بعد ظهور الإسلام وفي هذه المرحلة :	٩٦
• عموم رسالة المحمدية والحلال	٩٧
• موقف أهل الكتاب من الإسلام .	٩٩
• الحجة عليهم داخل المجتمع الإسلامي .	١٠١
• محتسبون من أهل الكتاب .	١٠٢
• خاتمة الباب ثانياً وفيه :	١٠٦
• نتائج دراسة طيبة في أيام سابقة	
• الرد على من رأى أنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يلبس إلا لذة محمد <small>صلى الله عليه وسلم</small> أو ذلك في كتاب : مع إحصائية والحلة والبرهنة (في غير أمر آخره للناس	١٠٩

الفصل الثالث [طيبة في الإسلام]

- تمهيد في مكانة الأمة المحمدية .
- مكانة الحجة في الإسلام .
- لسان شرعي لفردية الحجة .

١١٦

١١٨

١٢٠

الموضوع	رقم الصفحة
• الفرد والجموع .	١٤٩
• لا تملأ منه في الاعتصام .	١٥٠
• الاعتصام على المرافقة العامة والأجهزة الإدارية .	١٥١
• أثر هبة الأفراد في المحافظة على المرافقة العامة .	١٥٢
• الاعتصام على الموظفين بأجهزة الدولة .	١٥٨
• الصبر على الاعتصام .	١٦١
• هبة الراعي على الرعية .	١٦٢
—	
<u>الفصل الثاني [الاعتصام على أول الأمر]</u>	١٦٧
• تمهيد اتجاهات الفقهاء في الحبة على أول الأمر	١٦٨
• كطاعة أول الأمر .	١٧١
• واجب الحاكم فيما استرماه الله فيه .	١٧٥
• ضرورة الاعتصام على عالم المجتمع بوسائل	
• آداب الحبة على أول الأمر ..	
• الخلة من الاعتصام • متى يحتجب عليه • من له الاعتصام • على الحاكم	
—	
<u>الفصل الثالث : [المنكر الموجب للحبة]</u>	١٨٧
• تمهيد في أثر فعل المنكرات على المجتمع بوسائل .	١٨٨
• هدر المنكر وأنواعه ..	١٩٠
• التثبت قبل الاعتصام وقد شمل :	١٩٦
• التثبت من وقوع المنكر	١٩٧
• الرأي في التمسس واقتران البيوت .	١٩٩
• التثبت من أنه ما وقع من قبيل المنكر .	٢٠٤
• من كونه منقلب المنكر يعرف أنه منكر .	٢٠٦
• مقاومة المنكر :	٢٠٧

الموضوع	رقم الصفحة	
• تمهيد .	٢٠٧	
• الفرق بين تغيير المنكر والنهي عن المنكر .	٢١٠	
• مراتب تغيير المنكر .	٢١٢	
• النهي عنه المنكر .	٢١٥	
• تنبيه .	٢١٨	
—		
<h3>الباب الرابع</h3>		٢٢٠
—		
<h3>حماية الحبة للجموع الإسلامي من المفاسد الوافدة</h3>		
—		
• تمهيد : و فيه : -	٢٢١	
• الصراع الدائب بين المحمد الباطل .		
• وفود الأوصياء على الجزيرة العربية .		
• وفود التبعية والفتنة والبدع .		
• مؤامرات الأعداء ووسائلهم المتجددة .		
—		
الفضل الأول : [لإعتاب على غير مسلميه داخل المجتمع الإسلامي]	٢٢٨	
• تمهيد .	٢٢٩	
• التعريف بغير مسلميه :	٢٣١	
• أصل الذمة .	٢٩٢	
• المتأمنون .	٢٣٤	
• دعوة غير مسلميه الإسلام داخل المجتمع الإسلامي .	٢٣٧	
• دور العلماء في هذا الميدان .	٢٣٨	

الموضوع	رقم الصفحة
• وسائل إلهتساب لدعوة غير المسلمين	٢٤٠
• عرصه الإسلام علميا بالسلوك	٢٤٠
• الإلتصال المباشر « أقوى وسائل الإلتصال »	٢٤٢
• « غير المباشر »	٢٤٦
• سلبيات الدعوة لغير المسلمين	٢٤٦
• فلنأخذ هذنا	٢٤٩
• دور أول الأمر في إلهتساب علم غير المسلمين	٢٥٢
—	
الفصل الثاني : [إلهتساب على الإعلام]	٢٥٥
• تمهيد في تأثير وسائل الإعلام على عقائد إنسان وسلوكه	٢٥٦
• التعريف بالإعلام • الإعلام قديما وحديثا (صفحة ٢٦١)	٢٥٩
• إلهتساب الإعلام	٢٦٥
• موقف المسلمين	٢٦٦
• أهداف إلهتساب داخل المجتمع الإسلامي	٢٦٧
• الوسائل الإعلامية وتأثيرها وما ينبغي أن تكونه عليه	٢٧٠
• وكالات إلهتساب	٢٧١
• البرزاعة وأجهزة إلهتساب	٢٧٢
• الصحافة بأنواعها	٢٧٢
• التلفاز (والفيديو)	٢٧٥
• الكتب	٢٧٩
• كلف إلهتساب على أجهزة الإعلام	٢٨٢
• توصيات	٢٨٤
—	
الفصل الثالث : [إلهتساب على التعليم]	٢٨٥

الموضوع	رقم الصفحة
• تمهيد وفيه فضل لعلم وقترلة .	٢٨٦
• الهدف من التعليم في الإسلام .	٢٨٩
• ما يحاسب عليه في مجال التعليم :	٢٩٢
• ما يحل بالعقوبة - وأصله	٢٩٢
• .. بالأخلاق والسلوك - وأصله	٢٩٤
• .. بالتاريخ الإسلامي . وأصله	٢٩٥
• المحاسبون على التعليم .	٣٠٠
• الاعتناء على تعليم المرأة .	٣٠٥
• ثمرة الاعتناء على التعليم .	٣٠٧
<h2>خاتمة</h2>	
• تمهيد : وفيه :-	٣٠٩
• إصلاح المجتمع الإسلامي مسئولية المسلمين جميعاً .	
• مقاومة المنكر تنشط المجتمع وتهيئته .	
• ليس في المحتب شروط تعوقه عنه إلاهتياً بل هناك آداب مرغية .	
• آداب الاعتناء :	٣١١
• التناسب بين العلم والعمل ونشائج طلبها	
• الآداب التي تؤدي إلى الثمرة من الاعتناء :	
• تقوى الله .	
• إخلاصه لئنه والعمل .	

الموضوع	رقم الصفحة
<ul style="list-style-type: none">• العلم بفضله وإعتنا به .• التواضع بالحمد والصبر به لإعانة أولاد• اللب والرفق .• إستر في موضعه ، وإشهر في موضعه .• الجرأة في العمل .• الصبر : أنواعه ودرجته .• القدوة الحسنة .	
<p style="text-align: center;">• تنبيهان :</p> <p>الأول : إعتنا لا يتعطل إذا فقدت هذه الآداب .</p> <p>الثاني : لجنة التنفيذ يجوز تلويح سبيل أفراد المجتمع لإسلام - في الأحياء والقرات .</p> <p>بشرط عدم التعارض مع السلطات .</p>	٢١٧
<p style="text-align: center;">• تلبية الطائف : رجاء ودعاء</p> <p style="text-align: center;">-</p> <p>وعلمه به وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى صحابته أئمة المتقين ، ومنه تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أنه الحمد لله رب العالمين</p>	٢١٩

الحمد لله رب العالمين ، شرع لعباده ما يسعدهم في الدارين من القول والعمل ، وصلى الله وسلم على خاتم الانبياء والمرسلين القائل : " إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنة رسوله " (١) صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الهداة، واتباع المهتدين ، ومن سار على سنته ودعا بدعوته الى يوم الدين . أما بعد . . .

فقد يسر الله لي أن أسمى إلى العلم طالبا ، بعد فترة طويلة من التخرج في "كلية دارالعلوم" ، جامعة القاهرة ، وما أعقب ذلك من مشاغل ، حالت بيني وبين ما أحب من طلب العلم . لكن "أعذب الوصل بعد طول بقاء" - كما يقولون - وإذا تهيأت الظروف جذبت الراغبين ، وأفسحت المجال لمريدي العلم " ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين " .

ولقد كانت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ولا تزال تعمل على نشر العلم النافع ، والعمل المشرف ، كواحدة من أكبر مؤسسات التعليم ، في دولة تحرص كل الحرص على العلم وطريق تحصيله ، والدعوة ووسائل نشرها، في الداخل والخارج ، ففتحت باب التعليم لأبناء المسلمين في شتى بقاع الأرض ، وأعدت في هذا المجال بسخاء ، حتى صارت جامعة الامام منارة هدى ومجمع علم ، التقى فيه المشرق بالمغرب ، والعرب بالعجم ، إخوة في الله ، حيث لهجت اللسان بلغة القرآن الكريم ، وغصت القاعات بالدارسين والباحثين ، من الفرق التي نفرت من بلادها كي تتفقه في الدين ، ثم تقوم بنشر الدعوة اذا رجعت الى قومها إن شاء الله - أو من الذين وفدوا لفرض آخر فهياً الله لهم فرصة تحصيل العلم فاغتنموها . جزى الله أولى الأمر في هذا البلد الكريم خيرا ، ووفقهم دائما الى ما يحبه ربنا ويرضاه .

وكان افتتاح المعهد العالي للدعوة الاسلامية عام ١٣٩٧/٩٦ عملا رائدا في مجالات التخصص بالدراسات العليا لتخريج الباحثين والعاملين في مضمار الدعوة الاسلامية . ان أحسن الدارسون تحصيل العلم وقطف ثماره، على أساس من تقوى الله ، والدعوة اليه على بصيرة .

ولقد هيا نظام الدراسة المسائية بالمعهد الظروف الملائمة للراغبين في تحصيل العلم ممن المشتغلين أثناء النهار بأعمالهم وكنت أحد هؤلاء .

ووقفت أمام شعبي المعهد (الحسية والاعلام) أتأمل مليا . . . ثم اتجهت صوب الحسبة ، والذي جذبني الى هذا القسم ، هو ما لنظام الحسبة في الاسلام من فاعلية وتأثير في مجالات

العلم والعمل ، والعقيدة والسلوك .

وقضيت بين قاعات المعهد ثلاث سنوات تمهيدية مكلمة يعون الله وتوفيقه، حيث اجتزتهم ———
ولله الحمد والمغفرة . . . وبعدها بدأت المشاورات والمناقشات حول موضوع رسالة الماجستير الذي
دار في دائرة الحسبة داخل المجتمع الاسلامي .

وكان من توفيق الله وفيض كرمه أن وفق القائمين على أمر المعهد لاختيار فضيلة الشيخ / صالح
بن عبد الرحمن الاطرم الاستاذ المشارك بكلية الشريعة بالرياض مشرفا على إعدادي لهذه الرسالة،
وعلى يد فضيلته تجمعت خيوط الموضوع، وتحدرت معالمه تحت عنوان وجد مكانته في نفسى
وهو: (ضرورة الحسبة للمجتمع الاسلامي) وتمت موافقة المسؤولين في
المعهد على ما تم اعداده من خطة هذا الموضوع .

وجزى الله فضيلة المشرف خيرا وأحسن اليه . فمن أول لقاء وجدت منه الأنس والفائدة . ولقد
فتح لى الشيخ قلبه وبيته ومكتبته . . . وبعد فترة غير قصيرة من متابعة فضيلته لما أقرأ ، كانت بلورة
الموضوع واعادة صياغته وترتيب بعض أبوابه وفصوله .

ثم بدأت مرحلة الكتابة ، فبذل فضيلته النصائح والتوجيهات في غير ملل - وكم كرر على: أن آخذ
لب العلم، وفق المسألة، وألا أهتم كثيرا بالملح والاساليب والاندفاع وراء العاطفة الا على أساس
من عناصر واضحة : الى غير ذلك من التوجيهات ، التي أرجو الله أن أكون قد التزمت بها .

واننى أشهد الله أننى انتفعت كثيرا وفقنى الله اليه من علم الرجل وفقهه، وكانت احمدى
النتائج أنه - أكرم الله - خلى قلبي من عيوب كثيرة ، وعلمنى كيف أصل الى المطلوب من أخصر
طريق وأنفعه .

ولاشك في أننى أخذت الكثير من وقته وجهده ، وكم ذهبت الى فضيلته على غير موعد، فاستقبلنى
بالبشر والحبور ، وهذا ما رأيته منه دائما .

ولا أطيل فيما لا يجب فضيلته من مظنة المديح ، كما لا أحسب أن أكون من المادحين . رغم
أن الشيخ فعل الكثير، والمخوف منه أن يحب الانسان أن يحمد بما لم يفعل .
كما أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أثنى على "زهير بن أبى سلمى" لأنه كان لا يمدح الرجل
إلا بما هو فيه .

ولئن كان الاسلام لحمة نسب، والعلم رحما بين أهله، فاننى أرجو الله أن أكون الابن البار لشيخى
الكريم، سائلا الله له المثوبة والبركة فى الدنيا والاخرة .

هــــــــــــــذا :

وهناك أسباب كثيرة جعلتني أقبل على موضوع الرسالة، وأنا أرجو من الله - والأمل فى الله كبير -
أن يوفقنى لتحقيق الهدف المنشود من هذا الجهد المتواضع ومن هذه الأسباب :

أن أثبت - يعون الله - أن شيوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو سمة الإيمان الغائصة بين المجتمع الإسلامي المستقيم ، ومجتمع النفاق المتقلب ، وقد قال الله في المجتمع الأول : " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " (٢)

وقال في المجتمع الثاني : " والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف " (٣)

والمنافق من عاداته نشر المنكر، والسكوت عن أهله، وإشاعة الفاحشة، وإخفاء المعروف، والغفلة عن الاحتساب تؤدي إلى عز مرتكب المنكرات ، وإضعاف المؤمن المحتسب، بل ربما أدى ذلك إلى قلب الموازين، فيرى الناس المحتسب فضوليا . وقد روى عن الإمام أحمد بن حنبل : أن المنافق إذا اختلط بأهل الإيمان فأشمرت عدواه ، صار المؤمن بين الناس كالجيفة . . . لذلك روى عن سفيان الثوري قوله : إذا أسمرت بمعروف شددت ظهر المؤمن ، وإذا نهيت عن منكر أرغمت أنف المنافق . (٤)

ثانيا : بيان أن الإسلام ليس " بقيلة " وأن النطق بالشهادتين وحده لا ينجي . إذ لا بد من الاعتقاد والقول والعمل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قال لا إله إلا الله صادقا قلبه، حرمه الله على النار " وأن من دخل النار من أهل هذه الكلمة فلقلعة صدقه في قولها ، فإن هذه الكلمة إذا صدقت طهرت القلب من كل ما سوى الله ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه أنس رضي الله عنه " لا تزال لا اله إلا الله تنزع العباد من سخط^{الله} ما لم يؤثروا دنياهم عن صفقة دينهم، فإن أثروا صفقة دنياهم عن دينهم، ثم قالوا لا إله إلا الله، ردها الله عليهم وقال كذبتم " وذلك لأن المراد بالصدق في قول لا إله إلا الله العمل بمقتضاها . (٥)

(٢) التوبة : ٧١

(٣) التوبة : ٦٧

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : أبو بكر الخلال ص ١١٣ طبعة دار الاعتصام ، وأبو بكر الخلال هو : أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال المتوفى سنة ٣١١ هـ وهو المفسر وعالم الحديث واللغة والفقه والاصول . من أهل بغداد - كانت حلقة بجامع المهدي . قال ابن أبي يعلى : له التفاسير الدائرة والكتب السائرة وقال عنه الذهبي : جامع علم أحمد ومرتب . من كتبه : تفسير الغريب وطبقات الحنابلة ، والجامع لعلوم أحمد في الحديث قيل : لم يصنف في المذهب مثله . " الاغلام - الزركلي "

(٥) جامع العلوم والحكمة : للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي البغدادي من علماء القرن الثامن الهجري ص ١٨٤ طبعة الثالثة سنة ١٣٨٢ هـ شركة مصطفى الحلبي وابن رجب هو : زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن رجب بن الحسن بن محمد بن مسعود الإسلامي البغدادي الحنبلي . ولد عام ٧٣٦ ببغداد . وهو من بيت علم كان لجده حلقة علمية ببغداد وتتلذذ علوم أبيه ثم رحل في طلب العلم إلى مصر والحجاز، له ٢٧ كتابا و٨ مخطوطات وتوفى عام ٧٩٥ هـ (نقل عن ترجمته في كتابه "جامع العلوم والحكم" تقد يسلم

فان حقيقة التوحيد انجذاب الروح الى الله جملة . . . وأكبر من يقولون لا اله الا الله لا يعرفون الاخلاص ولا اليقين ومن لا يعرف ذلك ، يخشى عليه أن يفتن عنها عند الموت فيُحال بينها وبينه . . . (أ)

ثالثا : أن في ممارسة الاحتساب قضاء على الجانب السلبي ، في المجتمع الاسلامي ، واثبات أن الاسلام يدخل في شتى مجالات المسلمين ، وحياتهم العملية في السوق والمبيت والمدرسة والمسجد ، وغير ذلك حتى تتحقق مقاصد الشريعة الاسلامية التي بنيت على مصالح العباد . . . فليس الاسلام دين رهبانية ، كما أنه ليس ممارسة للحياة من غير قيد ولا شرط .

وتكليف الحسبة بهذا الشمول ، كما يريد الاسلام من اتباعه ، تترتب عليه نتائج مشمرة منها :

- ١ - اشاعة كلمة الحسبة ، بعد أن تضائل عدد العارفين بمدلول هذه الكلمة ، حتى لدى الأوساط المتعلمة ، في كثير من بلاد المسلمين .
- ٢ - ازالة بعض المفاهيم الخاطئة ، التي جعلت الحسبة مقصورة على بعض الجوانب دون الأخرى ، أو على فريق من المسلمين دون الآخرين .
- ٣ - اهتمام المسلم بأمر اخوانه المسلمين ، وفهمه الفهم الصحيح لما يستدل به البعض " خطأ من قول الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم " حتى وان ارتكبت المنكرات وضاعت الحقوق .

٤ - لعل في إشاعة مفهوم الحسبة وتكليف الاحتساب ، ما يدعو المسلمين الى العودة الى ما جرب في المجتمعات الاسلامية ، أثناء عصورها الاولى ، فكان خيرا وبركة على المسلمين - حلا لمشاكلهم ، وتعدى لا لسلوكمهم .

رابعا : رغبتى - بنور الله وتوفيقه - في إضافة جزء في مضمار الحسبة ، الى جهد من اعتنى بهذا الجانب من النظم الاسلامية والفقہ العملي . . . وذلك لتكثير سواد من ألفوا في الحسبة .

وقد تذكر أسماء كثيرة ممن ألفوا في الحسبة وشمولها لشتى مجالات الحياة . . . كما تذكر أسماء من قصروا تأليفهم على الحسبة في الأسوان والطرن العامة فقط .
وقد سجل التاريخ بعض علماء المذاهب من ألفوا في الحسبة مثل : أبي حامد الغزالي ، وابن الجوزي ، وشيخ الاسلام ابن تيمية ، وأبي بكر الخلال ، وابن النحاس ، وابن القيم ، وابن رجب وغيرهم من سيأتي التعريف بهم إن شاء الله أثناء الرجوع الى مؤلفاتهم .

(أ) أنظر ص ٦٦ من تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهّاب الطبعة الأولى .

وقد روى ابن الأثير في الكامل جهود الحنابلة في الاحتساب، بما يحقق لهم فضل اليقظة لهذا الغرض الضروري لإقامة المجتمع الإسلامي . وما جاء في الكامل في التاريخ : " وقد عظم أمر الحنابلة ، وقويت شوكتهم وصاروا يكسبون دور القواد والعمامة ، وإذا وجدوا مغنية ضريبوها وكسروا آلة الغناء، واعترضوا في البيع والشراء ، ومشى الرجال مع النساء والصبيان، فإذا رأوا ذلك سألوه عن الذي معه من هو ؟ فأخبرهم، ولا ضريبوه، وحملوه إلى صاحب الشرطة .

وقد كتب ابن الأثير هذا الكلام في وقت انتشر فيه القتل والفسق والفجور، حتى صار كل ذلك وغيره من المنكرات، يرتكب جهارا . (٦)

ولا غرو فقد كان إمامهم ابن حنبل، وبعده ابن تيمية وابن عبد الوهاب وغيرهم من علماء المسلمين أمثلة تحتذى في اتباع السنة وشدة المراقبة لسلوك المسلمين، وتطهير المعتقد من الخرافات والبدع . ((وحفظ المجتمع الإسلامي من البدع من أهداف الحسبة)) .

هذه بعض الأسباب التي قربت الموضوع إلى قلبي فسألت الله أن أوفق في إعطائه بعض حقه من القراءة والبحث والعرض .
والله ولي التوفيق . . . والقادر عليه .

=====

(٦) الكامل في التاريخ لابن الأثير ، المجلد ٨ ص ٣٠٧ وانظر من ص ٢٩٨ : ص ٣٠٧ طبعة بيروت ١٣٨٦م وصاحب الكامل هو : علي بن محمد الشيباني المشهور بعز الدين بن الأثير كما يعرف باسم ابن الأثير الجزري ، وهو ثالث ثلاثة أخوة عُرف كل منهم بناحية من العلوم وصار مرجعا فيها .

الأكبر: هو مجد الدين بن الأثير ونبغ في الحديث وأبرز أعماله " جامع الأصول في أحاديث الرسول" الأوسط هو : عز الدين بن الأثير ونبغ في التاريخ وأبرز أعماله بعد الكامل : "أسد الغابة في معرفة الصحابة" .

لما صغيرهم هو : ضياء الدين بن الأثير فقد نبغ في الأدب وأبرز أعماله: "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، وثلاثتهم من مراجع هذا البحث . (مقدمة، الكامل في التاريخ [

تمهيد :

لقد بُني المجتمع الاسلامي على أساس من التواصي بالحق والصبر، والتناصح فيما يعين على ترسيخ العقيدة وتحققين الشريعة الاسلامية قولاً وعملاً .

فبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكوين المجتمع الاسلامي، مع من ثبتت لديهم العقيدة ، فأخذ منهم البيعة، على أسس متينة يبنى عليها المجتمع الاسلامي . روى الامام أحمد رحمه الله في مسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في بيعة العقبة الثانية أن أحد المبايعين رضي الله عنهم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : علام نبايعك؟ ^{فقال:} تبايعونني على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم . . . فقاموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبايعوه على ما اشترطه من هذه الشروط " الحديث (٧)

وعن ابي الوليد عبارة بن الصامت رضي الله عنه قال : " بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ، وعلى آثرة علينا، وعلى الأنازع الآمر أهله ، الا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لانخاف في الله لومة لائم " رواه مسلم في وجوب طاعة الامراء وفي رواية الامام أحمد " وأن نقيم ألسنتنا بالعدل أينما كنا ، لانخاف في الله لومة لائم . " (٨)

هذه نقطة البداية للشروع في بناء مجتمع اسلامي ، على أسس يرضاها الله ورسوله وهي :

- ١- السمع والطاعة باتتباع الاوامر واجتناب النواهي .
 - ٢- أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر احتساباً لوجه الله وابتغاء مرضاته .
 - ٣- الطاعة لأولى الأمر حتى لا ينفرد تجمع المجتمع الاسلامي .
- وإن فعلى السمع والطاعة يقوم المجتمع الاسلامي ، وبمتابعه التنفيذ لأوامر الله ونواهيه ، يستمر المجتمع الاسلامي على صراطه مستقيماً .
- وهذه هي مهمة الحسبة في المجتمع الاسلامي مهمة تكوين واستمرار محدودة بهدف ذي ثلاث شعب :

(٧) مسند الامام احمد : ج ٣ ص ٣٢٢ ، ٣٤٠ ، ج ٥ ص ٣٢٥ طبعة المكتب الاسلامي للطباعة والنشر * وأنظر البداية والنهاية للامام ابن كثير ج ٣ ص ١٥٩ .

(٨) مسند الامام أحمد ج ٥ ص ٣١٨ ، وصحيح مسلم رقم ١٧٠٩ في الامارة .

(٩) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ابو عبد الله ويقال ابو محمد السلمي الانصاري

له صحبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - روى عنه سعيد بن المسيب ، وأبو سلمة

وعطاء . . . محمد بن ادريس التميمي الرازي (ج ٢ ص ٤٩٢ .

الشعبة الاولى : تعريف الناس بالمعروف والمنكر معرفة يحسها المسلم بقلبه ، ويراها ببصيرته ،
 " فالبر ما اطمأت اليه النفس ، والاثم ما حال في الصدر ، وتردد في القلب .

وذلك حتى لا يختلط الأمر فيرى الناس المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، وهذا مؤدب الى أسوأ
 النتائج . . . ولله در ابن مسعود عندما سمع من يقول : هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن
 المنكر " فرد رضى الله عنه قائلا : " هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر " (٩)
 وتحريير التعريف بهما ، ودقة تصورهما ، حتى يستقر في القلب ، ثم السلوك على معيار منهما
 في استمرار ومتابعة - واجب على أفراد المجتمع المسلم .
 وذلك لأن عرف البشر في كثير من الاحيان يظل يبتعد عن منهج الله ، ويعزب عن أوامره
 ونواهيه ، حتى يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا .

الشعبة الثانية : من مهام الحسبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسمع والطاعة في كل الظروف
 والملابسات " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب " (١٠)
 " من يطع الرسول فقد أطاع الله " (١١)

وما في أوامر الله ونواهيه هو منهج الله الذي شرعه لعباده ، وهم لن يضلوا أبدا اذا ساروا على
 ما في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام .

لكن بعض المجتمعات الاسلامية قد جهلت المعروف والمنكر ، حتى كادت تزول منها صفة الخيرية ،
 ولن يصلح الأمر الا بما صلح به أوله ، وهو : مزاوله جميع أفراد المجتمع الاسلامي لفريضة الحسبة ،
 حيث يفترون بالمعروف ثم يأمرون به - ويعترفون بالمنكر ثم ينهون . وحيث يرصد كل مسلم سلوك أخيه
 أو كل من يضمهم المجتمع الاسلامي ، خشية الانحراف وحفظا لشرع الله .

والشعبة الثالثة : تنبيه من فرط في أمر من أوامر الله ، وردع من اجتأ على حرمة من حرم الله ،
 بكل وسيلة ترد الأمور الى نصابها ، وترأب الصدع فورا ، إعمالا لقول رسول الله صلى الله عليه
 وسلم " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف
 الايمان " (١٢) .

كل ذلك في بقطة تامة ، وصرامة واعية تحفظ شعب الايمان من الترك أو الاهمال ، وتقاوم جرائم
 البدع والخرافات ، وتصد اغارة المذاهب الهدامة الوافدة " حتى لا تكون قفته ويكون الدين كله لله " (١٣)
 فكأن الحسبة في الاسلام جهاز الصيانة الدائم ، الذي يحول بين المجتمع الاسلامي وبين
 الضياع والتردى في مهاوى الرذيلة .

فاذا لم يتم ذلك بالحسنى والموعظة الحسنة ، فلا بد من التغيير العملي " بقدر الاستطاعة ولا عذر
 للمستطيع اذا فرط أو قصر .

(٩) جامع العلوم والحكم ص ٢٨١ طبعة ثالثة

(١٠) سورة الحشر ٧

(١١) سورة النساء ٨٠

(١٢) روى مسلم (رياض الصالحين) ج ١ ص ١٧٤ - دار العلم بيروت ، ص ٦٩
 منشورات دار الهدى

وذلك لأن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر شرط الانضمام لأمة خاتم الانبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا هو تفسير عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى قول الله تعالى : " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر " حيث أعلن رضى الله عنه : أيها الناس : من أراد أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها " (١٤)

وإذن فليست الحسبة حقا للمحتسب، أو وظيفة يمارسها من يشاء ويتركها من أراد ، ولكنها فرص لامناس منه . . . كل حسب استطاعته .

والحسبة مهمة الرسل عليهم السلام منذ آدم حتى خاتم الانبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم " قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " (١٥)

وتوالى الأمم فأى أمة خرجت عن أوامر الله أو تجرأت على حرمانه ولم تستجب للدعوة أخذها الله أخذ عزيز مقتدر ، " وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه اليه شديد " (أ) كما حدث لقوم نوح وهود وصالح . . .

أو استحقت اللعن والذلة والتشرد، كما حدث لبني اسرائيل " لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون " (١٦) وقد يكون العقاب ضياع الشخصية وزوال الخيرية، كما يوشك أن يحدث للأمة الاسلامية ولا حول ولا قوة الا بالله .

حيث أصبحوا رقم كيرة العدد ، وتعدد الامكانات غناء كغناء السبل ، لا تسمع لهم كلمة ولا يقام لهم وزن، فى كل يوم يموت منهم الآلاف، وتنتقص منهم الاطراف، ويسلط الله عليهم من لا يخافه ولا يرحمهم، فقطعت منهم الرقاب، وسالت دمائهم رخيصة لا قيمة لها ولا نصير . (١٧)

[أنى اتجهت الى الاسلام فى بلد : تجده كالطير مقصوفا جناحاه] لكن من فضل الله وواسع رحمته بالامة المحمدية، أنه جل وعلا وعدها بامكان استرداد مكانتها، وسالف عزاها ومجدها ما استقامت على أمر الله ، وأدت الشرط الذى على أساسه تكون خير أمة أخرجت للناس .

(١٤) تفسير - الدر المنثور فى التفسير المأثور . . . جلال الدين السيوطى ج ٢ ص ٦٣ طبعة بيروت - وأنظر الطبرى والخازم وابن كثير وابى السعود فى تفسير الآيه * هو جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى عالم مصر وفقهها له تأليف كثيرة فى شتى العلوم الاسلامية واللغة العربية قل من ألف ولم يرجع اليه ، توفي سنة ٩١١ هـ

(١٥) سورة البقرة الآيه ٣٨ ، ٣٩

(١٦) سورة المائدة ٧٨ ، ٧٩

(أ) سورة هود الآيه ١٠٢

(١٧) من قصيدة "حنة الاسلام" للشاعر محمود غنيم شاعر مصرى معاصر

ففي الباب الأول

عرضت لأساسيات البحث، لأنه لا بد من وضع معالم واضحة لمفاهيم سوف تستخدم أثناء كتابة الرسالة، فعرّفت الحسبة لدى من عرفها بطرق مختلفة . . . وبعد مناقشة للتعريفات حاولت الاسهام بوضع تعريف، أرجو الله أن يكون اضافة مفيدة لما قيل في هذا الصدر .
ثم وقفت أمام المجتمع الاسلامي وركائزه وسماته، وكيفت الضرورة بما يتفق مع مراد البحث من هذه الكلمة، ثم عقدت الصلة بين الضرورة والحسبة داخل المجتمع الاسلامي .

وفى الباب الثاني :

وضعت الحاجة الى الحسبة بمقاييسها، التي تناولها الباب الاول، في الاديان السماوية منذ بدء الخليقة على الأرض حتى خاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .
ولم يكن المجال مجال تأريخ للامم السابقة ولا سردا لقصص الانبياء، ولكن ^{إشارة إلى} بعض الدروس المستفادة والمشيرة الى مدى مانزل بالاقوام من عذاب الله وسخطه نتيجة تركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ايمانا واحتسابا لوجه الله، ومحافظة على شرائعه التي تنزلت بالسنتهم على رسلهم .
وخصصت الفصل الثاني، للحسبة في دعوة موسى عليه السلام . وهو تف بن اسرائيل من الانبياء والرسل .
وفى الفصل الثالث من الباب الثاني، بحثا مكانة الحسبة في الاسلام، ومدى حرص الاسلام عليها، وحكمة مشروعيتها، التي ثبت من عرضها ان المجتمع الاسلامي لو ترك الحسبة ضاعت معالمه، وتبعثت ذاتيته، التي فضله الله بها .

وفى الباب الثالث :

دخلت الحسبة الى مساحة المجتمع الاسلامي، وتخللت حياته، تحميه تكويننا وسلوكنا لتدرا عنه المفسدة؛ حتى لا يتداعى وينهار، ولتجلب له المصلحة، حتى يُضمن له البقاء والخيرية بين المجتمعات الأخرى .

وبناء على ضرورة الحسبة لدرء المفسد وجلب المصالح زاولت الحسبة مهمتها بين أفراد المجتمع الاسلامي، ثم كان الاحتساب المتبادل بين أولى الأمر والافراد، كل بالقدر اللائق به والشكل الملائم للاحتساب الواجب عليه، من غير افراط ولا تفريط .

كما دخل الاحتساب الى المرافق العامة والاجهزة الادارية للمحافظة والتوجيه . كل ذلك كمر تحمي الحسبة المجتمع الاسلامي من أي منكر ظهر في داخله، نتيجة لما يتوقع من مخالقات النفس الأمارة بالسوء، وجهود الشيطان التي تبحث عن الثغرات، كي تقضى على المعروف، أو تشيع المنكر وتنقض عرا الاسلام .

هذا . . .

وقد تسلم عقيدة المجتمع من الشوائب، ويخلص أفراد العبودية لله، كما قد يسلم سلوك أفراد من التعارض مع شرع الله، نتيجة لما يبذله المحسنون في داخل المجتمع الإسلامي،



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

-

البَابُ الْأَوَّلُ

حول أساسيات البحث

-

الفصل الأول : "التعريف بالحبة"

الفصل الثاني : "المجتمع الإسلامي"

الفصل الثالث : "تأليف الفردرة"

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الباب الأول

حول أساسيات البحث

تعريف

عنوان الرسالة " ضرورة الحسبة للمجتمع الاسلامي " والباحث فيه لا بد أن يتأمل مفردات هذا العنوان، وأن يعقد الصلة بينها، بحيث يتكوّن لدى الباحث والقارىء بنیان قوى العمدة، مترايبسط الأركان ، يقود نحو دراسة محددة المعالم، واضحة المنبع والمصب ان شاء الله تعالى .

"والضرورة" اذا اطلقت انصرفت الى مفهوم قد يعتمد عن المعنى المراد في البحث . . فلا بد اذن من تكيف هذا المصطلح حسب ما يتفق مع أهداف الرسالة .

"والحسبة" قد تناولتها تعريفات كثيرة ، واختلفت نظرة العلماء لمجالاتها، ولا بد من ارتضاء تعريف يحدد مجالات تتفق مع متطلبات المجتمع الاسلامي .

"والمجتمع الاسلامي" مصطلح يخشى عليه من ضباب أفكار هدامة ، لا يتفق مع ما ترشد اليه الشريعة الاسلامية فكان على الباحث أن يذكر سمات لا يكون المجتمع اسلاميا الا بها .

ثم لا بد من وقفة أمام حاجة المجتمع الاسلامي الى الحسبة : نظاما شرعيا لازما للحفاظ على خصائص المجتمع الاسلامي، والشريعة الاسلامية، كي يكون المجتمع الاسلامي أهلا لحمل مشعل الدعوة الى الله، الهداية الحائرين في ضلال البدع، وظلام المذاهب، وتبصير الجاهلين بالمسار الصحيح، وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون " (أ)

لذلك، لزم للباحث أن يعقد الباب الأول: "حول أساسيات البحث" لتوضيح المسار ومعرفة الطريق، والله ولي التوفيق

الفصل الأول : "التعريف بالحسبة"

- تمهيد :
 - تعريف الحبة لدى كتب العلماء .
 - " " " " " المصطلحات .
 - " " " " " الفقهاء .
 - " " " " " كاتب رسالة .
 - حبة لدى من نظرنا إلى شمولها .
 - المراد بالحبة .
 - المعروف والمنكر .
 - مراتب المعروف والمنكر .
 - مزيج معرفة بالتدريج .
-

الفصل الأول

التعريف بالحسبة

تمهيد :

الهدف من هذا الفصل : هو بيان المراد من الحسبة ، وتوضيح مرماها وأهدافها داخل المجتمع الاسلامى .

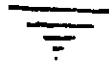
وسأعرض ان شاء الله فى هذا الفصل ، لتعريف الحسبة لغة كما وردت فى بعض المعاجم ، ولدى الكتب التى اهتمت بالمصطلحات . ثم أقف أمام بعض التعريفات ، اصطلاحا لدى بعض العلماء .

وأرجو أن نصل ان شاء الله الى شىء يستراح له عندما نعرض أقوال ومؤلفات من عرفوا معنى الحسبة علما وساركا .

لذلك، فإن هذا الفصل سيتناول النقاط التالية :

وهي :

- ١- تعريف الحسبة فى كتب المعاجم .
- ٢- تعريف الحسبة فى المصطلحات .
- ٣- تعريف الحسبة لدى العلماء الذين وضعوا لها تعريفات ويشمل هذا :
 - أ- من نظروا الى مهمة المحتسب .
 - ب- من نظروا الى كفة الحسبة .
 - ج- لدى من نظروا الى شمولها
- ٤- تعريف المعروف والمنكر .
- ٥- مراتب المعروف والمنكر .
- ٦- خاتمة فى مزية التعرف على هذه المراتب .



الحسبة لدى كتب المصطلحات

أفصح بعض المعاجم اللغوية المجال أمام استعمالات كلمة " الحسبة " بينما نجد بعض كتب المصطلحات تضييق من نطاقها وتحدد معانيها في أقل حيز ممكن . . .
ومن ذلك :

١- جاء في دائرة المعارف الاسلامية : الحسبة " مصطلح من مصطلحات القانون الادارى - معناه الحساب أو وظيفة المحتسب ثم اكتسبت الكلمة معنى خاصا هو : الشرطية . وأصبحت تدل أخيرا على الشرطة الموكلة بالاسواق ، والآداب العامة ، وقد استعمل المؤلفون الذين كتبوا في الفقه الاسلامي (مثل المواردى وابن خلدون والمقرئى . . الخ) لفظ الحسبة بهذا المعنى وهو أضيق معانيها - ولكن للحسبة من غير شك معنى أوسع من وظيفة المحتسب بدلولها المحدود ، فقد وردت في تواليف المؤرخين اشارات عابرة عن " دار المحاسبة والمواريث أو الموتى " تدل على أن الحسبة كانت اسما لدار التسجيل التى تسجل فيها الوفيات والمواليد وتدار فيها تركات اليتامى وأموالهم . ونحن نجد لفظ الحسبة أيضا مستعملا للدلالة على دار الموازين والمكاييل وتعرف " بدار العيار " - وكذلك ديوان المحاسبة الاعلى ، وأخيرا للدلالة على ديوان ميرة الجيش وذخائره " (٩)

٢- وفي الموسوعة العربية " الحسبة " فى تاريخ الحضارة الاسلامية نظام اختلف اختصاصه باختلاف العصور والحكام .
لكنه على العموم يجمع بين السلطة البلدية والحفاظة على الأمن ، ومكافحة الفسح مع اختصاص محدود ، فى نواحي الاحوال الشخصية . (١٠)

(٩) دائرة المعارف الاسلامية - المجلد السابع ص ٣٧٩ ومن مصادر دائرة المعارف الاسلامية

١- مقدمة بن خلدون ص ١٩٦ طبعة بيروت

٢- خطط المقرئى ج ٢ ص ٣٤٢ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ

(١٠) الموسوعة العربية : وضعها : البرت الريحانى وفريق من الاساتذة ص ٢٩٤ - طبعة اولى

بيروت سنة ١٩٥٥ م .

٣- كتاب دائرة المعارف :

الاحتساب والحسبة في الشرع هما : الأمر بالمعروف اذا ظهر تركه ، والنهي عن المنكر اذا ظهر فعله ثم الاحتساب في الشريعة الاسلامية عام يتناول كل مشروع عام يفعل لله تعالى : كالأذان والامامة وآداء الشهادة . . . ولهذا قيل : القضاء باب من أبواب الاحتساب . وفي العرف اختص بأمور أحدها : اراقة الخمر : وثانيها : كسر العازف ، وثالثها : اصلاح الشوارع .

وعلم الاحتساب علم باحث عن الأمور الجارية بين أهل البلد في معاملتهم التي لا يتسم التمرد بدونها، من حيث اجراءها على القانون العدل، بحيث يتم التراضي بين المتعاملين، وعن سياسة العباد، ينهى عن المنكر وأمر بالمعروف ، بحيث لا تؤدى الى مشاجرات وتفاخر بين العباد ، بحسب ما يراه الخليفة من الزجر والمنع ، ومبادئه بعضها فقهي وبعضها أمور استحسانية ناشئة عن رأى الخليفة والفرض منه تحصيل الملكة فى تلك الأمور، وفائدته احراء أمور المدن فى المجارى على الوجه الأتم . . .

هذا العلم من أدق العلوم لا يدركه الا من له فهم ثاقب وحنس صائب . ان الاشخاص والازمان والأحوال ليست على وتيرة واحدة، فلا بد لكل واحد من الأزمان والأحوال من سياسة خاصة ، وذلك من أصعب الأمور ، فلذلك لا يليق بخطة الاحتساب الا من له قوة قدسية مجردة عن الهوى، كعمر بن الخطاب . . . الى آخر ما جاء فى كتاب دائرة المعارف (١١)

٤- وفى معجم متن اللغة : الحسبة من وظائف الدولة الاسلامية " مولدة يراد بها مراقبة السوق فى موازينه ومكاييله وأسماؤه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والمحتسب من يتولى ضبط المكاييل والموازن وسائر أمور الحسبة . (١٢)

٥- أما دائرة معارف القرن العشرين : فلم يرد فيها سوى تعريف لغوى موجز (١٣).

وما ورد فى هذه الكتب لا يكفي للتعريف بالحسبة . فدائرة المعارف الاسلامية : نظرت الى الحسبة التنفيذية فقط، وأرادت أن توسع من مجال الحسبة فضيقت ولم تخرج عن دائرة الاختصاصات المعيّنة . وكذلك ما جاء فى الموسوعة العربية وفى متن اللغة، غير أن الأخير كان عيبه واضحا عندما اعتبر كلمة " الحسبة " مولدة - رغم ورودها فى الاحاديث النبوية وعلى السنة الصحابة والتابعين والائمة المتقدمين .

(١١) دائرة المعارف : المعلم بطرس اليستاني . المجلد الثانى ص ٥٥٦ مؤسسه مطبوعاتسى اسماعيليان طهران . وهذه ترجمة موجزة عن مؤلف دائرة المعارف العربية : بطرس اليستاني وهو : بطرس بن بولس بن عبد الله اليستاني، صاحب دائرة المعارف العربية . ولد بالدبيسة احدى قرى لبنان وتعلم فى بيروت الآداب ووضعت لغات بين قديمة وحديثة وقد استعان بسسه الامريكاني فى ادارة اعمال المطابع وعلى ترجمة التوراة . وهو صاحب محيط المحيط (فى اللغة) وله كشف الحجاب فى علم الحساب ولد ١٢٣٤ هـ ١٨١٩ م وتوفى ١٣٠٠ هـ ١٨٨٣ م . (الاعلام - خير الدين الزركلى الطبعة الثالثة)

(١٢) معجم متن اللغة - الشيخ احمد رضا - المجلد الثانى ص ٨٣ - طبعة دار مكتبة الحديث - بيروت .

في بلادها السلطانية

أما المعلم بطرس البستاني : فقد سرن تعريف العلامة أبي الحسن الماوردي للحسبة كما ورد^(أ) بنصه " أمر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهى عن المنكر اذا ظهر فعله " في ص ٢٤ . طبعة أولسى ١٩٦٠ . طبعة الحلبي . ولو وضع ما أخذته بين علامتي تنصيص لحفت الوطأة .
 كما سرى من أول "وعلم الاحتساب على باحث عن الأمور ... الى قوله على الوجه الأكمل " حوالى ثمانية أسطر سرقها من كتاب كشف الطنون - وقد أورد هذا النص بالضبط منسوباً الى صاحبه حاجي خليفة ج ١ ص ١٥ العلامة الشيخ عبد الحى الكفانى الفاسى صاحب كتاب : الحكومة النبوية المسمى الترتيب الادارية ص ٢٨٧ طبعة بيروت .
 ولا يهمل ما قاله ذلك الصليبي من أنه لا يليق بالاحتساب الا من له قوة قدسية مجردة عن الهوى كعمر بن الخطاب، فالعبارة فضلاً عما فيها من استعمال بعيد عن روح الاسلام وتعبيراته الا أنه يهدت الى هدف خبيث : وهو أن أفراد المسلمين ليسوا أهلاً للاحتساب ؛ لأنهم ليست لديهم قوة قدسية مجردة عن الهوى ...
 وهكذا شأنه جل الاعداء عندما يكتبون عن الاسلام والنظم الاسلامية . وعندما يبهرون القراء بمؤلفاتهم وهى قائمة على النقل بدون عزو ، وما خفى كان أعظم .

(أ) العلامة الماوردي هو : على بن محمد بن حبيب ابو الحسن الماوردي أقضى قضاة عصره ، من العلماء الباحثين ، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة ، ولد فى البصرة وولى القضاء فى بلدان كثيرة ، ثم صار أقضى القضاة فى أيام القائم بأمر الله العباسى ، وكان صاحب مكانة رفيعة عند الخلفاء ، وكم توسط بينهم وبين الأمراء . من مؤلفاته : الاحكام السلطانية الحاوى - الاقناع - نصيحة الملوك وغير ذلك ...
 ولد ٣٦٤ هـ ٩٧٤ م وتوفى ٤٥٠ هـ ١٠٨٥ م « الأعلام : للزكرى »

الحسبة لدى الفقهاء

عرف الفقهاء الحسبة بتعريفات متعددة لأن طريقتهم اختلفت حسب الأساس الذي بنوا عليه تعريفاتهم

فمنهم من عرف الحسبة بناء على اختصاصات المحتسب أو مجالات الحسبة . ومنهم من عرفها بناء على جوهر الحسبة محاولا وضع الضوابط والمقاييس . ومنهم من عرفها بناء على شمولها لما يسعد المجتمع الاسلامي في الدارين .

وسأعرض لكل فريق على حدة :

أولا -

تعريف الحسبة بناء على مجالات الحسبة أو اختصاصات المحتسب .

١- جاء في كتاب المثل السائر : للوزير ضياء الدين بن الأثير رسالة مطولة عهد بها السي محتسب ، وقد أخذ يعدد له مهمته، ويرسم له اختصاصاته، وكأنه يقول له : الحسبة هي : أن تقوم بكذا وكذا، ونظرا لما في هذه الرسالة من فوائد جمة للبحث بصفة عامة وللتعريف بصفة خاصة ، فسأنقل بعض الفقرات . . . ومن أراد المزيد رجع الى الصفحات التي سأشير اليها في الطبعتين القديمة والحديثة .
ومما جاء في هذا العهد :

" أما بعد : فقد جعل الله جزاء المتكئين في أرضه ، أن يقام بحدود فرضه . ونحن نسأله التوفيق لهذا الأمر الذي ثقل حمله ، وعدم أهله ومن أهم ما تقرر بناءه ، وتقدم عناؤه ، ونصلح به الزمن وأبناءه . أن نمضي أحكام الشريعة المطهرة على ما قررت ومدار ذلك على النظر في أمر الحسبة التي تنزل منه بمنزلة السلك من العقد ، والكف من الزند . فان السكوت عن البدعة رضا بمكانها ، وتبرك النهي عنها كالأمربا تيانها ، ولم يأت الله تعالى بنا الا ليُعيد الدين قائما على أصوله ، صادعا بحكم الله فينا وحكم رسوله .

ثم أخذ يعدد صوراً للاحتساب على محاربة البدع والمنهيات وملاحظة التنفيذ للمأمورات حتى وصل الى قوله : ها هنا عظيمة عضية (١٤) وفاحشة يفقه لها من ليست نفسه بفقيره وهي الربا : فانه قد كثر آكمه ، وتظاهره به فاعله ، وقال فسان الفقهاء بتأويله وتوصلوا الى شبهة تحليله . . .

وأعلم أنك وليت من الكيل والميزان أمرين ، هلكت فيهما الأمم السالفة فباشرها بيدك مباشرة الاختيار والاختبار . . .

وقد كثر في الاسواق الخلابة^(١٥) والنجش^(١٦) وتلقى الركبان ، وبيع الحاضر للبادى وتنفيق السلعة باليمين الكاذبة .

ثم يوقف المحتسب على حقيقة هامة وهي : أن من أهم مهامه الوعظ والارشاد ، وتعريف الناس بالمعروف والمنكر ، فيقول : وكل هذه من المحظورات التي وردت الاخبار النبوية ببيانها

والنهي عن تورد مكانها ، فمن قارف شيئاً منها جاهلاً بتحريمه فقومه بالتعليم ، واهداه الى الصراط المستقيم . ومن عرف ما اقترف فاذقه حر التأديب ، قبل أن يذاق غداً حر التعذيب ، وأعلمه أن الارزاق بيد الله تعالى . . . ومن سنة الله تعالى أن ينسى الحلال ، وان كان يسيراً ، ويمحق الحرام وان كان كثيراً . . . وقد استمر في الناس عوائدتها ونواب استمرارها ، ولم ينظروا الى ثقل اوزارها فمن ذلك ليس الذهب والحرير . . .

ومما حيد فيه عن السنن قراءة القرآن ، بضروب الالمان ، وتلك قراءة تخرج حروفها من غير مخرج وتبدو معوجة ، وهو قرآن عربى غير ندى عوج . . . فمن قرأ بالترجييع والترديد ، وزلزل حروفه بالتمطيط والتمديد ، فقد الحق بدرجات الاغاني ، وذهب بما فيه من طلاوة الالفاظ والمعاني . . .

الى أن قال : وهذا آخر ما عهدناه اليك من العهد الذى طوقت اليوم بكتابه وسناقش غداً على حسابه ، وكما جعلناه لك فى الدنيا ذكراً ، فاجعله لك فى الآخرة ذخيراً ان شاء الله تعالى ، السلام * (١٧) والرسالة فى عشر صفحات أو تزيد .

ومن الذين عرفوا الحسبة بالنظر الى مهمة المحتسب ومجال الاحتساب "حاجى خليفة" فى كشف الظنون : علم الاحتساب علم باحث عن الامور الجارية فى أهل البلد فى معاملتهم التى لا يتم التمدن بدونهم من حيث اجراءها على القانون العدل بحيث يتم التراضى بين المتعاملين وعن سياسة العباد ينهى عن المنكر وأمر بالمعروف ، بحيث لا يؤدى الى مشاجرات

(١٤) الافك والبهتان . (١٥) الخديعة

(١٦) الزيادة فى البيع لمجرد ايقاع الغير

(١٧) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر - الوزير ضياء الدين بن الاثير الجزرى -

وتفاخر بين العباد بحسب ما يراه الخليفة من الزجر والتمنع ، ومياديه بعضها فقهسى، وبعضها أمور استحسانية ناشئة عن رأى الخليفة ، والفرص منها تحصيل الملكة فسى تلك الأمور (١٨) .

أما الشيخ أحمد مصطفى المراغى فقد قال فى تعريف الحسبة : " الحسبة مشاركة السوق، والنظر فى المكاييل والموازين، ومنع الغش والتدليس فيما يباع ويشتري، من مأكول ومصنوع ، ورفع الضرر عن الطريق ، بدفع الحرج عن السابلة من الفادين والرائحين ، وتنظيف الشوارع والحارات والأزقة، الى نحو ذلك من الوظائف التى تقوم بها الآن المجالس البلدية ومفتشو الصحة، والطب البيطرى، ومصلحة المكاييل والموازين ، وقلم المرور ورجال الشرطة الموكل اليهم المحافظة على الآداب العامة الى غير ذلك " (١٩) .

ثانيا - تعريف الحسبة بناء على جوهرها عند بعض الفقهاء :

وأشهر من طرق هذا المعنى ورد تعريفه كميرون بعده الفقيه القاضى : أبو الحسن الطواردى (٢٠) حكيت عرف الحسبة بأنها : " أمر بالمعروف اذا ظهر تركه ، ونهى عن المنكر اذا ظهر فعله " وأضاف صاحبنا " نهاية الرتبة فى طلب الحسبة (، والمعالم القرية فى أحكام الحسبة) " (٢١) " أيضا جملة " واصلاح بين الناس " ويعرفها بن خلدون فيقول أما الحسبة : فهى " وظيفة دينية : من باب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر " (٢٢)

ما يستنتج من هذه التعريفات :

سواء عرفت الفقهاء الحسبة على أساس من اختصاص المحتسب أو على أساس من جوهر الحسبة فانه يمكن استنتاج الأمور التالية :

١- الاحتساب أمر لا بد منه حتى تسير الأمور فى المجتمع الاسلامى كما أراد الله (ياتر بما أمر به وينتهى عما نهى عنه)

(١٨) هذا الكلام منسوب الى صاحب كشف الظنون حاجى خليفة ج١ ص ١٥ المطبعة الاسلامية بطهران سنة ١٣٨٧ - وهذا النص موجود فى كتاب : نظام الحكومة الاسلامية : النسخة : التراعىب الادارية للعلامة الشيخ عبدالحى الكئانى الفاسى ص ١٨٧ طبعة بيروت .

(١٩) الحسبة فى الاسلام - كتيب للشيخ أحمد مصطفى المراغى ص ٥ طبعة مصطفى الحلبي القاهرة سنة ١٣٩٠ هـ

(٢٠) فى الاحكام السلطانية والولايات الدينية - العلامة قاضى القضاة ابو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى - طبعة أولى سنة ١٩٦٠ شركة الحلبي بمصر ص ٢٤٠ (٢١) لعبد الرحمن بن نصر الشرزى - تحقيق الدكتور

السيد اليازى العرينى طبعة ١٩٤٦ م لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة ص ٦ (٢٢) لمحمد بن محمد القرشى المشهور بابن الاخوة - مطبعة كمبروح سنة ١٩٣٨ م ص ٧ - ويؤخذ على ابن الاخوة أنه نقل معظم ما قاله الامام الغزالى بالنسبة فسى

٢- أن الحسبة فرض عين على الموظف ، وفرض كفاية على غيره . لأنها تكليف من قبل الشرع على كلا الوجهين ، فهي امتثال لأمر الله ورسوله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - والفاية هي : إقامة مجتمع اسلامي يكون الدين فيه لله وسيأتي تفصيل ذلك، ان شاء الله عند الكلام عن حكم الاحتساب والموظف والمتطوع .

٣- ان نشاط المحتسب لا يقصر على المراقبة والمتابعة فقط، ولكنه يشمل التعليم والتوجيه، والنصح والارشاد بكل الوسائل لحفظ الدين ورعاية الاخلاق ، والجوانب الاقتصادية والعديد من أوجه الخدمات التي لا يستغنى عنها المجتمع الاسلامي مما يجلب المصلحة ويدرأ المفسدة .

٤- أن تركيز الفقهاء كان واضحاً على نوع من الحسبة لا يمكن الاستغناء عنه وهو : الحسبة التنفيذية :

وهذا النوع لا يستغنى عنه المجتمع الاسلامي فيما أرى لسببين :

السبب الاول : أن تغيير المنكر بالقوة، يكون عن طريق هيئة خول لها الحاكم سلطات تستطيع بها التصدي لمرتكب المنكر ومتعاطي المخالفات حتى تُرجع الامور الى نصابها .

السبب الثاني :

أن هناك منكرات لا يستطيع الاحتساب عليها الا من تدرّب وتخصّص : كوسائل الفسح الخفية ، والتلاعب في الموازين ، أو العلامات المميزة للتصديس والاستيراد . وغير ذلك مما يخفى، ولا يعلمه عامة الناس .

٥- وخامس ما يستنتج أن الاهتمام بالسوق كان ملحوظاً لدرجة جعلته مجالاً يستقل بالتأليف في الحسبة ، أو يأخذ جل اهتمام بعض المؤلفين . ولعل مصدر هذا الاهتمام بالسوق يرجع لسببين :

الأول : أن السوق مجتمع الناس، وسجال اختلاطهم على اختلاف موارد هم ومشاربهم، حيث يتجمعون لقضاء حاجاتهم، ومن شأن هذا التجمع أن يضم الرجال والنساء والجاهل والمتعلم، والرشيذ والسفيه . . وفي ذلك مجال للحدوث المخالفات ووقوع المنكرات : من غش وتدليس وظلم وتعرض للنساء . . الى آخر ما يمكن حدوثه . . وذلك يستدعي رقابة أشد . .

لكن السوق مهما كانت لا تقلل من أهمية الحسبة في غيرها من الأماكن .

الثاني : أن كثيرا من المؤلفين قد لفت نظرهم بعض النصوص دون البعض فكان ذلك سببا في تضيق مجال الحسبة وقصرها على السوق أحيانا .
فوقوا مثلا عند حديث " الصبرة " رغم أن هذه صورة واحدة من صور احتسابه صلى الله عليه وسلم .

وفي نفس الخط يسيرون وراء عمر بن الخطاب رضى الله عنه في صورة من صور احتسابه : وهو يمشى في السوق ليضرب بدرته من خالف أو غش أو عطل الطريق على الناس . . . (٢٥)

هذا والملاحظ على التعريفات السابقة أنها لا تجمع كل صور الاحتساب كما أنها لا تمنع من الإضافات فوق ما ذكر .

أى أن تعريف الحسبة عن طريق اختصاصات المحتسب غير مانع من دخول اختصاصات أخرى .

وأن تعريفها عن طريق جوهر الحسبة غير جامع لأطراف الاحتساب وصورة/وقد أسهمت بتعريف أرجو الله تعالى أن يكون إضافة موفقة إنه شاء تعالى .

* تعريف الحسبة بما أرجو منه الفائدة :

وقد عرفت الحسبة بأنها :

أمر مشروع لبيان ما خفى من المعروف، وكف ما ظهر من المنكر ، واصلاح ما فسد داخل المجتمع الاسلامى .

شرح التعريف :

" أمر مشروع " : يشمل أحكام الحسبة وما يعرض لها من الوجوب والندب . . . الخ

ويفيد أن ترك الحسبة ترك لأمر معلوم من الدين بالضرورة .

" وبيان ما خفى من المعروف " : تشمل تعريف الناس بما أمر الله به وبما نهى عنه ،

ودعوتهم الدائمة الدائبة الى الخير، وإشاعة الحلال ، وسد الذرائع . . . " وكف ما ظهر

من المنكر " : تشمل ترك المأمور به وفعل المنهى عنه ومقاومة ذلك من غير تجسس أو كشف

ستر .

" واصلاح ما فسد " : تعني الاسراع الى تفسير المنكر فور رؤيته أو العلم به ، والنهوض لرأب

الصدع واصلاح الخلل .

" داخل المجتمع الاسلامى " وذلك يشمل الامة الاسلامية ومن يعيثر داخل دار الاسلام

ذميين أو مستأمنين ، كما يشمل ذلك الاعلاح بين الطوائف المتناحرة والشعوب

الاسلامية المتنافرة .

فظوبى للمحتسبين . " والله اعلم "

(٢٤) روى الامام مسلم بسنده عن ابى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم مر على صبره طعام ، فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بلا فقال : ما هذا

يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء يا رسول الله قال : أفلا جعلته فوق

يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء يا رسول الله قال : أفلا جعلته فوق

الشاعر : الحسبة لدى من نظروا الى شمولها :

الحسبة كما يفهم مما سبق تتناول بالتعريف والمتابعة كل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوامر والنواهي . وهى واجبه على المسلمين جميعا ، لافرق بين رجل وأمرأة " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " (٢٦)

فايست الحسبة مقصورة على مكان ، وان كانت بعض الاماكن تحتاج الى رقابة أشد ، وهى واجبة على جميع المسلمين ، وان كانت الحاجة تستدعى تعيين جماعة أو هيئة لتنفيذ بعض المهام التي لا يستطيع المسلم العادى الاضطلاع بها ، فى بعض الصور كتغيير المنكر باليد مثلا .

وما يخشى منه: هو أن تؤخذ الحسبة التنفيذية شكلا ينسى المسلمين الوظيفة الشرعية التي فرضها الله على أفراد المجتمع الاسلامى جميعا . فتصبح الحسبة فى نظر البعض تدخلا فيما لا يعنى ، واعتداءً من الحرية الشخصية " واذا قيل له اتن الله أخذته العزة بلاثم فحسبه جهنم وليثمر المهاد " (٢٧)

وفى هذا المقام أورد نظارة بعض الائمة والعلماء من تصدوا للحسبة بهذا المعنى الشامل .

ومن هؤلاء : ابو حامد الغزالى ، وشيخ الاسلام بن تيميه والعزبين عبد السلام وابوبكر الخلال ، وابن القيم ، وابن النحاس وغيرهم . . . وأخص بالذكر من بين هذا الفريق . . . "أبا حامد الغزالى" وشيخ الاسلام بن تيميه لعكافة كل منهما فى الاصلاح الاجتماعى عن طريق الحسبة . علما وعلماء . ولست بصدد بيان كل منهما وطريقة تأليفه أو جهوده فى الاحتساب العطنى ، فقد الرقت فى ذلك الكتب والرسائل . ولكن يكفى فى هذا المقام أن نقف أمام تناولهما لمفهوم الحسبة .

أبو حامد الغزالى : المتوفى سنة ٥٠٥ هـ (*)

وهو من الذى تصدوا لنقد المجتمع والحسبة عليه ، بعد ما نظرا اليه من خلال المعايير الدينية ، حيث انتشرت المنكرات والمعادات المذمومة ، والبسوس والخرافات . . . واعتقد ان صلاح المجتمع على اختلاف طبقاته مرهون بالعودة الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسبة لله .

وكان لومه على العلماء أشد ، وأرجع انتشار الفساد الى قعودهم عن الحسبة . . . وأطلق على العلماء فى عصره " الاطباء المرضى " وخاطبهم بقول الشاعر :

يامعشر القراء يا ملج الطلح

(٢٨)

ما يصلح الطلح اذا الطلح فسدد ؟

والآلات ، والعلوم الدينية ، والعلوم الدنيوية ، وبين المحمود منها والمذموم . . . وذكر العلل التي تخص الاغنياء وأهل اليسار وذكر أوهاهمم وغرورهم ، وانتقد العلوك والامراء . . . وذكر شيئاً كثيراً من أمراض العامة . . . والعواقمسـد
(٢٩)
الجاهلية والبدع المنتشرة .

وفي احياء علوم الدين عقد كتابا للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو كما يقرر:
"القطاب الاعظم والمهم الذي ابتعث به الله النبيين أجمعين" (٣٠)

(٢٦) سورة التوبة : ٧١

(٢٧) سورة البقرة : ٢٠٦

(*) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي وشهرته أبو حامد الغزالي ولد في طابران (مقاطعة في خراسان) سنة ٤٥٠ هـ . . . وكان أبوه فقيراً يأكل من كسب يده في غزل الصوف ويكتر من مجالسة العلماء .

جد الغزالي منذ نعومة أظافره في طلب العلم وغرف من معارف عصره فتفوق وعظم عند الناس قدره قال معاصره عبد الغافر الفارسي "وعلت حشمته ودرجته في بغداد حتى كادت تغلب حشمة الاكابر والامراء" وكان يقسراً عليه جمع غفير من الطلبة .

بحث كثيراً للوصول الى اليقين وألف كتابا في الرد على الفلاسفة والباطنية وتوج مؤلفاته الكثيرة بموسوعة المشهورة والمسمى : احياء علوم الدين . . . وهو من المراجع الهامة لمن اراد الكتابة في الحسبة "أنظر طبقات الشافعية الكبرى" (ج ٤ من ص ١٠٢ : ص ١٠٦)

(٢٨) احياء علوم الدين : الجزء الأول ص ٥٤

(٢٩) أنظر رجال الفكر والدعوة في الاسلام - أبو الحسن الندوي يتصرف ص ٢٢٧

و ٢٢٨

(٣٠) احياء علوم الدين الجزء الثاني ص ٣٠٦

والجدير بالذكر أن الفزالي عندما يتناول كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجعله مرادفا للحسبة ، وقد عبر بكليهما عن الآخر .

وقد جاء ذلك واضحا عندما قسم كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى أبواب فقال : " الباب الثاني في أركان الأمر بالمعروف وشروطه : اعلم أن الأركان فسي

الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة هي :
- المحتسب - والمحتسب عليه - والمحتسب فيه - ونفس الاحتساب^(٣١) ثم بدأ الشرح والتفصيل على هذا الأساس .

وما كان الامام الفزالي ليقصر الحسبة على مكان ، أو يجعلها خاصة بالمنكر اذا ظهر ، ولكن جعل من مراتبها : التعرف والتعريف ، والوعظ والارشاد^(٣٢) . وفي نهاية باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول : " فهذه كانت سيرة العلماء وعاداتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين ، لكونهم اتكوا على فضل الله تعالى . . ثم يقول : ففساد الرعايا بفساد الملوك ، وفساد الملوك بفساد العلماء ، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة " . وهذا^(٣٣) قليل من كثير يثبت أن الحسبة ايدى الفزالي مرادفة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

شيخ الاسلام ابن تيمية : التوفى سنة ٧٢٨ هـ (٣٤)

خاض معركة الاصلاح الاجتماعى بحسبة لا هوادة فيها ، وكانت حياته جهادا مستمرا بكل ألوان الجهاد وصوره . فلم تكن له قناة ، ولم ينخفض صوت الحق من فمه وقلمه ، وسيفه وسلوكه ، حتى انتقل الى جواربه ، رضى الله عنه وأرضاه .

(٣١) احياء علوم الدين الجزء الثاني ص ٣١٢

(٣٢) احياء علوم الدين الجزء الثاني ص ٢٢٩

(٣٣) احياء علوم الدين الجزء الثاني ص ٣٥٧

(٣٤) هو الفقيه المجدد والعالم المجاهد شيخ الاسلام وامام المحتسبين أبو العباس تقي الدين أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الحلیم بن الشيخ محمد الدين عيد السلام المشهور بابن تيمية شهرة أسرته . ولد في العاشر من رمضان سنة ٦٦١ هـ في بيت علم فشب يافعا في تربة خصبة ، صافى العقيدة قوى الايمان ، واضح الحججة ساطع البيان ، صمد في صهب الرياح ، جبلا أشم وقاد الحكام والمحكومين فقاتلوا التيار تحت لوائه . ←

وقد عاصر فترة فسد فيها المجتمع الاسلامى شرقا وغربا، حتى حقت عليه الكلمة فتمزق كل ممزق بسقوط الأندلس فى المغرب ، وبغداد فى المشرق . . وضاعت هيبة الخلافة وانماع العلماء ، وانتشرت البدع والخرافات ، وعاث التتار فسادا ووجدت الفرق المنحرفة مجالها، لتنتف سمومها وسط العامة والخاصة .

ومن ثم اتسعت ميادين الجهاد على شيخ الاسلام ، فجاهد فى الله حتى جهاده فى كل اتجاه ، محتسبا على العلماء والحكام، والعلل والنحل، والعامة والخاصة . . بل تعرض للرد على علماء سابقين كأبى حامد الفزالى فى فترة من فترات حياته الأولى فى طلب العلم . ومن أراد مزيدا فى هذه الناحية فليرجع الى أحد كتبه وهو : (منهاج السنة النبوية ، أربعة مجلدات من الحجم الكبير . وبهامشه كتاب النفيس ، بيان مواقة صريح المعقول لصحيح المنقول)

وكل كتبه رضى الله عنه فى الحسبة تقريبا . لذلك فقد تعرض الى محسن وخطوب جسيمة، فما وهى وما استكان ، ولم يترك الميدان ، محتسبا ما نزل به عند الله .

ومن هنا كان شيخنا الجليل من أرقى وأدق من كتبوا فى الحسبة .

كانت الحسبة لدى شيخ الاسلام مرادفة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضا بالمعنى الشامل لكل ما يحقق المصلحة ويدرأ المفسدة ، وليس أول على ذلك من تأليفه كتابا تحت عنوان " نظام الحسبة فى الاسلام " ثم جعل موضوع الكتاب جملة وتفصيلا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبر عن كل منهما مكان الآخر . وما كان شيخ الاسلام ليقتصر الحسبة على السوق مثلا أو يحصرها فى أفراد معينين . يقول فى كتابه : الحسبة :- " وبنو آدم لا يعيشون الا باجتماع بعضهم

= ولم يكن يسمح للبدعة أن تشوب عقيدة المسلمين، فشن الحرب على الشيعة والمتصوفة والباطنية وما ساد من خرافات ، وقد ملأ الدنيا بكل ألوان الاحتساب مستعملا سيفه البتار ، ولسانه المذكار ، وقلمه الفياض . . وكثر حساده والمتآمرون ضده ، حتى اغرأوا صدر الحكام عليه حسدا من عند أنفسهم فصمد للمحسبن وما ضعف أو استكان ، وكذب الله لهذا العالم المحتسب أن يموت فى أحد ميادين الجهاد ، حيث فاضت روجه وهو فى محبسه فى العشرين من شوال ٧٢٨ هـ . . وأحاط أهل دمشق كلهم بنعشه وقد أخذتهم الحشرات والعبرات فتذكر التاريخ جنازة امامه وشيخه احمد بن حنبل ببغداد منذ خمسة قرون . وقد قبضه الله بعد أن خلف اتجاهها قويا ، ورجالا علماء ، وكتبنا لازالت مصادر بحث الباحثين وبحارا لا تنضب فى مختلف فروع الشريعة لانها تبعث من الكتاب والسنة فرضى الله عنه وأرضاه .

(أ) انظر تاريخ بن كثير ج ٤ (فقيه الكبير عن جهاد ابن تيمية والحنابلة بصفة عامة .

مع بعض ، و اذا اجتمع اثنان فصاعدا فلا بد أن يكون بينهما ائتمار بأمر ، وتناه
عن أمر . (٣٥)

وفي موضع آخر من كتاب الحسبة يقرر : أنه لا تتم مصلحة ابن آدم الا بالتعاون
والتناصر ، فاذا اجتمعوا فلا بد من أمور يفعلونها يجلبون بها المصلحة ، ويسدروون
بها المفسدة ، ولا تتم مصلحة الناس الا بذلك . (٣٦)

وفي موضع ثالث من كتاب الحسبة يقول : " الأمر والنهي من لزوم وجود
بنى آدم فمن لم يأمر بالمعروف الذي أمر به الله ورسوله ، وبينه عن المنكر الذي
ينهى عنه الله ورسوله فلا بد أن يأمر بما يضاد ذلك أو بما يشترك فيه الحق الذي
انزله الله بالباطل الذي لم ينزله الله . و اذا اتخذ ذلك دينا ، كان دينا مبتدعا " (٣٧)

وكتاب الحسبة ملئ بما يثبت برادفة الحسبة للأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر وشمول ذلك لجلب الخير و دفع الشر .

وهذا ما نراه ايضا في كتاب السياسة الشرعية ، حيث أورد حديثا يجعل
اشاعة الحلال بابا من أهم أبواب الحسبة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم
ويقدم شيخ الاسلام للحديث بقوله : " فأما من استعان بالمباح الجميل
على الحق فهذا من الأعمال الصالحة ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : " في بضع أحدكم صدقة ، قالوا يا رسول الله أيأتي
أحدنا شهوته ويكون له أجر ؟ قال أرأيتم لو وضعها في الحرام ، أما يكون عليه
وزر ؟ قالوا : بلى ، قال : فلم تحتسبون بالحرام ، ولا تحتسبون بالحلال " (٣٨)

وعلى هذا الاساس من مراوغة الحسبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
بالمعنى الشامل المفروض على المسلمين جميعا ، بنى شيخ الاسلام ابن تيمية
فتاواه . . وكان سلوكه وجهاده وكتبه رضى الله عنه وأرضاه .

(٣٥) الحسبة في الاسلام ص ٨٦

(٣٦) انظر الحسبة في الاسلام ص ٤٤ (بتصرف)

(٣٧) المرجع السابق ص ٨٧

(٣٨) السياسة الشرعية طبعة دار الكتاب العربي ص ١٤٧

وهذا الحديث أخرجه الامام احمد في مسنده بسنده عن ابي ذر رضى الله
عنه - المجلد الخامس - طبعة المكتب الاسلامي للطباعة والنشر - بيروت

المُرَادُ بِالْحَسْبَةِ

■ مما سبق من عجالة سريعة حول التصريف بالحسبة، تبين أنه يجب أن تنطلق كلمة "الحسبة" فتتصرف الى المعنى الشامل لكل ما أمر الله به من معروف ونهسى عنه من منكر فى متابعة دقيقة تحفظ على المجتمع الاسلامى كيانه ، وتضمن له السير على طريق الله المستقيم ، .

وَأَنَّ الْحَسْبَةَ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ كُلِّ حَسْبٍ طَاقَتُهُ مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ .
وهذه ولاية منحها الله لكل مؤمن ومؤمنة، فمن رغب عنها وأعرض فقد شذ فى النار بعد أن خلع عن نفسه صفة الايمان ولطرد نفسه من زمرة المؤمنين . فالمؤمنون والمؤمنات كما وصفهم الله تعالى " بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" (٣٩)
وفى ذلك يقول أبو حامد الغزالى " لقد نعت الله المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، فالذى هجر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين فى هذه الآية" (٤٠) .

هــذا . . . وما دام جوهر الحسبة هو : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . لزم أن نتجهل قدر الحاجة كي نعرف بالمعروف والمنكر.

=====

(٣٩) سورة التوبة : ٧١

(٤٠) احياء علوم الدين - أبو حامد الغزالى ج ٢ عن ٢٠٧

المعروف والمنكر

—————

تمهيد :

العلم أولاً :

قبل أن يبدأ المسلم في الاحتساب لا بد أن يكون على علم بالمعروف الذي يأمر به ، والمنكر الذي ينهى عنه ، وذلك أمر ضروري ، ولا يتصور عاقل ابتداء دعوة لأمر ما ، تصدر مما لا يعلم هذا الأمر لأن " فاقد الشيء لا يعطيه " كما يقولون ، ومن حيث النتائج فإن الجاهل بالشيء لا يعرف نتائجه ، ومن باب أولى لا يستطيع الحكم عليه ، لأن " الحكم على الشيء فرع عن تصوره .
والعلم قبل العمل أمر بهي نمارسه في حياتنا اليومية في كل مجالات الحياة ، فلاخير يرجى من صناعة يقبل عليها من لا يعرف أسرارها، ولا اصلاح لآلة على يد من يعيث بها ، ويدعى العلم بخصائصها . . وهكذا .
وقد علمنا الله ذلك، منذ بدأ الخليقة ، لما علم آدم قبل كل شيء ، كما كان أول درس يعلمنا الله اياه في الاسلام ، عندما بدأ تعالى الوحي بالقرآنة في نفسه صلى الله عليه وسلم، وهي متضمنة للعلم ، فلما دعاها، أمره بيده الرسالة، ثم انذار الأهل ، وعلى طريق التدرج سارت الدعوة، حتى أكمل الله هذا الدين .

وقد جاء في مختصر السيرة منسوبا الى الامام ابن القيم مانصه :
" أول ما أوحى اليه ربه : أن يقرأ باسم ربه الذي خلق ، وذلك أول نبوته صلى الله عليه وسلم . فأمره أن يقرأ في نفسه ولم يأمره بالتبليغ ، ثم أنزل الله عليه :
" يا أيها المدثر قم فأنذر " فنبأه باقراً، وأرسله بياأيها المدثر . ثم أمره أن ينذر عشيرته الاقربين . ثم أنذر قومه . ثم أنذر من حولهم من العرب . ثم أنذر العرب قاطبة . ثم أنذر العالمين^(٤١) .

والعلم بالمنكر قبل النهي عنه ، لا يقل أهمية عن العلم بالمعروف قبل الدعوة اليه .

وقد جاء في الفوائد لابن القيم قول " لعمر بن الخطاب رضي الله عنه
" انما تنتقصر عروا الاسلام عروة عروا اذا نشأ في الاسلام من لم يعرف الجاهلية "

(٤١) مختصر السيرة : الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب توزيع

ثم يعقب الامام ابن القيم قائلا : وهذا من كمال علم عمر رضى الله عنه ، فمن لم يعرف الجاهليه وحكمها ، وهو كل ما خالف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فانه من الجاهليه^(٤٢)

" وقد كتبوا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسألونه عن هذه المسألة : أيهما أفضل : رجل لم تخطر له الشهوات ولم تمر بهاله ، أو رجل نازعه اليها نفسه . فتركها لله ؟ فكتب عمر : ان الذى تشتبهى نفسه المعاصى ويتركها لله عز وجل من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم . . ثم يعقب ابن القيم : وهكذا من عرف البدع والشرك ، والباطل ، وطرفة فابغضها لله وحذر منها ، ازداد بمعرفتها بصيرة فى الحق وسحبة له . والمقصود أن الله سبحانه وتعالى يحب أن تعرف سبل أعدائه لتتجنب وتبغض ، كما يحب أن تعرف سبيل أوليائه لتحب وتسلك"^(٤٣)

ذلكم لأن أخشى ما يخشاه المؤمن أن يختلط عليه الأمر فيرى المعروف منكسراً أو المنكر معروفاً ، وقد يستمرىء المسلم ذلك حتى يقع فى محذور يؤدى الى الهلاك . يقول شيخ الاسلام بن تيمية : " واتيان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يستوجب تمييز المعروف من المنكر والطيب من الخبيث "^(٤٤)

" وقد اجمع العلماء على أن الدعوة الى الخير مشروطة كما يقول الامام الرازى - بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمنكر ، فان الجاهل ربما دعا الى الباطل والمنكر ونهى عن المعروف ، وربما عرف الحكم فى مذهبه ، وجهله فى مذهب صاحبه "^(٤٥)

(٤٢) الفوائد لابن القيم ص ١٠٩ مطبعة الرياض الحديثة والامام ابن القيم هو: شمس الدين محمد بن ابي بكر بن ايوب الزرعى امام المدرسة الجوزية وابن قيمها ولد سنة ٦٩١ وتوفى سنة ٧٠٤ هـ سمع الحديث واشتغل بالعلم وبرع فى علوم متعددة ولا سيما التفسير والحديث والاصول وما يتصل بالقضاء والسياسة الشرعية . لازم ابن تيمية سبعة عشر عاما تقريبا حتى عام ٧٢٨ أى العام الذى توفى فيه شيخ الاسلام . وكان رحمه الله حسن القراءة والخلق لا يحسد أحدا ولا يؤذيه ولا يعيبه (ص ٢٣٤ ج ١٤ — البداية والنهاية لابن كثير)

(٤٣) المرجع السابق ص ١١١

(٤٤) الحسبة فى الاسلام ص ٧١

(٤٥) تفسير الفخر الرازى لقول الله تعالى : كتمت خيرا أمة أخرجت للناس .

هــذا : وقد بيدو التمهيـد طويلا ولا غرو فان التعريف بالمعروف والمنكر
والعلم بهما أقوم للرسالة وأفيد ، لأنهما صلب الرسالة كما أن العلم بالمعروف
والمنكر وتعريف الناس ^{بهما} قبل الاحتساب ، أكد في هذا الزمان حيث فسد سـلوك
الانسان ، واضطرب اضطرابا جعل رؤية الحق عسيرة وسط ضباب متكاثف من
المناهج المتعددة التي تقدم بأسم الاصلاح ، وكل يدعي أنه الحق ولا شيء سواه ،
وقد يكون بعيدا كل البعد عن منهج الله .

تعريف المعروف والمنكر

في المعروف والمنكر جماع الشريعة ومناطق التكليف ومجال الحسبة والمحتسب .
ومن ثم لزم تعريف كل من المعروف والمنكر لغة واصطلاحاً بما يتسع له المقام .

أولاً : تعريفهما في كتب المعاجم :

ومعاجم اللغة قد أسهمت في هذا الباب بقسط وفير . ولم يقتصر اهتمام هذه المعاجم على المعنى اللغوي ، ولكنها أسهمت أيضاً في المعنى الاصطلاحي . وسأقتطف شيئاً مما قيل في بعض هذه المعاجم :

١- مادة (ع ر ف) في لسان العرب لابن منظور : ^(٤٦) العرفان : العلم -

ورجل عروف ، وعروفه للمبالغة : عارف للامور ولا ينكر أحداً رآه مرة .

وعريف مثل عليم قال والعريف : القيم والسيد لمعرفته بسياسة القوم ،

والمعروف ضد المنكر ، والعرف ضد النكر - قال الزجاج : المعروف هنا :

ما يستحسن من الأفعال - قال الله تعالى (والمرسلات عرفا) يعنى

الملائكة أرسلوا للمعروف والاحسان ثم يقول صاحب لسان العرب :

والمعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان إلى

الناس وكل ما ندب إليه الشرع .

قال طريف بن مالك العنبري :

أو كما وردت عكاظ قبيلة .
بعضوا إلى عريفها يتوسم .

■ وجاء في مادة : (ن ك ر) : في لسان العرب أيضاً الإنكار : الجحود

- والمناكرة : المحاربة والنكيرة : إنكار الشيء ، وهو نقيض المعرفة ، ونكر

الأمر نكيراً : جهله ، والاستنكار : استفهامك أمراً تنكره . . . إلى آخر

ما جاء به من مفردات .

ثم يقول :

والمنكر من الأمر : خلاف المعروف وقد تكرر في الحديث الإنكار والمنكر

وهو ضد المعروف . وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر "

(٤٧)

وفي معجم متن اللغة : للشيخ رضا

-٢

ومما جاء في مادة : (ع ر ف) العرف : الصبر والعارف المعروف :

الصبور العرفة : المعرفة ، والمعروف : الجود ، وحسن الصحبة . . .

ثم يقول : وهو اسم لكل فعل يعرف ~~هكذا~~ وشرعاً حسنه ، وهو ضد المنكر "

(٤٦)

(٤٧)

ومما جاء في مادة (ن ك ر)

نكر الشيء نكرا : جهله وجاهده - والمنكور ما يعد منكرا، وانكر الأمر انكارا : نكزه وجاهده - عابه عليه ونهاه عنه . وأصل الانكار أن يرد على القلب ما لا يتصور - والانكار والنكير : تغيير المنكر.

ثم يقول :

" المنكر ضد المعروف . وهو ما قبحه العقل الصحيح وحرمه وكرهه ، أو تنوقف باستقباحه العقل فتحكم العقل بقبحه وتحريمه "

وكلام الشيخ رضا هذا مأخوذ بنصه من غير عزو من كتاب " المفردات في غريب القرآن " للراغب الاصفهاني ص ٥٠٥ طبعة دار المعرفة - بيروت - هذا وفي كتاب المفردات الكثير الكثير في مادتي " عرف " و" نكر " في صفحتي ٢٣١ ، ٥٠٥ . وكذلك : تاج العروس والمصباح المنير .

ثانيا : تعريف المعروف والمنكر لدى الفقهاء والمفسرين :

الحق الذي لامراء فيه أن المعيار لتحديد المعروف والمنكر هو الشرع لا العقل . . ولا مجال لهذا العقل مع قول الحق تبارك وتعالى " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ^(٤٨) " فما أمرنا به الشرع هو المعروف ، وما نهانا عنه الشرع هو المنكر " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ^(٤٩) "

وهذا المعتقد هو ما عناه الفقهاء والمفسرون عندما عرفوا المعروف والمنكر في ثنايا كلامهم . ولقد شاع على ألسنة بعض المفسرين : المعروف ما حسنه العقل والشرع ، والمنكر ما كان قبيحا لدى العقل والشرع .

لكن هؤلاء أرادوا عقل المؤمن الذي سلمت فطرته وطاب منبعه ، والذي لا يتعارض مع أوامر الله ونواهيه .

وهذا ما قاله شيخ المفسرين بالمأثور الامام بن جرير الطبري ^(٥٠) : " أصل المعروف كل ما كان معروفا فعله ، وكل جميل مستحسن غير مستقبح من أهل الايمان بالله وانما سميت طاعة الله معروفا؛ لأنه ما يعرفه أهل الايمان ، ولا يستنكرون فعله

(٤٨) سورة الحشر الآية ٧

(٤٩) سورة الاحزاب الآية ٣٦

(٥٠) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المفسر والمؤرخ ولد سنة ٢٢٤ وتوفي

٣١ هـ - وهو صاحب تاريخ الطبري المشهور . وتفسير المسمى :

وأصل المنكر ما كان قبيحا فعله ، وإذ لك سميت معصية الله منكرا لأن أصل
الإيمان يستنكرون فعلها ويستعظمون ركوبها (٥١)

ويقول صاحب الآداب الشرعية : " الأمر بالمعروف : هو كل ما أمر به شرعا
والنهي عن المنكر : هو كل ما ينهى عنه شرعا (٥٢)

فليس الاستحسان نابعاً من تحسين العرف ، أو أن العقل ينهض دليلاً على
الفعل أو الترك . وقد كان الدكتور عبد الله التركي مصيباً كل الإصابة في تخريجه
الاستحسان لدى الفقهاء والاصوليين إذ قال : " الاستحسان ليس خارجاً عن
الأدلة الشرعية البتة ، وليس دليلاً مستقلاً بل هو من باب ترجيح الأدلة ، وقد
اتفق عليه العلماء ، ولا يصح القول به دون دليل . . . وإذا كان مستنداً إلى
دليل فالحجة في الدليل . . . (٥٣)

هـ . . . والأدلة لا تكاد تحصر ولكنها تثبت حقيقة واحدة أن المعروف
والمنكر من الأمور التوقيفية ، وليس لكائن من كان فرداً أو جماعة تحديدهما بعقله
القاصر المحدود بالزمان والمكان والحاطط بالنوارع والاهواء . (٥٤)

والى هنا يكون المعروف والمنكر قد وضح بما يتسع له المقام من حيث معناهما
ومصدرهما . ولنعرض الآن بقدر الحاجة لمراتب المعروف والمنكر، فمعرفة ذلك أمر
لا يستغنى عنه المحتسب .

(٥١) تفسير الطبري ج ١٠ ص ٢٨

(٥٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية للإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن
مفلح المقدس الحنبلي المجلد الأول ص ١٧٤ طبعة وزارة المعارف
مكتبة الرياض الحديثة سنة ١٩٧٧

* وابن جرير الطبري هو : المحدث الفقيه الجامع لاثبات العلوم . . أبو
جعفر بن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري ولد سنة ٢٢٤ وتوفي
سنة ٣١٠ هـ فقه العلم صغيراً وتلقى العلم على مشاهير علماء عصره
في البصرة والكوفة ومصر . حفظ القرآن لسبع ، ورحل في طلب العلم
وألف في التاريخ والحديث والفقه والتفسير وعلوم القرآن وصارت مؤلفاته
قارت الثلاثين من المصادر والمراجع واشتهر بتفسير الطبري وتاريخ
الطبري كما كان أدبياً وشاعراً .
عن محقق تاريخ الطبري طبعة ثالثة - دار المعارف .

(٥٣) أسباب اختلاف الفقهاء ، د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي مدير جامعة
محمد بن سعود الإسلامية - طبعة أولى سنة ١٣٩٤ هـ ص ١٢٨

(٥٤) لا يفوتني أنه أمر صفا : أنه العقل سليم يدره لجهه والقيمه ، ولكنه مناط
التلخيص إنما هو للشرع . والله أعلم .

مراتب المعروف والمنكر

عقيدة المسلم أن المشرع هو الله ، وأن الشريعة جاءت لتلبي حاجة المجتمع المسلم ليكون خيراً أمة أخرجت للناس ، ومن يأتي خارجاً على حدود الشريعة فهو المنكر ، والمزاولون للمنكر ارتضوا طريقاً غير طريق الله . . . " أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون " (٥٤) " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً " (٥٥)

وبعد ما يستقر هذا المعتقد في حس المؤمن وقلبه ينصرف الدعاء والمحتسبون الى تقديم الاله فالهم .

وهذا التدرج هو الذي عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : " الايمان بضع وسبعون شعبة . . . فافضلها قول لا اله الا الله ، وأدناها امانة الاذى عن الطيرين ، والحياة شعبة من الايمان . . . " (٥٦)

وروى أبو جعفر الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى " كستم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف . . . الآية " قوله : تأمرونهم بالمعروف : أي أن يشهدوا بالاله الا الله ، والاقرار بما أنزل الله ، وتقاتلونهم عليه . ولا اله الا الله هو أعظم المعروف . وتنهون عن المنكر ، وهو التكذيب ، وهو أنكر المنكر (٥٧)

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي الذنب اعظم عند الله ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك . قلت ان ذلك لعظيم قلت : ثم أي ؟ وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك . قلت : ثم أي ؟ قال أن تزاني حليلة جارك " (٥٨)

فهناك أعظم المعروف وهو التوحيد ، وهناك أنكر المنكر وهو الشرك . فتأكد التدرج في المعروف والمنكر .

والاحتساب في المجتمع الاسلامي يجب أن يهدف أولاً الى تحصين المسلم بالعقيدة واخلاص العبودية لله ثم يأتي دور الصلاة

(٥٤) سورة المائدة الآية ٥٠

(٥٥) سورة النساء ٦٥٦

(٥٦) رياض الصالحين ج ١ ص ١٣٢ تعليق صبحي الصالح وفي صحيح مسلم ج ١ ص ٦٣ طبعة رئاسة ادارات البحوث

(٥٧) تفسير الطبري تحقيق محمود محمد شاكر ج ٧ ص ١٠٥ وأنظر تفسير

الخازم ج ١ ص ٣٣٩ و ٣٤١

(٥٨) صحيح البخاري ج ٥ ص ١٤٨ طبعة استانبول .

وهكذا . . . الى آخر ما يبههم المسلم العمل به .

وهذا هو ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ رضى الله عنه حينما بعثه الى اليمن فقال له: " انك ستأتى قوما من أهل الكتاب ، فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا الا اله الا الله وأن محمد رسول الله، فان هم اطاعوا لك بذلك فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليله ، فان هم طاعوا لك بذلك فاخبرهم أن الله قد فرض عليكم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم طاعوا لك بذلك ، فايكم وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينه وبين الله حجاب" (٥٩)

وفى الحديث الشريف أيضا عن ابى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أى العمل أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله ، قيل : ثم ماذا ؟ قال الجهاد فى سبيل الله ، قيل : ثم ماذا ؟ حج مبرور" (٦٠)

واذا ثبت التدرج - والادلة كثيرة من كتاب الله والسنة وكلام العلماء فما ميسرة الوقفة عند هذا التدرج فى مراتب المعروف والمنكر ؟

(٥٩) صحيح البخارى ص ١٠٩ من الجزء الخامس كتاب رقم ٦٤ من طبعة

استانبول - تركيا - المكتبة الاسلامى .

(٦٠) المرجع السابق ص ١٢ من الجزء الأول .

مزية معرفة هذا التدرج

لمعرفة ذلك، يجب على المحتسب أن يضع نصب عينيه أمرين :

الأول : أن المعروف والمنكر لا يعنيان دعوة إلى الاخلاق الحميدة والبعد عن المخالفات فحسب . ولكن المعروف والمنكر دين وشريعة ، والدين والشريعة هما سلوك المسلم وتطبيقاته في حياته العملية ، يبدأ ذلك من الايمان بالله وينبذ ما عداه من أرباب وأصنام مروراً بكل ما يصدر عن المسلم مما يبتغى به عبادة الله ، حتى البشاشة في الوجوه ، واماطة الاذى عن الطريق .

ويدخل في الامر الاول هذا : أنه لا فرق في المبادرة عند الاحتساب بين الصفائر والكبائر ، فالاسلام كل لا يتجزأ ، واهمال شعبية من شعب الايمان مهما صغرت مؤذن بشر مستطير :

لا تحقن صغيرة . . . ان الجبال من الحصى

والامر الثاني اعتبار الاولويات وتقديم الاهم على المهم ، بمعنى أن المحتسب لا يجد في مسلم مظهراً من مظاهر الشرك وهو في الوقت نفسه لا يعطى الطريق حقه من افشاء السلام مثلاً ، فان على المحتسب أن يصرف همه إلى تصحيح معتقد أخيه وتخليصه من مظاهر الشرك أولاً ، ثم ينتقل إلى ما هو دونه .

وللامام الغزالي في هذا المقام مثل طريف لمن يشغل نفسه بالامر الاقل رتبة ويترك الهم حيث يقول : فمن غصب فرسه ولجام فرسه ، فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس ، نفرت منه الطباع ويرى مسيئاً " (٦١)

وعلى المحتسب أن يعلم في هذا الصدد أن الاعمال تتفاضل بحسب أهميتها ووسائل الرصoul إلى النتائج .

جاء في قواعد الاحكام للشيخ عز الدين بن عبد السلام : " يختلف أجر وسائل الطاعات باختلاف فضائل المقاصد ومصالحها ، فالتوسل إلى معرفة الله تعالى ومعرفة ذاته وصفاته أفضل من التوسل إلى معرفة أحكامه ، والتوسل إلى معرفة أحكامه أفضل من التوسل إلى معرفة آياته . . . إلى آخره . . . ثم يقول :

"وكما قويت الوسيلة في الآداء الى المصلحة كان أجرها أعظم من أجر ما نقص عنها ، فتبليغ رسالات الله من أفضل الوسائل ، لأنها الى جلب كل صلاح دعوت اليه الرسل^{دعوت} ، والى درء كل فاسد زجرت عنه الرسل^{نهت} . . الى أن يقول :
 " فالأمر بالايان أفضل أنواع الأمر بالمعروف ، وكذلك الأمر بالفرائض أفضل من الأمر بالنوافل . . وكذلك النهي عن المنكر وسيلة الى دفع مفسدة ذلك المنكر المنهى عنه ، ورتبته في الفضل والثواب مبنية على درء مفسدة الفعل المنهى عنه . . فالنهي عن الكفر بالله أفضل من كل نهى ، في باب النهي عن المنكر . . وهكذا " (٦٢)

وفي نفس الاتجاه يرى الفخر الرازي في تفسير " كتم خير أمة أخرجت للناس . . ما يفيد التفاضل بين الأعمال وتقدير الاهم فالمهم وأن الجزاء تابع للعمل .
 وما أورده : " وأعرف المعروفات : الدين الحق والايان بالتوحيد والنبوة .
 وأنكر المنكرات : الكفر بالله . فكان الجهاد في الدين مجملا لأعظم المضار لفرع ايصال الخير الى اعظم المنافع ، وتخليصه من أعظم المضار ، فوجب أن يكون الجهاد أعظم العبادات " (٦٣)

والنصوص التي توجب تقدير الأولي أكبر من أن تحصر في كتب الفقه والاصول ، ولدى المفكرين ، وأختم ما اخترته في هذا المجال بما جاء في الفواكه العديدة :
 " ان الأمر اذا دار بين درء المفسدة وجلب المصلحة كان درء المفسدة أولى من جلب المصلحة ، واذا دار الأمر أيضا بين درء احدى المفسدتين وكانت احدهما أكثر فسادا من الأخرى فدرء العليا فيها أولى من درء غيرها ، وهذا واضح يقبله كل عاقل ، واتفق عليه أولو العلم " (٦٤)

(٦٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للشيخ أبي محمد عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي - المتوفى سنة ٦٦٠ هـ ج ١ ص ١٢٨ طبعة دار الشرى للطباعة ١٣٨٨ هـ

(٦٣) الفخر الرازي ج ٨ ص ١٩١

(٦٤) وهذا الكلام للشيخ أبي اليقاف فقي الدين الفتوحى في كتاب : الفواكه العديدة في المسائل المفيدة للشيخ أحمد بن محمد المنفور - التميمي

الفصل الثاني : "المجتمع الإسلامي"

- تمهيد :
- التصريف بالمجتمع الإسلامي .
- ركائز المجتمع الإسلامي .
- المجتمع الإسلامي تقدمه .

الفصل الثاني

المجتمع الاسلامى

تمهيد :

علم الاجتماع والهدف منه

حسنا القرآن الكريم على أن نقرأ ونعى قصص السابقين فى محكم التنزيل . . ومع القراءة السير ما أمكن فى أنحاء الأرض حتى نرى ما كان من الامم السابقة ، وما حدث للمجتمعات الغابرة .

ولقد لفت القرآن الكريم الأنظار الى ذلك فى مئات من الآيات ، بغية الوصول الى معرفة المقدمات والنتائج ، حيث لا تتخلف السنن التى وضعها الله : " قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين " (٦٥)

وعلى أساس من البصر والنظر ، وسنن الله فى المقدمات والنتائج ؛بنى العلامة ابن خلدون رؤية فى أصول علم الاجتماع فسماه ، ووضع له سميات معينة ، ومن كلامه فى هذا العلم : " فالقانون فى تمييز الحق من الباطل فى الاخبار بالامكان والاستحالة أن ننظر فى الاجتماع البشرى الذى هو العمران ، ونميز ما تلحقه من الأحوال " (٦٦)

فلما سار على هذا النهج تبينت له معالم مستقلة لعلم الاجتماع فقرر أن " هذا العلم مستقل بنفسه ذو موضوع ، وهو العمران البشرى ، والاجتماع الانسانى " (٦٧)

وفى سياق المقدمات والنتائج يورد ابن خلدون نصحا نقله عن المسعودى فى عظة الملوك " ايها الملك : ان الطاء لا يتم عزه الا بالشريعه ، والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهيه " (٦٨)

وهذا المنهج ذو المقدمات والنتائج هو ما عبرت عنه الآيات الكريمة " ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون " (٦٩)

(٦٥) سورة آل عمران . : ٣٧

(٦٦) مقدمة ابن خلدون : ص ٣٧

(٦٧) مقدمة ابن خلدون : ص ٣٨

(٦٨) المرجع السابق ص ٣٩

(٦٩) سورة الأعراف - ٩٦

فإذا تدبر الناس كتاب الله عثروا فيه على أسس علم الاجتماع وفق قواعد ربانية
اسلوك المجتمع الاسلامي، والتي تدعو الى الايمان بالله وطاعته ، وصلاح المجتمع
واستقراره " ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم " بما فيه من الأوامر والنواهي
التي تضمن سلامة المقدمات المؤدية الى حسن العاقبة وايجابية النتائج .

هذا . . . : ولقد توقف عطاء المسلمين أو كان في مضمار البحث الاجتماعي
بعد ابن خلدون رغم أنه قال في آخر صفحة من مقدمته الشهيرة : " واعمل
من يأتي بعدنا ممن يؤيده الله بفكر صحيح ، وعلم مبین يعوض في مسأله أكثر
ما كئنا ، فليس على مستنبط الفن احصاء مسأله، وانما عليه تعيين موضوع العلم
وتنوع فصوله وما يتكلم فيه ، والمتأخرون يلحقون المسائل من بعده شيئاً فشيئاً
الى أن يكمل . . . " والله يعلم وأنتم لا تعلمون "

ولم تجد هذه الوصية صداها لدى الباحثين المسلمين بالحجم الذي أشار
اليه ابن خلدون . . . فركب العلم أو كان .
ومن بعد ابن خلدون بالف عام تقريبا بذل العالم الفرنسي " أوجست كونت "
جهوداً مشمرة مستفيداً من ابن خلدون .

وكان الدافع الأول لبحوثه: هو محاولة اصلاح الخلل الذي أصاب المجتمع الفرنسي
بعد الثورة الفرنسية .

فعلم الاجتماع ان لم يكن من وضع الغرب كما يدعى المدعون الا بمقدار ما فيسه
من تفصيلات وتقسيمات، وبمقدار ما فيه ايضاً من نظريات وانحرافات تضع من شأنه
وتشكاه في أهدافه .

وانا أراذ المسلمون أن يبرزوا علم الاجتماع عملاقاً يتفوق على الأقران، ودراسات
يصدقها الواقع وتدعمها النتائج ، فطبيهم أن يجعلوا من الحسبة أساساً لعلم
الاجتماع ، كما أن عليهم أن يرصدوا تاريخ المجتمع الاسلامي في عصوره الأولى ،
لدراسة ركائزه وبنائه ، ومقدماته ونتائجه .

■ التعريف بالمجتمع المسلم :

المجتمع الاسلامي هو مجتمع الانقياد لله ، وهو الذي يدخل فيه الفرد بالنطق
بالشهادتين، فاذا أقربهما صار مسلماً حكماً ، واذا عمل بمقتضى لاله الا الله
محمد رسول الله ، صار مسلماً حقاً . وتدرج في درجات الايمان والاحسان عن
طريق الالتزام بما أمر الله به وبما نهى عنه .

وهذا هو الدين عقيدة وسلوكاً " ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ،
وهو في الآخرة من الخاسرين " (٧٠)

أولاً : التوحيد بمعناه العميق المؤدى الى التسمي لعبادة الله الواحد الأحد ، وكلما أخلص المسلم العبودية لله ، كلما خلصت له السيادة والحرية والتميز على الأرض ، وخير لكرامة الانسان أن يكون عبدا لله لا عبدا لبشر أو حيوان أو جماد . . الى غير ذلك من الأوثان " وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ^(٧٥)

ثانياً : السمع والطاعة في المنشط والمكروه ، ومعنى السمع والطاعة ، ألا يصدر عن المسلم في السر والعلن الا ما يرضى الله ورسوله " وما كان لمؤمن ولا لمؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا ^(٧٦) . . جاء في تفسير هذه الآية " فهذه الآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه اذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ، ولا اختيار لأحد ولا رأى ولا قول . . وفي الحديث : " والذي نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) ^(١)

وهذا ما يكون حس المؤمن وضميره، فيسير في حياته بخطى ثابتة دقيقة، نحو تحرى فعل المعروف وترك المنكر انسجاما مع قول الله تعالى " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " ^(٧٧) جاء في تفسير القرطبي في هذه الآية : هذا يوجب أن كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمر من الله تعالى والآية وان كانت في الفناء فجميع أوامره صلى الله عليه وسلم ونواهيها داخل فيها ^(٧٨) ،

(٧٥) سورة الذاريات : ٥٦ : ٥٨
(٧٦) سورة الاحزاب : ٣٦
(٧٧) سورة الحشر : ٧
(٧٨) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : والقرطبي هو : ابو عبد

الله محمد بن احمد بن ابو بكر بن فرح الانصارى الخزرجى الاندلسى القرطبي المفسر وتفسيره (الجامع لأحكام القرآن) والعين لما تضمن من السنة وآى الفرقان) من أجل التفاسير وأعظمها نفعا . وقد اشتهر القرطبي بالصلاح والزهد - وله مؤلفات كثيرة منها قمع الحرص بالزهد والقناعة . قال ابن فرحون لم أقف على تأليف أحسن منه فى بابها . وقد توفى رحمه الله بصعيد مصر فى منية ابن خصيب ٦٧١ هـ .

تفسير ابن كثير : ابو الفدا اسماعيل بن كثير القرشى المتوفى ٧٧٤ هـ

(١)

وجاء في تفسير القاسمي : " قال الزمخشري : الأجود أن يكون قوله تعالى : "وما آتاكم الرسول فخذوه . الآية : عاما في كل ما أتى به رسول الله عليه وسلم ونهى عنه وفي الاكيل للسيوطي ، فيه : امتثال أوامره ونواهيه صلى الله عليه وسلم . قال العلماء : وكل ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم يصحح أن يقال انه من القرآن أخذا من هذه الآية . " (٧٩)

هــذا والسمع والطاعة يكون أخذهما مباشرة من الكتاب والسنة أو بواسطة أمريهما ولا سيما من أوجب الله طاعتهم من أولى الأمر . قال الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم " . (٤)

ثالثا : الاعتصام بحبل الله المتين ، ونبذ الخلاف وكل اسباب التفرق ، والتواصي بالحق والصبر وأن يحب المسلم لأخيه ما يحبه لنفسه ، فالمجتمع الاسلامي مجتمع الايثار والتألف ، والتجمع على كلمة سواء ، متعاونين على نصرة الحق ، مقدمين الاله على المهم على أساس الحب في الله واليغفر في الله .

قال الله تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم ان كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا " الآية جاء في تفسير هذه الآية في أحكام القرآن : التفرق المنهى عنه يحتمل ثلاثة أوجه الأول التفرق في العقائد لقوله تعالى : " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليه ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه " والثاني في قوله عليه السلام لا تحاسدوا ولا تدابروا ، ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا بعضه قول الله تعالى " واذكروا نعمة الله عليكم . . الآية . والثالث ترك التخطئة في الفروع والتبجيري منها ، وليمنر كل أحد على اجتهاده ، فان الكل بحبل الله معتصم ، وبدليله عامل ، وقد قال محمد لأصحابه : لا يصلين أحدكم العصر الا في بنى قريظة . فمنهم من حضرته العصر فأهرها حتى بلغ بنى قريظة عملا بظاهر قول النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من قال : لم يرد هذا منا ، وانما أراد الاستعجال

(٧٩) محاسن التأويل : محمد جمال الدين القاسمي طبعة دار الفكر - المجلد

التاسع ج ١٥ ص ٩٩ -

(٤) سورة النساء : ٥٩ -

فلم يعنف النبي صلى الله عليه وسلم أحدا منهم - والحكمة في ذلك أن الاختلاف والتفرق المنهى عنه ، إنما هو المؤدى الى الفتنة والتعصب وتشتت الجماعة فأما الاختلاف في الفروع فهو من محاسن الشريعة " (٨٠)

وفي تفسير قول الله تعالى " ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا . . الآية . قال الفخر الرازى " انه تعالى لما أمر بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك مما لا يتم الا اذا كان الأمر بالمعروف قادرا على تنفيذ هذا التكليف على الظلمة والمتفالين ، ولا تحصل هذه القدرة الا اذا حصلت الألفة والمحبة بين أهل الحق والدين ، لاجرم حذرهم تعالى من الفرقة والاختلاف - لكي لا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف " (٨١) ألا ما أوحى الدعاء الى الألفة والتعاون!

رابعاً : الايمان بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب ، وهذا الايمان هو المحرك لسلوك المسلم نحو الهدف : " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره "

واذا رسخ في قلب المؤمن ان الدنيا مزرعة الآخرة، وأنها هي دار البقاء ، اتقى ربه حين تقائه وعمل لآخرفته ولديه حصانة من رقابة الله تتحقق في نفسه وتظهر في سلوكه وتصرفاته لتقيه من الوقوع في المخالفات أو الاستمرار فيها .

وكان الايمان بالآخرة من أهم ركائز المجتمع الاسلامى لأن الوازع الدينى اذا مسك بزمام المسلم استراج الحاكم والمحكوم، وسيطر الأمن بأقل التكليف، لأن المسلم يخشى الله قبل الخوف من السلطات الا من شذوا واحتاج الى القمع ، نتيجة لضعف فى الايمان .

(٨٠) أحكام القرآن الحافظ القاضى أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بأبن العربي المغافرى الاندلسى الاشيللى ختام علماء الاندلس وائتمتها المولود فى سنة ٤٦٨ هـ والمتوفى سنة ٥٤٢ هـ . طبعة أولى سنة ١٣٣١ هـ مطبعة السعادة بمصر ١٢١ و ١٢٢ .

خامسا : الجهاد . . . ومفهوم الجهاد في الاسلام مفهوم واسع الارحاء متعدد الصور، يشمل كل عمل يراد به وجه الله، ويهدف الى أن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله .

فيدخل في دائرة الجهاد : القتال في سبيل الله - والعمل والانتاج في سبيل كف حاجة المسلمين ، والسعى في طلب العلم والرزق ، ومغالبة النفس والشيطان، والاحتساب وهو من أنفع أبواب الجهاد في سبيل الله ، لأن عمله داخل المجتمع الاسلامي عمل جهاز الصيانة الدقيق الحساس الذي يتلافى الاخطاء أولا بأول بعد العمل على ألا تقع الأخطاء . . .

فالحسبة عمل دائب لبيان ما خفي من المعروف، وكف ما بدأ من المنكر، ورأب الصدع إذا حدث خلل .

سادسا : الالتزام بالمحافظة على مقاصد الشريعة الاسلامية داخل المجتمع الاسلامي والتي تعنى المحافظة على :

الدين - النفس - الأموال - الأعراس - العقل - وما يترتب عليها من المحافظة على كيان المجتمع بأسره ؛ من سلامة الأسرة ولزوم الجماعة والنصيحة لأولى الأمر . . . الى آخره مما يضمن سلامة المجتمع الاسلامي . ومن ثم كانت هذه الركيزة هي ملاك الركائز وعمودها وبدونها تنهار الركائز الأخرى .

فكان الالتزام بالمحافظة على مقاصد الشريعة الاسلامية هو الركيزة العملية التي تبرهن على أن التوحيد استقر في القلوب، وبدأ على السلوك، بالسمع والطاعة لله وللرسول ولأولى الأمر . . . كما أنها لا تتم الا بالاعتصام بحبل الله والتعاون في الخير والعمل للأخيرة ومزاولة الجهاد بكل صوره وأشكاله دوماً للمفسدة وجلبا للمصلحة .

● وكانت هذه الركيزة زرا السنام " لأن الشريعة الاسلامية كسائر الشرائع السماوية موضوعة لمصلحة العباد في العاجل والآجل ، ولذلك كان علينا ألا نطلب المصالح الا عن الطريق الذي رسمه المشرع وعلى الحد الذي حده ، لا على مقتضى الالهواء والشهوات — ذلك لأن الشريعة التي جاءت لتخرج المكلفين من دواعي أهوائهم حتى يكونوا عبيدا لله ، وذلكم هو ما أرسل الله به رسوله صلى الله عليه وسلم الى الناس " يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم

ويعلم عليهم الخبايا

(٨٢)

الطبيات ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم *

ومن ثم كان التشريع الاسلامي عطاءً من الله لعباده فجاء الشرع منزلاً عن الهوى والأغراض، وجاءت الآيات والأحاديث مدعمة لمقاصد الشريعة الاسلامية، ولم يأت حكم الا وهما سقترن بالتعليل المؤدى الى مصلحة العباد، والنصوص في هذا المجال لا تكاد تحصر قال الله تعالى " وما أرسلناك الا رحمة للعالمين " (٨٤) يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون (٨٥) ولقد كان لكم ماركز عليه النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع هو توضيح مقاصد الشريعة الاسلامية كأهم ركيزة يرتكز عليها المجتمع الاسلامي وقد ورد ذلك في أحاديث كثيرة منها :

ما رواه الامام البخارى عن أبى بكره رضى الله عنه قال : خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر قال : أتدرون أى يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا بلى ، قال : أى شهر هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه فقال : اليس ذو الحجة ؟ قلنا بلى قال أى بلد هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال : أليست بالبلدة الحرام ؟ قلنا بلى . قال : فان دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا الى يوم تلقون ربكم . . ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم . قال : اللهم اشهد . فليبلغ الشاهد منكم الغائب . فرب مبلغ أوعى من سامع ، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض * (٨٥)

والروايات فيما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع كثيرة كلها تؤكد على ركيزة المحافظة على مقاصد الشريعة الاسلامية داخل المجتمع الاسلامي (٨٦)

-
- (٨٢) كتاب الحيل فى الشريعة الاسلامية - الشيخ محمد بن عبد الوهاب البحرى - الطبعة الاولى ١٩٧٤ مطبعة دار السعادة بمصر ص ٢٢٨ و ٢٣١ - يتصرف .
- (٨٣) أصول الاحكام الشرعية وبادىء علم الانظمة دكتور عبد العزيز على النعيم - طبعة أولى - الاتحاد العربى للتجارة بمصر ص ٢٩
- (٨٤) سورة الانبياء : ١٠٧ - سورة البقرة : ١٨٣
- (٨٥) صحيح البخارى ج ٢ ص ١٩٢ طبعة استانبول تركيا .
- (٨٦) أنظر سنن الترمذى فى تفسير سورة التوبة رقم ٣٠٨٧ وصحيح مسلم ص ١٣٠٥ طبعة ادارات البحوث .

وهذا الالتزام في المجتمع الاسلامي هو ما يسميه بعض الباحثين الرأي العام
الفاضل . وهذا الرأي العام تكون له رقابة نفسية وحسية تجعل الفاعل للمنكسر
يتوارى خشية أن يرى . كما تجعل فاعل الخير يعلن ويفاخر به .

وممارسة الاحتساب في المجتمع الاسلامي ينكسر الشر وفاقوه، وينتشر الخير
وأهدله .

ومن أجل العودة الى مجتمع الالتزام بأوامر الله ونواهيه كانت الحسبة ضرورة -
لايجاد المجتمع الاسلامي وانما تشتد ضرورتها اذا نظرنا الى المجتمع الاسلامي
الآن . وما غوغ عليه من بعد عن الله وشرعه .

=====

=====

المجتمع الاسلامى الآن

المجتمع الاسلامى لن يضل اذا تمسك بكتاب الاله وسنة رسوله وقد تمسك بهما وسار على المحجة البيضاء فنال الفوز والخير . . وكان المسلمون بذلك خير أمة أخرجت للناس .

وقد شهد بذلك تاريخ الدنيا فى عصور الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان .

ثم خلف من بعدهم خلف ، عطلوا العمل بالكتاب والسنة . . وضيعوا فريضة الحسبة . . حتى تعود الناس تراك المعروف واستمروا فعل المنكر - فأختل توازنهم ، ومرر تصورهم وضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

ومن نظر الى حل المجتمعات الاسلامية الآن وجدها أثرا بعد عين حيث أهتزت ركائز المجتمع الاسلامى ، وهدمت كثير من أركانه . . ومنها مقاصد الشريعة الاسلامية التى جاءت لجلب المصلحة ودرء المفسدة ، وكان ضياعها سببا فى جلب المفسدة وإبعاد المصلحة . ولا تسلب بعد ذلك عما يحدث من شرور .

فالشرك قد فشا وتعددت صورته ، واستبيح اعتناق المذاهب الهدامة - كما ظهر التطرف والايغال ، وشاعت البدع فى أثواب مختلفة وطرق متعددة . والنفسام تعد فى مأمن من الاعتداء عليها فى ظل القوانين الوضعية التى تحكم بالبراءة على القاتل أو تعاقبه بالسجن الذى هو الى التعزيز أقرب منه الى إقامة الحد .

والعقل قد أصبح عرضة للضياع والتلف بعدما شاع الفساد وتنوعت أنواع المسكرات وبيحت . . أو حظر بعضها ولكن زوال الوازع الدينى أدى الى التحايل على هذا الحظر .

والنسب قد اختلط والعرض قد انتهك فى ظل فوضى العرى والعهر والاختلاط حتى تبيع حرر الرجل ، وبردت دماؤه بعد أن أنس قلبه المريض معصية الله - ونفدا الهوى والشيطان ، هما الأمر الناهى باسم الحرية والتقدمية . . فسافرت المرأة شهورا مع غير محرمة ، وباتت فى غير بيتها ونفى الحذر ذئاب لادين لهم ولا خلق .

ولا تسل عما يحدث في تلك المجتمعات من الانحراف واختلاط النطف
والانساب . . .

والعمال قد ضاع وأكل بين الناس بالباطل عن طريق السرقة والغصب، والفحش
والاحتيال، وشيوع الربا والرشوة والمتاجرة في المحرمات .

هذا وقد شاع الكذب والنفاق ، والتمزق . والقمار، بل أصبحت الموبقات
والكباثر من مصادر الفنى والشراء . . .

كل هذا الانحلال وغيره حدث بسبب ترك المسلمين الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر .

ألا تكون الحسبة بذلك — بكل ألوانها وصورها — أشد ضرورة للمجتمع
الإسلامي . . حتى تزيل منه الجهل والتجهيل، وترده إلى الصواب . وتنقذه
من عقاب الله ذو البطش الشديد بعد أن يبرأ من أمراضه وعظله .

الفصل الثالث : "تكييف الضرورة"

- تمهيد :
- تعريف الضرورة لغة .
- تكييف الضرورة كما وضحت لى .
- نماذج لأنواع الضرورة .
- تصنيف الضرورة بأنواعها على حسبة داخل المجتمع الإسلامي .

—

الفصل الثالث

تكييف الضرورة . .

تهيئه :

وصف العلاج يستوجب احضار المريض ومعرفة علته ثم تشخيص الداء . . لمعرفة نوع الدواء وقدر الجرعة . واذ اصح هذا المثل .
فالمريض هو المجتمع الاسلامى
وداؤه موجود فى الحسبة
والدقة فى تقرير الجرعة المناسبة هى تكييف الضرورة .

لذلك فان المعنى بالبحث هنا: هو التعريف بتلك الضرورة، ثم تطبيقها على الحسبة داخل المجتمع الاسلامى ، بعد أن تعرفنا على المراد من الحسبة، وعطسى ركائز المجتمع الاسلامى وسماته .

والضرورة المرادة فى البحث، تعنى حاجة المجتمع الاسلامى الى الحسبة حاجة ملازمة، لا يستغنى عنها مثل الماء والهواء . . وحاجة حماية المجتمع الاسلامى من الانحراف والضياع وعقاب الله ، الى آخر ما تنتجه الحسبة من خير يعود على المجتمع الاسلامى تكوينا ، وسلوكا ، ودفاعا ، واستمرارا .
وكل هذا يوجد تحت عناوين ومباحث متفرقة . . ولكنها تمت بصلة وثيقة الى المجتمع الاسلامى مثل : الكلام حول مقاصد الشريعة الاسلامية ، والمصالح المرسله وسد الذرائع . . الى غير ذلك من اهتمامات كتب الفقه والأصول بالاضافة الى بعض الجوانب التى تشيرها كتب النظام الاسلامية .
وسأشرع أولا فى معرفة معنى الضرورة لفة - ثم يلي ذلك بحث المقصود بالضرورة فى هذا البحث

وبالله التوفيق

تعريف الضرورة لفظة :

وقد أوردتها كتب المعاجم بمعنى الحاجة . وحمل الانسان على ما يضره -
وجاءت الضرورة : بمعنى القهر والانقياد، وبمعنى اللجوء الى المحظور - كما
استعملت الضرورة بمعنى ما لا يتم الشيء الا به .
فقد جاء :

١- في لسان العرب في مادة (ضرر)

من اساء الله : النافع الضار

والضرة : شدة الحال - الضراء : الشدة

والضرب : المريب ، وذهب البصر - والضائر : المحاويج والاضطرار
الاحتياج الى الشيء - ورجل ذو ضرورة : أى ذو حاجة - وقد اضطرالى
الشيء : أى ألجى اليه . ومن اضطر : أى نيق عليه .

٢- وفي تاج العروس : نفس المادة

الاضطرار : الاحتياج الى الشيء ، وقد اضطره : أحوجه وألجأه - والضرورة
الحاجة .

ونفس الكلام ورد موجزا في القاموس المحيط وأكثرا يجازا في مختار الصحاح

٣- أما كتاب المفردات في غريب القرآن :

فقد أشيع الاشفاق الى حد كبير - وما جاء في مادة (ضرر)

" والاضرار : حمل الانسان على ما يضره - أى حمله على أمر يكرهه وذلك
على ضربين : أحدهما؛ اضرار بسبب خارج كمن يضرب أو يهدد حتى يفعل
منقادا ويؤخذ قهرا - ويحمل على ذلك قول الله تعالى ثم اضطره الى
عذاب النار " والثاني؛ بسبب داخل وذلك اما بقهر قوة له لا يناله بدفعها
هلاكا ، كمن غلب عليه شهوة خمر أو قمار ، واما بقهر قوة يناله بدفعها
الهلاك كمن اشتد به الجوع فاضطر الى أكل ميتة ، فهو عام في كل ذلك
والضرورى يقال على ثلاثة أضرب :

أحدها : اما يكون على طريق القهر والقسر كالشجر اذا حركته الريح الشديدة .
 الثاني : ما لا يحصل وجوده الا به نحو الغذاء الضروري للانسان في حفظ
 البدن .

الثالث : فيما لا يمكن أن يكون على خلافه نحو أن يقال : الجسم الواحد لا يصح
 حصوله في مكانين في حالة واحدة بالضرورة^(٨٧) .

• ويهمني من هذه المعاني تفسير الضرورة بمعنى الحاجة، والمعنى الذي
 يفسر الضرورة : بما لا يحصل وجوده الا به نحو الغذاء الضروري للانسان .
 فكل المعنيين سيسهم ان شاء الله في توسيع مفهوم الضرورة وصورها التي
 سأعرضها في السطور التالية ان شاء الله .

+*****+

(٨٧) انظر مادة (ضرر) في كل من :

لسان العرب : لابن منظور القاموس المحيط : للفيروز بادي
 المفردات : للراغب الاصفهاني = المصباح السنير ، ومختار الصحاح

تكييف الضرورة كما وضحت لى

تراءت أمامى صور كثيرة للضرورة ، فوجدت لها نماذج متعددة وأنواع تتقارب أحيانا وتبتعد أحيانا لكن كل الصور تتجمع تحت اسم الضرورة .
فمثلا هناك : الضرورة الملجئة ، والضرورة العقلية وضرورة الحياة ، وضرورة الاستمرار الى غير ذلك من أنواع الضرورات .

ولا أدعى أنى أحصيت صور الضرورات .

من أنواع الضرورة :

- ١- الضرورة الملجئة : التى من أجلها يباح المحرم أو يترك الواجب مثال ذلك أكل الميتة لمن أشرف على الهلاك - والصلاة بدون ماء أو تراب لمن فقد الطهورين
- ٢- الضرورة الملازمة : كالهواء للإنسان
- ٣- الضرورة الواجبة : كالوضوء^{قبل} بالصلاة من باب توقف المشروط على وجود شرطه .
- ٤- ضرورة الاستمرار : كالماء يسقى به الزرع على فترات كي يبقى نمو الزرع .
- ٥- ضرورة عقلية : كأخذ النتائج من المقدمات وحصول المسببات اذا تقدمت الاسباب .
- ٦- ضرورة الطاعة :: اذا وجد المؤمن نفسه أمام أوامر الله ورسوله . والطاعة هنا ضرورة لحفظ المعتقد .
- ٧- ضرورة وقائية : كالتحصن ضد الجراثيم والابئة خشيية المرض وانتشار الوباء .
- ٨- ضرورة أمن وسلامة : كاحكام غلق خزانة الأموال خوفا من سطو اللصوص .
- ٩- ضرورة كمال وأفضلية : كالتعلم لمن عين رئيسا لمجمع على مثلا .
- ١٠- ضرورة دفاع ومنع أخطار : كالتصدى لهجوم الاعداء
- ١١- ضرورة تعيين : كمن اتفقوا فى الصورة واختلفوا فى الصفة - كالتمييز بين المسلمين والكمفار فى اقليم واحد .
- ١٢- ضرورة بناء وتكوين : كاحضار المواد الخام لاتمام عطية بناء مثلا
- ١٣- ضرورة تكيف واجتماع : كالتعاون بين أفراد الجماعة على ما يستطيعه الفرد .
- ١٤- ضرورة لنظام الاسلام الشامل لانها جماع الدين - وكل الولايات تنطلق منها وترجع اليها .

هذا : وهو التزام بغير سعيه على وجه ما .. لا تكاد تحصر، فهل

هذا ينطبق على حاجتنا لمجتمع إسلامي للصحة ؟ ...

تطبيق الضرورة بأنواعها على الحسبة
داخل المجتمع الاسلامى

عندما ننظر الى الحسبة وشمولها وأهدافها، وما يصل اليه الاحتساب من المحافظة على شرع الله داخل المجتمع الاسلامى، وأثر الاحتساب فى رقى هذا المجتمع واستمرار تقدمه، حتى تكون له الصدارة والعزة .
وعندما ننقل النظر الى المجتمع الاسلامى الآن ، وما آل اليه من ضعف وتأخر ، نحكم بأن الحسبة ضرورة ملحة للمجتمع الاسلامى ، بكل صور الضرورة وأشكالها
فاذا رحنا نطبق أنواع الضرورة على الحسبة داخل المجتمع الاسلامى
وجدنا الحسبة :

- ١- ضرورة ملحة : يترتب عليها اباحة ما كان حراما أو ترك ما كان واجبا .
فالحسبة مثلا قد تلجى * المحتسب الى قتل المحتسب عليه اذا كان صائلا على النفس أو المال . . ولا يدفع الا بالقتل - " وتغيير المنكر شبهه بدفع الصائل من وجهين : أولهما : ما فيه من الدفاع وان كان الدفاع فيه يعتبر دفاعا عاما لصالح الجماعة . والثانى : ان فى كل منهما تطرا اباحة وهى الدفاع المحظور وهو العدوان والفساد^(١) .
وكترك طاعة الوالدين اذا أمرا بمعصية .
- ٢- والحسبة ضرورة ملازمة : كالهواء للانسان . . وهذا شأن الحسبة بالنسبة للمجتمع الاسلامى لأنه لا بد أن يوجد فى المجتمع من لا يعرف المعروف أو من يقترب المنكر . أو يوجد أى خلل يستحق أن تحتسب عليه واذا تخلت الحسبة عن المجتمع لحظة فربما أخذ الخطأ شكل الصواب أو اتسع خلاف الى غير ذلك مما يخل بالمجتمع . لأن بنى آدم اذا اجتمعوا فلا بد لهم - (كما يقول شيخ الاسلام من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة وأمور يجتلبونها لما فيها من المفسدة ، ويكونون مطيعين للأمر بتلك^(٢) المقاصد وللناهى عن تلك المفاصد^(٣))
- ٣- والحسبة ضرورة واجبة : كالوضوء للصلاة من باب توقف المشروط على وجود شرطه - فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شرط الانضمام الى الأمة الاسلامية . وقد سبق قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد أن تلا قول الله تعالى كتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله * فقال أيها الناس من أراد أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها .^(٤)

٤- والحسبة ضرورة تجدد واستمرار، كالزراع يسقى كلما عطش ، وينقى اذا أصابته آفة . . . فان لم يكن فى حاجة الى هذا ولا الى ذلك فلا بد من تعهده .

فالحسبة ضرورة . . .
أ - ضرورة : توجيه . . . اذا خفى جانب فيما أمر الله به أو فيما ينهى عنه . . .

ب - ضرورة اصلاح . . . اذا وقع شىء من التصيير أو المخالفة .
ج - ضرورة تعهد وتذكير على فترات ليست متباعدة حتى لا يضل المجتمع ولا ينسى - وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : " كان النبی صلی الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة لآمة علينا " (٩٠)

٥- والحسبة ضرورة عقلية : ضرورة النتائج بعد المقدمات والمسببات بعهد الأسباب . فايما أمة اتبعت هدى الله وكانت عند أوامره ونواهيه وتعاون أفرادها على البر والتقوى والتناصح فيما بينهم . نجت من عقاب الله وتبوات مكانتها . . . والعكس بالعكس " لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون " (٩١)

٦- والحسبة ضرورة طاعة لأوامر الله ونواهيه . . . ومن يطع الرسول فقد أطاع الله . . . فان أمر الله بالحسبه فى قوله تعالى " ولتكن أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . . . كان التنفيذ ضرورة . . .

واذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان " كان التنفيذ ضرورة

والضرورة هنا لسلامة المعتقد . . . " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل خلا مبينا " (٩٢)

(٩٠) صحيح البخار الجزء الأول ص ٢٥ طبعة استانبول .

(٩١) سورة المائدة : ٧٨ : ٧٩

(٩٢) من يطع الرسول فقد أطاع الله " جزء من آية ٨٠ سورة النساء

والحسبة ضرورة الموقاية من وباء المنكر والفتن المترتبة عليه . . قال الله تعالى " واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة" ^(٩٣) والحسبة ضرورة لوقاية المجتمع بأسره اذا لم يحتسب على الظالم ويؤخذ على المغرط ، فعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مثل القائم على حدود الله والواقع منها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذى فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤد من فوقنا ، فان يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا" ^(٩٤)

والحسبة ضرورة لأنها تدفع الضرر وصور الاحتساب لدفع الضرر كثيرة أوردها العلماء ومنها : مالورأى المحتسب السبيل يقصد الدار الموءجة فبادر وهدم الحائط ليخرج السيل كان محسنا ولا يضمن الحائط. ويجوز الطهرج من السفينة عند خوف غرقها . ولاشئ* على المحتسب لما فيها من النجاة ^(٩١)

والحسبة ضرورة لأنها وقاية من غضب الله وعموم عقابه ، فعن قيس ابن حازم رضى الله عنه قال : قال ابو بكر رضى الله عنه بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، يا أيها الناس انكم تقرون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها ، (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب" وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرن على أن يغيروا ولا يغيرون الا يوشكوا أن يعمهم الله بعقاب" ^(٩٥) وقد سألت السيدة زينب بنت جحش ، رسول الله صلى الله عليه وسلم انههلك وفينا الصالحون : قال نعم ، اذا كبر الخبث" رواه البخارى فى كتاب الانبياء .

(٩٣) سورة الاحزاب : ٣٦

(٩٤) صحيح البخارى ج ٣ ص ١١١ طبعة استانبول

(أ) انظر فى الصورة الاولى : الطرق الحكيمية لابن القيم ص ٢٣ وفى الصورة الثانية - حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ص ٢٥ ج ٤

(٩٥) رواه الترمذى فى السنن رقم (٣٠٥٩) عند تفسير آية ١٠٥ من سورة

٨- والحسبة ضرورة للمجتمع الاسلامي ، لأنها تميزه عن غيره من المجتمعات .
والاسلام لم يميز بين الناس على أساس من اللون أو الجنس أو الأرض
وانما التمييز بين المجتمع الاسلامي وغيره مجتمعات الكفر والنفاق .
وفي تفسير آية التوبة * والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر * يقول الامام القرطبي رحمه الله
جعل الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين
فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
ورأسها الدعاء الى الاسلام والقتال عليه ^(٩٦) .
وما كانت الامة المحمدية خير أمة أخرجت للناس الا لكونهم يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر .

٩- والحسبة ضرورة لأنها مقتضى الأخوة اليمانية في الارشاد والنصرة ، والنصرة
تكون بالانصاح والتوجيه الى ما فيه الخير أو الأخذ على يد ^{الأيدي} وقمعه عن
الشرك .

يقول صاحب المفردات في معنى التفرير: " التفرير النصرة مع التعظيم
والتفرير ضرب دون الحد ، وذلك يرجع الى الأول ، فان ذلك تأديب ، والتأديب
نصرة ما ، لكن الأول : نصره بقمع ما يضره عنه ، والثاني : نصره بقمعه عما يضره
فمن قمعه عما يضره فقد نصرته ، وعلى هذا الوجه جاء أمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم " أنصر أخاك ظالما أو مظلوما ، قال أنصره مظلوما فكيف
أنصره ظالما ؟ فقال : كفه عن الظلم ^(٩٧) .

١٠- والحسبة ضرورة : لأنها جماع الدين ، وما أرسلت الرسل وأنزلت الكتب الا
لتبين الشرائع التي هي أمر ونهي . يقول شيخ الاسلام في كتابه " الحسبة "
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله
من الدين فان رسالة الله اما اخبار واما انشاء ^(٩٨) .

وفي موضع آخر من نفس الكتاب يقول : " اذن كان جماع الدين وجميع
الولايات هو أمر ونهي فالامر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف
، والنهي الذي بعث به هو النهي عن المنكر ^(٩٩) " .

(٩٦) تفسير القرطبي (مرجع سابق) في تفسير الآية رقم ٧١

(٩٧) المفردات في غريب القرآن مادة (عزز) ص ٣٣٣

(٩٨) الحسبة في الاسلام ص ٧٥ (٩٩) الحسبة في الاسلام ص ٦

وبعد . . .

فإن الحسبة إذا كانت ضرورة ملحة ، وضرورة ملازمة وضرورة مشروطة واجبة وضرورة تجديد وضرورة نتائج بناء على مقدمات وضرورة طاعة ، وضرورة وقاية . . . إلى آخر كل صور الضرورة التي ذكرت والتي لم تذكر . وإذا كان الأمر كذلك ثبتت ضرورتها ووضحت وأصبح المجتمع الاسلامي لا يستغنى عنها . والا صار مستهدفا لجرائم المنكر ، ومعاول الهدم ، وأسباب الزوال . وإذا ثبت أن المجتمعات الاسلامية مثقلة بالأدواء ومهددة بالهلاك ، نتيجة لغياب الحسبة، وانتشار المنكرات، إذا ثبت هذا لكل من لديه قدرة على النظر والتأمل . . . فإن السدوا في العودة إلى ممارسة الحسبة، من قبل أفراد المجتمع الاسلامي ، وشيوعها بكل صورها : " ان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " ولنا في تاريخ الأمم السابقة عظة وعبرة .

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX
XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX
XXXXXXXXXXXX

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الثاني

الحبة في الأديان السماوية

• تمهيد

الفصل الأول :

ما قبل دعوة موسى .

الفصل الثاني :

في دعوة موسى عليه السلام .

الفصل الثالث :

في يوم ..

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثاني

الحسبة في الايمان السماوية

تمهيد :

ممارسة الحسبة برهان على صحة المعتقد في أصوله وفروعه . . وذلك لأن الحسبة هي التطبيق العملي على السمع والطاعة . " والايان ما وقر نسي القلب وصدقه العمل " .

تم المتابعة ليسير هذا العمل على مقتضى ما جاءت به الشرائع .
ومن أجل هذا أرسلت الرسل وانزلت الكتب .

فهذا الباب معني بدراسة الحسبة لدى الامم السابقة، وذلك جزء لا بد منه في الدراسة، لمعرفة كونها ضرورة في الامم كلها يقوم بها المحتسبون لاطهار الحق واعلاء كلمة الله .

وهذا الباب معني ايضا بدراسة الحسبة لدى الامم السابقة، لمعرفة مكانة الحسبة في الامة الخاتمة، كما جاء بها خاتم الانبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

وان شاء الله سأتناول بالدراسة في الفصل الاول الحسبة في الامم السابقة حتى دعوة موسى . وفي الفصل الثاني : دعوة موسى الى موقف أهل الكتاب من الاسلام وحسبة الاسلام عليهم، ثم يكون الفصل الثالث : عن الحسبة في الاسلام .

والله الموفق ،،،

الفصل الأول :

الحسبة في الأديان السماوية قبل دعوة موسى عليه السلام

-
- تمهيد
 - الاعتناء في الأمم السابقة فتذبذب الخليقة
 - أدلة مخالفة في أولاد آدم عليه السلام
 - الحجة في عهد نوح عليه السلام
 - " " لوط " "
 - " " شعيب " "
-

وكان ذلك التوضيح على ألسنة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ؛
حتى لا تقوم على الله حجة بعد الرسل * وما أرسلنا من رسول الا بلسان
قومه ليبين لهم * (٣)

أى يوضح لهم العبادة ومقتضاها ، نرى ذلك بينا في كل الرسائل ، وعلى
ألسنة الرسل : * والى مدين أخاهم شعيبا ، قال يا قوم اعبدوا الله مالكم
من اله غيره ، قد جاءكم بينة من ربكم ، فأوفوا الكيل والميزان ، ولا تبخسوا
الناس اشياءهم ، ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلك خير لكم ان كنتم
مؤمنين * (٤) .

فعبادة الله لا تكون باطمئنان القلب فحسب ، ولكن بالسلوك الذى يتحرى
صاحبه فعل أوامر الله ، واجتناب ما نهى عنه ، ولا يفرق بين امور الدين
وامور الدنيا ، فالله من وراء قصد المؤمنين اعتقادا وسلوكا .

الاجتناب في الامم السابقة

ومن هنا كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمة الرسل ، واتباع
الرسل من المحتسبين لله ، الذين يقتدون برسولهم ، ويتابعون تنفيذ شرع الله
روى الامام مسلم رحمه الله بسنده تحت باب وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
وان النهي عن المنكر من الايمان - عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : ما من نبي بعثه الله في امة قبلي الا وكان له
من امته حواريون واصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من
بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم ببيده
فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ،
وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل * (٥)

(٣) سورة ابراهيم : ٤

(٤) سورة الاعراف : ٨٥

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي الجزء ٢ ص ٢٧ طبعة دار الفكر

وجاء في شرح النووي ان هذا الحديث يسوق فيمن سبق من الامم * (٦) والمعلوم من قول الفقهاء ان شرع من قبلنا شرع لنا ، اذا وجد في شرعنا ما يؤيده .

كما جاء في تعليق القرطبي على قول الله تعالى : * ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فيشركهم بعذاب اليم (٧) قوله : فدللت هذه الآية على أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كان واجبا في الامم المتقدمة ، وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوه * (٨) .

يقول الامام الرازي : * الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايان بالله ان هذه الصفات الثلاث كانت حاصلة في سائر الامم السابقة * (٩) واقوال العلماء في حسيبة الامم السابقة كثيرة .

والآمر بالمعروف ، والناهون عن المنكر في كل أمة هم المحتسبون ، الذين أخلصوا العمل لله ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر ، والمعركة بينهم وبين المخالفين دائرة منذ بدأ الصراع بين الحق والباطل ، في الساعة التي هبط فيها أبو البشر من الجنة : * قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم هدى ، فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذوقون كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * (١٠) .

وهذه سنة الله في خلقه * ولن تجد لسنة الله تبديلا * وتلك طبيعة النفس البشرية تنزع الى السوء ما لم يكن لديها وازع ، وتقع في أتون المعاصي ما لم يكفها رادع . * ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي * (١١)

(٦) المرجع السابق

(٧) سورة آل عمران : ٢٠

(٨) الجامع لاحكام القرآن طبعة دار الكتاب العربي ص٤٦ - ص٤٦

(٩) مفاتيح الغيب ص٣ - ص٢٧ طبعة دار الكتاب العربي س١٩٦٧ - ١٩٦٧

(١٠) سورة البقرة آية ١٧٧

وما كانت الحسبة بشمولها، وعموم نفعها، وإخلاص المحتسبين لله، إلا لتربية
الوازع، ما استطاع المحتسب الى ذلك سبيلا، ودروس للعبرة والتأسي .

ولقد برزت هذه المعارك ونتائجها في الامم السابقة، علامات واضحة،
تهدى الاممة المحمدية في طريقها، وحتى تعرف جادة الصواب، وتسير في
طريق ربها المستقيم بعيدا عن سبل الضلال، وطريق الشيطان، وحتى تكون
لديها القناعة الكافية بسير الامور وعواقبها، بدءا من آدم عليه السلام حتى
خاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، والى أن يكرت
الله الارض ومن عليها * يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي
فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا
عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * (١٢) .

فاذا وعى المحتسبون هذه الدروس، وقفوا على طبيعة مهمتهم ولاوا
طريقهم، وكان لهم في سيرة الرسل واتباعهم مع أقوامهم أسوة حسنة .

ولقد خاطب الله الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه بقوله - في التعقيب
على مصارع الاقوام في سورة هود * تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما
كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين * (١٣)

ومعرفة جوانب من احوال الامم السابقة كما يقول ابن خلدون : أمر
جم الفوائد شريف الغاية ان هو يوقفنا على احوال الماضين من الامم
في اخلاقهم والانبياء في سيرهم حتى تتم فائدة الاقصداء في ذلك
لمن يرومه في احوال الدين والدنيا * (١٤) .

(١٢) سورة الاعراف : ٣٥ ، ٣٦

(١٣) سورة هود : ٤٩

(١٤) مقدمة ابن خلدون - طبعة رابعة دار احياء التراث ص ٩

وفي الصفحات التالية ان شاء الله سأعرض نماذج المجتمعات
انحرفت عن طريق ربها ، ولم تكن عند أوامره ونواهيه ، حتى
ان شاع المنكر ، وصار الانحراف طبع المجتمع ، بعد أن شاع فيه
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر - أخذه الله بذنبيه أخذ عزيز مقتدر
" وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد " (١٥)



الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

منذ بدء الخليقة

=====

بدأت أوامر الله ونواهيه منذ اللحظة الاولى ، وقبل أن يطأ آدم وحواء الارض عرفهم ربهم عواقب الامور ، وان النتائج تتبع المقدمات .

وكان ذلك واضحاً جلياً كفلق الصبح في قوله تعالى : **«قَالَ اهبطا**
منها جميعاً بعضكم لبعض عدو ، فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى فلا يضل
ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة
أعمى ، قال رب الم حشرتني أعمى ، وقد كنت بصيراً ؟ قال كذلك اتتك آياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزي من أسرف ولمن يؤمن بآيات ربه ،
ولعذات الآخرة أشد وأبقى * (١٦) .

وبنو آدم لم يبدؤوا من فراغ، ولكن ما حدث لابيهم وامهم في الجنة كان
درسا واضح النتائج، عليهم الا يهملوه ، فعاقبة الاهمال وخيمة " يا بني آدم لا يفتنكم
الشیطان كما أخرج أبويكم من الجنة ، ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما
انه يراكم هو وقبيله ، من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين أولياء
للذين لا يؤمنون (١٧) .

وقد شاء الله أن يستمر الشيطان في غواتيه وضلاله ، وأن تكون
له محاولات شتى ، وأساليب مغرية ، لانتراع حزبه من جسم المجتمع
الاسلامي ، ما وجد الثغرات والمنافذ .

والمؤمنون في كل امة هم حزب الله وجنده يدافعون عن حرمانه ، ويذبون ابليس
وقبيله ، ويقفون في وجه الفساد ، والله جل وعلا هو القادر على ابادة ابليس وأعدائه
من الوجود ولكن اقتضت حكمته جل وعلا ، ان تدور رحى الحرب بين الخير والشر

(١٦) سورة طه : ١٢٣ : ١٢٧

(١٧) سورة الاعراف : ٢٧

" ليحص الله الذين آمنوا ويحمى الكافرين (أ) وصد الامر لابليس
" اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ، واستفزز من
استطعت منهم بصوتك ، واجلب عليهم بخليلك ، وشاركهم في الأموال
والأولاد ، وعدهم ، وما بعدهم الشيطان إلا غرورا ، إن عبادي ليس
لك عليهم سلطان وكفي بريك وكيلا " (١٨)

جاء في مفتاح دار السعادة : " ولقد أراد الله أمر البشر ونهيمهم
وابتلاهم ، واختبارهم - ولم تكن الجنة دار تكليف فاهبطهم الى الارض وعرضهم
بذلك لافضل الثواب ، الذي لم يكن ليناى بدون الامر والنهي " (١٩) .

لذلك اقتضت حكمة الله تعالى ان يحصن الخلق من الشيطان وان
يهي لهم وسائل النجاة منه . فنزل الكتاب على السنة الرسل كي يتبين
للناس ما أمر الله به وما نهى عنه .

وهنا تظهر ضرورة الحسبة لجهاد من كفر ، وتعديل ما اعوج ،
والتذكير الدائم بالسير على منهج الله واتباع شرعه .

وخلافة آدم ونيه في الارض ليست ابدية ، ولكنها موقوتة بزمان يومهونة
بأجل ، وسعادة الدارين لمن تمسكوا بأوامر الله ونواهيه ، وعرفوا
المهمة التي خلقوا من اجلها ، والشروط التي تكفل لهم الريح والسعادة
التي وضحت في قوله تعالى " والعصر ان الانسان لغي خسر ، الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر "

(١٨) سورة الاسراء : من ٦٢ : ٦٥

(١٩) مفتاح دار السعادة : الامام ابن القيم ج١ ص ٣

(أ) سورة آل عمران : ١٤١

أول مخالفة في أولاد آدم

=====

لم يمض وقت طويل في عرف التاريخ حتى استطاع الشيطان ان يجنّد احد أولاد آدم كي ينضم للباطل ويدافع عنه حتى يرتكب ابلع جريمة بعد الشرك بالله وهي قتل النفس بغير حق .

ولقد سجل القرآن الكريم هذه القصة ووقف امام نتائجها كي تكون درسا في طريق تعليم بني آدم .

قال الله تعالى : **واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ان قربا قرانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر ، قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين .** لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بياسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين . اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فأصبح من الخاسرين . فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءه اخيه فقال يا وليتي اعجزت أن اكون مثل هذا الغراب فأواري سوءه اخي فأصبح من النادمين .^(٢٠) .

وكانت هذه أول مخالفة عرضها القرآن الكريم ، عكرت صفو بني آدم وظهرت في صورة بشعة لم تعرف من قبل وهي : قتل الشقيق لشقيقه .

ولقد اطنب كثير^{*} من المفسرين في ذكر هذه القصة بعز يد من التفصيل^(٢١)

ولا يعنينا هنا الا ما ورد في القرآن الكريم وما يثبت النتائج التي أهمها ان المقتول من ولدي آدم كان أول محتسب يستشهد في سبيل انكار المنكر ، وعدم الموافقة على تغيير شرع الله ، وقد استعمل كل وسائل اللين والترفق والافتاع حتى لقي ربه وهو على الحق .

(٢٠) سورة المائدة : من ٢٧ الى ٣١

(٢١) انظر تفسير ابن كثير — الجزء الثاني ص ٤١

وتفسير الامام الطبري .

ان المنكر موجود وجود المعروف ، بل ان التطاحن والتزاحم
بينهما قائم ، وان الشيطان وأعوانه ينتشرون في حرص وترقب
حتى يقوموا باحلال المنكر محل أى معروف يتهاون فيه المجتمع الاسلامي .

هذا : وفي أعقاب القصة ، وبعد ارتكاب الجريمة الشنعاء قضى
الله انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ،
(٢٢) وقد روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : * لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها
لانه كان اول من سن القتل * (٢٣)

ولشدة الصلة بين تجارب الامم السابقة ، والافادة منها في خير
الامم وأوسطها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ابني آدم
عليه السلام ضربا لهذه الامة مثلا ، فخذوا بالخير منها * (٢٤) .

واستمر الشيطان في الغواية والضلال ، واتخذ من أعوانه وانصاره
وسائل لتوسيع دائرة الفساد ، حتى انتشر الدهو والشر . وفشت الفحشاء
فبعث الله نوحا عليه السلام (٢٥) .

(٢٢) سورة المائدة : ٣٢

(٢٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٥ وصحيح البخارى ج ٤ ص ١٠٤ /

طبقة استانبول

(٢٤) المرجع السابق ج ١ ص ٤٦

(٢٥) انظر - الكامل لابن الاثير ج ١ ص ٣٣

الحسبة في عهد نوح عليه السلام

=====

ان آدم ونيه نشأوا موحدين ، ومرت بين آدم وسين نوح عليه السلام قرون على الفطرة .

وقد ذكرت كتب كثيرة من كتب التوحيد والتفسير والحديث ، خطوات الشيطان التي اوقع بها البشر شيئا فشيئا ، حتى فسدت فطرتهم وعبدوا الاصنام

قال أبو الفدا بن كثير * كان اول ما عبدت الاصنام : ان قوما صالحين ماتوا فبنى قومهم عليهم مساجد ، وصوروا صورا ، فلما طال الزمان جعلوا اجسادا ، أى شاميل على تلك الصور ، فلما تئادى الزمان عبدوا تلك الاصنام ، وسموها بأسماء أولئك الصالحين (٢٦) .

وفي كتاب التفسير من صحيح البخارى جاء في باب : " ولا تذرنا ودا ولا سوانا ولا يفتوت ويعوق ونسرا " ما نصه :-

* حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام عن ابن جريح ، وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : صارت الاوثان التي كانت في قوم نوح في العسرب بعد ، اما ود فكانت لكلب بدومة الجندن ، واما سواع فكانت لهذيد ، واما يفتوت فكانت لمراد ، تم لبني غظيف بالجوب عند سبأ ، واما يعوق فكانت لمهران ، واما نسر فكانت لحمير اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى اقوامهم ، ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد ، حتى اذا هلك هؤلاء وتنسخ العلم عبدت (٢٧)

أما من هم الرجال الصالحون ، وكيف تسربت هذه الاصنام الى العرب ؛ فقد افاض فيها : الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في كتابه : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (٢٨) وفي هذا الاثر الذى أورده

(٢٦) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤

(٢٧) صحيح البخارى ج ٦ ص ٧٣ طبعة استانبول

(٢٨) الطبعة الاولى ص ٢٦٦ وما بعدها

الامام البخاري عن ابن عباس فوائده جمة منها :
ان الشرك الاكبر يبدأ بالتهاون في امور تبدو صغيرة أو براقعة في أومر امرها
لكنها تجر الى الهاوية ، وهذه هي خطوات الشيطان التي يجب ان يحذرها
كل مؤمن ، حتى لا يقع فيها .
ومنها : ان الشيطان لا يستطيع ان يسيطر الا اذا قعد العلماء عن مزاولته
الحسبة ، أو انتهت بموتهم ، يدل على هذا ما جاء في هذا الاثر : حتى
اذا هلك هؤلاء وتنسخ العلم ، عبت أي عبد الناس الاصنام ، وكانت في أول
أمرها صورا للرجال الصالحين .

وفي هذا التدرج الى الهاوية ما يدل على افتقار المجتمع المسلم الى الحسبة
الدائمة الدائبة ، التي تسد الذرائع اولا بأول وتنبه الى خطورة ما يحدثه
المحدثون ، من البدع في الدين ، مهما كان صغيرا في بدايته ، وتلك مهمة
المحتسبين .

فالعقيدة هي الاساس ، وتتبع أوامر الله ونواهيه هو المنقذ ، ومن
هذا الخلل الذي يمسخ الفطرة ويخرب العقل ، ويقرب المعايير ، وقد اجملى
الله ذلك بايجاز واف في دعوة نوح لقومه * ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون (٢٩)
وهذا التتبع المستمر صلة بالله لا تنقطع ، تغفر ذنب من أخطأ ، وتكفل السعادة
لمن استغفر ورجع ، فالمرء مطالب بالاخذ بالاسباب ، ومن نصر الله نصره . . وهذا
ما جاء على لسان نوح عليه السلام لقومه : * فقلت استغفروا ربكم انه
كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال ونسب ويجعل
لكم انهارا * (٣٠)

ونظرا للعطب الذي اصاب عقول القوم ، حتى رأوا المعروف منكرا
والمنكر معروفا ، رمى الكافرون من القوم نبي الله ، ومن آمنوا معه بأنهم الاقل
الادني . فالحق ليس معهم - حسب مقاييس الكافرين ، وهذا ما نراه في أية

(٢٨) الطبعة الاولى ص ٢٦٦ وما بعدها

(٢٩) سورة نوح : ٣

(٣٠) سورة نوح : من ١٠ - ١٢

هود * قال الملاء الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا^س فضل ، بل نظنكم كاذبين * (٣١) .

ويضرب نوح عليه السلام المثل للمحتسبين في التروى والثقة امام عواصف التكذيب والسخرية ، معرفاً بنفسه ، وبمهمته ، التي قولت بالنفور والجحود مؤكداً على طبيعة الدعوة ، مذكراً اياهم : ان الرب واحد لا شريك له * قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلفكم رسالات ربي وانصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون * (٣٢) .

ويطول الكلام والحوار ، ونوح عليه السلام صابراً محتسباً لا يفقد الامل حتى ضج الظالمون من سماع ما تضييق^{بهم} صدورهم ، فالحق يكبت انفاس أهمل الباطن ، فلا يستطيعون الاستمرار والتعبات * قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ، فاننا بما تعدنا ان كنت من الصادقين * (٣٣)

والجدال لا بأس به بل هو أمور به ، ان كان فيه مظنة لجلب الخير اولدفع الشر ، اولبيان حق ، أو لازهاق باطل ، ان يكون ضرباً من أهم ضروب الجهاد ، وقد قال الله لمحمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه * وجاهدهم به جهادا كبيرا * الفرقان (٢٥) .

وعلى المحتسبين التذكير والارشاد ، والرد والايضاح ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً .

ورغم الترفق واللين والصبر والاحتساب ، والتبشير والانذار ، ورغم المكث الطويل ، والعمر المديد ، وما لقيه نوح عليه السلام من العذاب الشديد ، ما آمن معه الا قليلاً * .

(٣١) سورة هود : ٢٧

(٣٢) سورة الاعراف : ٦١/٦٢

(٣٣) سورة هود : ٣٢

ونوح في كل هذا قدوة حسن للمحتسبين ، فلا يأس من الاصلاح
ولا ملل من الدعوة ، وعليهم ان يسلكوا طريقهم في صبر واحتساب ، حتى يقضى
الله أمرا كان مفعولا .

ولا يأس ولا ملل ما دام في الضالين أمل . . . ولو كان ذلك الأمل قد ارتبط
بأعقابهم .

أما اذا أطبق الضلال ، وصار الضالون مصدر فساد وفساد ، حتى اصابوا البيئة
بتلوث شامل وقطن الأمل في ذريتهم الذين سينشؤون ، وجرائم المنكر تحيط بهم
وتسم اسماعهم وأبصارهم وكيانهم . اذا وصلت الامور الى هذا الحد ، كان
لا بد من التغيير الذي اراد الله حيث استجاب لدعاء نبيه نوح عليه السلام
" قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا
عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا " (٣٤)

تم يبدأ نوح في صنع سفينة النجاة باذن ربه ، ويحمل فيها من كل زوجين
اثنين ، واهله ، كما أمره الله .

[واهل الانبياء والرسل هم اتباعهم المؤمنين] ، روى البخارى عن ابن عباس
رضى الله عنه في معنى قوله : ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل
عمران على العالمين قوله : " وآل عمران : المؤمنون من آل ابراهيم وان أولسى
الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهم المؤمنون " (٣٥) .

ويشمل الأوفان كل من على الارض ، حتى من اعتصم بقمم الجبال " ولا عاصم
اليوم من أمر الله الا من رحم " وتبدأ البشرية الخلافة من جديد على الارض ، بتلك
القلة من المؤمنين .

ويطول الامد ويبدأ التفريط شيئا فشيئا ، ويتدخل الشيطان ومن
يجندهم من الاعوان ، ويزينون المنكرات ، حتى يفسدوا معتقد الناس

(٣٤) سورة نوح : ٢٦ / ٢٧

(٣٥) ج ٤ ص ١٣٨ طبعة ١ استانبول

وتصورهم وسلوكهم . . . فيرسل الله الرسل . . . ومن بعد نوح يرسل الله رسلاً ثم صالحاً عليهم السلام بالدعوة الى التوحيد ، وتسحيح المسار ، حتى تسلم الحياة من المنكرات . . . وتعود الى صراط ربها المستقيم .

وتمر دعوة الرسل بنفس المراحل من بيان لما هيته الدعوة ، وكيفية تبليغها وموقف القوم من مؤمنين وكافرين ، وما يبذله كل رسول ، ومن آمن معه من وسائل الاقناع والحوار تم استمرار العتو والتحدى والله شديد المحال يعطي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته .

ان البعد عن الله لا يأتي دفعة واحدة ، ولكنه يبدأ صغيراً ثم تفتح الشفرتا حتى يعم الفساد ويكون الجزاء .

وتلك مقدمات ونتائج ، يجب أن يفقهها المحتسبون ومهتتم هم التركيز واليقظة والحدز حتى لا يسمح المؤمن بأدني مخالفة لأوامر الله ونواهيه .

ومن ثم كانت الحسبة ضرورة لحفظ المجتمع من النكبات والانتكاسات وتكون الحسبة ذات ضرورة أكد ، وحاجة ملحة ، عندما يصل المنكر الى أقبح صورته ، وهي الجهر به ، وإعلانه على رؤس الاشهاد ، بل والمفاخرة به احياناً ، كأن المنكر هو عين الصواب ، حيث يكون المعروف - عند انقلاب المعايير ومسوخ القيم - يكون هو الخطأ والتهمة التي توجهه الى أهل المعروف .

حسبة لوط ومن آمن معه

وهذا ما حدث من قوم لوط فانهم جاھروا بأخبث منكر واخس ذنب ، وأحط جريمة ، وهي ايتان الذكور لدرجة حطمت كل الحواجز والقيم ، ومسخت الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، حيث اغتصبوا الرجال في الطرق ، واثنا اجتماعهم

في نواديهم ، فلم يسلم منهم حال ولا مرتحل ، ولا قريب ولا ضيف . وفي معنى قول الله تعالى - في حق قوم لوط - " اتقطعون السبيل وتأتون فسي ناديك المنكر " قال ابن الاثير في الكامل " وكان قطعهم للسبيل اتيان الفاحشة لمن ورد عليهم ، اذ امر بهم امسكوه وفعلوا به اللواط ، وفي ناديك المنكر نكاح بعضهم بعضا .. " (٣٦) .

وجاء في تفسير ابن كثير " ما نزا ذكر على ذكر حتى جاء قوم لوط . ولذلك جاء في القرآن الكريم على لسان لوط عليه السلام ذلك الانكار الشديد والاستفهام العميق : " أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم؟! " " أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد العالمين؟! " (٣٧) أليس منكم رجل رشيد ؟! (٣٨) أى فيه خير يقبل ما أمره به ويترك ما نهاه عنه " (٣٩)

واذا صار المفكر معروفا وعرفا ، فالمعروف سيصير في نظر من فسدت فآرتهم منكرا يُعترض على فاعله .

نرى ذلك واضحا عندما قام لوط والمؤمنون معه بهي القوم ونصحهم والاحتساب على ما يقومون به من منكرات شنيعة "فما كان جواب قوم لوط الا ان قالوا : اخرجوهم من قريبتكم انهم انا ريتظهرون" . ويعلق الامام الطبرى على هذه الاية قائلًا : " ان اخرجوا لوطا ومن كان على دينه من اتباعه ، اى الذين ينشرون المعروف وينهون عن المنكر . وكلمة جواب : توحى بأن الحوار لم يكن مع لوط وحده ولكن اتباعه المتطهرين كانوا معه في الحوار ، ما جعل سخط الظالمين يشمل لوطا ومن معه (٤٠) تم يقول الطبرى : فعابوهم بغير عيب ونسوهم بغير ذنب " كما فسر الطبرى الاهل في قول الله " فنجيناها وأهلها " فسرهم بالاتباع " وصلهم الايمان فكانوا أهلا . " (٤١)

(٣٦) الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ١ ص ٦٧
وانظر : سبط النجوم العوالى ج ١ ص ١٤٠

(٣٧) سورة الاعراف : ٨٠

(٣٨) سورة هود : ٧٨

(٣٩) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٥٣

(٤٠) تفسير الطبرى ج ١٢ ص ٥٤٩

(٤١) انظر صفحتى ٥٥٠/٥٥١ من المرجع السابق

هذا وعلى المحتسبين في كل زمان ومكان أن يوحدوا جهودهم وصفوفهم فهم أهل ، والعقيدة والعمل لخدمة نسب وقربى بينهم . كما أن عليهم ألا يهتوا أو يضجروا عندما يفخر أهل الباطل بباطلهم وانحرافهم ، ويسخرون من الخير وأهله لأن ذلك الذي يحدث منهم بداية النهاية . وعقاب ريك ليس من الظالمين ببعيد .

بأهله
ففي أعقاب ما كان من قوم لوط يقول الله تعالى لنبيه : " فأسر يقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبتها ما أصابهم ، إن موعد الصبح أليس الصبح بقريب . فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ، مسومة عند ريك ، وما هي من الظالمين ببعيد " (٤٢) .

احتساب شعيب عليه السلام

أما شعيب عليه السلام ، فقد رفع شعار المحتسب الذي يعرف طريق ربه المستقيم ، ويعرف المهمة الملقاة على عاتقه . فليوه الواجب عليه من غير اهمال ولا تقصير ، وخذ ذلك أن يفعل ويقول ويعمل جهد طاقته حيث جاء في القرآن الكريم على لسانه : " إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنبئ (٤٣)

وقد فسر ابن كثير الإصلاح في الآية بقوله " أي فيما أمركم وانهاكم وإنما أريد إصلاحكم جهد طاقتي " (٤٤) .

وبالصبر والاحتساب برفق ، حارب شعيب عليه السلام : الشرك والفش وقطع الدراهم وقطع الطريق .

ولقد كان عليه السلام فصيح اللسان قوى الحجة ناصع البيان حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكره قال : ذاك خطيب الانبياء " (٤٥)

وقد كان التشابه كبيرا بين قوم شعيب ، وقوم لوط ، من ناحية المجاهرة بالمنكرات بعد ان صار فعلها عرفا وسلوكا ، حيث كانوا يتعاملون بالمعاصي في الطريق والاسواق .

(٤٢) سورة هود : ٨١ : ٨٣ (٤٣) سورة هود : ٨٨

(٤٤) تفسير ابن كثير ص ٤٥٤ ج ٢

(٤٥) الكامل لابن الاثير ج ١ ص ٨٩

(٤٦) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٢١

جاء في تفسير ابن كثير لآية : " ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون
عن سبيل الله من آمن " ينهاهم شعيب عن قطع الطريق الحسبي والمعنوي ، أي
تتعدون الناس بالقتل ان لم يعطوكم أموالهم وتتعدون المؤمنين الآتين
الى شعيب ليتبعوه " (٤٦)

والمستعرض لجهاد المؤمنين من أتباع شعيب : أمرين بالمعروف وناهين
عن المنكر حسبة الله يجد انهم بذلوا جهدهم طاقتهم أسوة برسولهم
عليه السلام .

وقد انقسم القوم الى طائفتين : طائفة مؤمنه تجاهد في سبيل الحق
فلما اعيتهم الحيلة تحصنوا بالصبر حتى يحكم الله بينهم وبين الطبقة المشركة ،
لكن المشركين أبوا الا الهجوم على الموحدين ، فإما ان يخرج شعيب ومن معه
الى مكان آخر أو يرجعوا الى ما كانوا عليه قبل رساله . . . ولكن هيهات
ان ينتكروا من عمر الايمان قلبه ، وعرف طريق ربه .

وفي ذلك يقول الله تعالى على لسان القوم " قال الملاء الذين كفروا
من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا ،
قال أولوكمنا كارهين ، قد اقتربنا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد ان نجانا
الله منها ، وما يكون لنا أن نعود فيها الا ان يشاء الله وسع ربنا كل
شئ علما . على الله توكلنا ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين
(٤٧) .

ومن بعد شعيب عليه السلام ، يبدأ موسى عليه السلام دعوته في
أطوار متعددة : في مصر ثم معامة عجيبة هي بنو اسرائيل ، وكان في ذلك
من الدروس المستفادة ، ووضوح الحسبة ، وتنوع طرقها ما فيه الخير لخير
أمة اخرجت للناس .

(٤٦) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٢١

(٤٧) سورة الاعراف : ٨٩

الفصل الثاني :

الحجة في دعوة موسى وموقف اليهود من الرسائل .

—

• تمهيد

• دعوة موسى في مصر

١- إيمانه بسورة

٢- كتبه من آل فرعون

٣- صفة امرأة فرعون

• دعوة موسى في بني إسرائيل

١- نزلة الشريعة في بني إسرائيل

٢- اليهود بين الرفض والقبول

٣- موقف اليهود من المسلمين والمجتبى

٤- موقف الأعداء والرهبان

• الاعتقاد في أهل الكتاب بعد ظهور الإسلام .

• مفهوم رسالة محمدية .

• محتجونه من أهل الكتاب .

• نتائج لفتح بلاد فارس

• الرد على من قال :

إنه يدبر بالمعروف والنهي عن المنكر من فضائلكم

الامة المحمدية فقلا .

—

الفصل الثاني

الحسبة في دعوة موسى عليه السلام =====

تمهيد

دعوة موسى عليه السلام خصبة ، ناضجة الشار - مليئة * بالدروس المستفادة ، والمعالم الواضحة ، ذات المقدمات والنتائج ، في كل لون من ألوان الاحتساب على اختلاف الأساليب والطبقات والتطورات .

لذلك كان لرسالة موسى وما تبعها من دعوة عيسى وما جاء بينهما من الأنبياء والصلحاء لبني إسرائيل ، ما يكون المرجع الثرى للمحتسبين والمرشد الواضح للدعاة ، والذكرى تنفع المؤمنين .

وذلك هو الثمرة المرجوة من دراسة القصص في القرآن الكريم كما أخبر الله رسوله بذلك في قوله : " وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين " (٤٨) .

فنحن بصدد الكلام عن أكبر أمة . . . قبل الأمة المحمدية ، وأطول قصة جاءت في القرآن الكريم ، وأغرب مجتمع عرفته البشرية .

وما زال هذا المجتمع ، ولكنه مازال ماثلاً يفرخ الشرور ، ويتمم العداة والبلاء على المجتمع الإسلامي .

ذلك المجتمع العجيب الذي تمرس التمرد والتآمر والعصيان هو بنو إسرائيل .

وتاريخ دعوة موسى وحدها ، وتتبع مواطن الحسبة فيها بشى* من التفصيل في هذا الصدد يشتمل على أسفار ، تنفق فيها الشهور والأعوام لكنني سأقتصر عند بعض النقاط لاستخلاصها ينفع المحتسبين ويعينهم على مهمتهم أو محاذير ، يخشى على المجتمع الإسلامي من الوقوع فيها فتتحقق عليه الكلمة التي غير ذلك من الدروس والعبر .

ودعوة موسى عليه السلام كانت في بدايتها موجهة الى
فرعون وكل من يسكن في مصر من قبط واسرائيليين ، ولما لم تُجَدِ المعجزات ولا
الايات الواضحات ، وعندما استمر طغيان فرعون وملئه وظلمهم الشنيع
لكل من آمن مع موسى حقت عليهم الكلمة : (فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم
كذبوا بآياتنا وكانو عنها غافلين ، واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها التي باركنا فيها ، وتنت كلمة ريك الحسنی غلى
بني اسرائيل بما صبروا ، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ، وما كانوا يعرشون"
(٤٩) .

وبدأت قصة موسى مع بني اسرائيل بصفة خاصة عندما انتهت مع
فرعون وملئه .

وفي السطور التالية كلام موجز في مواطن الاحتساب لثلاث مراحل
مرت بها دعوة موسى عليه السلام عامة .

المرحلة الاولى :

دعوة موسى في مصر وهو يتوجه بها الى فرعون وملئه . وهدفه ايجاد
مجتمع مؤمن يضم القبط وبني اسرائيل .

المرحلة الثانية

بعد الخروج من ارض مصر ببني اسرائيل لاقامة المجتمع المسلم حيث
اراد الله لهم .

المرحلة الثالثة :

موقف اليهود من الدعوة الاسلامية والمسلمين .

واكرر : انني لست بصدد التاريخ للام ، ولا اهدت الى سرد قصص الانبياء
والمرسلين وانما سأقف في كل مرحلة من هذه المراحل الثلاث عند بعض مواطن
الاحتساب التي ظهرت لي وما يؤخذ منها من الدروس والعبر وفي بعض آيات
القرآن الكريم ما يفني الكاتب في هذا الصدد ان شاء الله . وسأبدأ بالمرحلة
الاولى وهي :-

دعوة موسى في مصر :-

أول ما يلفت نظر الباحث في بداية هذه المرحلة ان الله سبحانه وتعالى قد أرسل كل رسول الى قومه ، أما موسى عليه السلام فقد أرسله الله الى فرعون لشدة ظفیانہ وتحكمه في قومه فهم له يابصرون .

نرى ذلك واضحا في آيات القرآن الكريم : لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره " (٥٠) " والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله . . . " (٥١) " والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله " (٥٢) " ولوطا اذا قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقتم بها من احد من العالمين " والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله " (٥٤) وهكذا حتى جاء محمد " خاتم الانبياء " صلى الله عليهم اجمعين فبعثه الله في العرب ، وهو للناس كافة .

أما موسى عليه السلام فقد أرسل الى فرعون وملئته كما جاء في سورة الاعراف في قول الله تعالى " ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئته " آية ١٠٣ ، وفي سورة يونس : آية ٧٥ ، وفي سورة هود : آية ٩٧ كما نرى بعض الايات وجهت موسى الى فرعون فقط كما نقرأ في سورة طه " اذهب الى فرعون انه طغى (٥٥) اذهب انت وأخوك بآياتي ولا تتينا في ذكركى اذهب الى فرعون إنه طغى " (٥٦)

وهذا أيضا ما نراه في سورة النازعات في الاية : ١٧ وما بعدهها . ولا فرق بين ارسال موسى الى فرعون وحده او الى فرعون وملئه ، فقد استخف قومه فأطاعوه ، وقال لهم : أنا ربكم الاعلى فوافقوه .

وان كان الامر كذلك ، فسوف يوءن جميع المصريين ان آمن فرعون . وهنا عدة دروس مستفادة يجب على الدعاة والمحتمسبين الوقوف أمامها

والانتفاع بها :-

الاول : التوجه بالدعوة الى رأس الجماعة أو السيد المطاع فيهم ، فذلك يوفّر الجهد ويزيل العقبة الكؤود من طريق الدعاة ، ولانه ان آمن

(٥٠) الاعراف : ٥٩ (٥١) الاعراف : ٦٥

(٥٢) الاعراف : ٧٣ (٥٣) الاعراف : ٨٠

(٥٤) الاعراف : ٨٥

(٥٥) سورة طه : ٢٤

(٥٦) سورة طه : ٤٢ ، ٤٣

المتبوع آمن القوم من ورائه .

الثاني : استعمال القول اللين عند دعوة ذوى الجاه والسلطان أو الاحتساب عليهم . وهذا ما ينفي ان يكون عليه الدعاء بصفة عامة ، لكنه مع ذوى الجاه والسلطان أكد وأبعد عن النفور ، وأرجى للقبول - وهو ايضا ما يحفظ لذوى المكانة مكانتهم فاللين اشد ضرورة معهم .

الثالث : كما يؤخذ من الايات ان الله مع الدعاء اليه والمحتسبين لوجهه ومن كان معه الله فمعه القوة التي لا تغلب ، والحارس الذى لا ينام فان ايقن المحتسب بذلك أتقبل على الدعوة لا يخاف ، وانكر المنكر غير هيباب ولا وجل " قالارينا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ، قال : لا تخافا ، إنني معكما أسمع وأرى " (٥٧) .

هذا ونقف امام موطن آخر من المواطنين التي يستفيد منها المحتسبون وهو

ايمان السحرة :-

وذلك عندما رأوا زيف ما يصنعون من حبالهم وعصيهم وحقيقة ما يبرون من آيات الله .

فهو ايمان الذين وضحت امام بصيرتهم اسباب الايمان ، فلم يتوانوا لحظة ، ولم يكتفوا بالايمان الصامت ، ولكنهم أعلنوه حسنة لله حيث يقف الايمان في مواجهة الكفر ، والضلال ، الذى طمس المعالم وقلب الاوضاع .

ويستفاد من هذا الموطن أمران :

الاول : انه اذا أجاد المحتسب الدخول على قلبه المحتسب عليه واستطاع ان يخلي بينه وبين فطرته ، ويزيل الفشاوة التي خيمت على بصيرته ، عندئذ يمس الحق شفاف قلبه فلا يكون سوى الايمان الواضح

وهذا ما حدثك للسحرة ، اقبلوا وسما الزهو والانتصار تلعب
بهم ، ومن حولهم من المشاهدين لكن هو لا الهة المهرة في فن السحر ، رأوا في عصا
موسى شيئا آخر غير سحرهم ، وان القوة ليسوراها بشسر، ولكنه خالق مهيم قاهر
" فغلبوا هناك وانقلبوا صاغرين ، والقي السحرة ساجدين قالوا : آنا برب العالمين
(٥٨)

وفي تلك اللحظة كفروا بكل ما في الدنيا بما في ذلك : السحر ، وفرعون ، وبنا
يمكن ان يصنع بهم .

لذلك ردوا في ثبات على تهديد فرعون : " فلأقطعن أيديكم وأرجلكم
من خلاف ، ولا صلينكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وأبقى " فكان
الرد : قالوا لن نؤثر على ما جاءنا من البينات والذي فطرننا ، فاقض ما أنت قاض
إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ، إنا آنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه
من السحر والله خير وأبقى " (٥٩) .

الامر الثاني : في ذات المحتسب بمعنى انه لا بد ان يعرف الموطن الذي يتمسك
فيه بالاحتساب ، والموقف الذي قد يحرم عليه فيه الاحتساب ان على المحتسب أن
يراعي النتائج بموازنة دقيقة بين المنافع والمضار كي يختار المقدمات .

ولكن اذا كانت القضية قضية ابراز لإيمان ، وطمس لعالم (سرك) ، وحق سيزهق ،
وباطل سيعلو . اذا سكت المحتسب . فالحسبة هنا ضرورة والثبات على الحق
فرض عين لا مهرب منه ، لان الانتصار للعقيدة وسلامتها فوق كل شىء ، وهذا
اساس الحسبة ، وه وخلق الانبياء والمرسلين والتابعين ، والعلماء العاطلين
" انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد " (٦٠)
وما دام الاذن أو الموت في سبيل إعلاء كلمة الله فهو الشهادة وه والنصر المؤزر .

(٥٨) سورة الاعراف : ١١٩ / ١٢١

(٥٩) سورة طه : ٧٢ / ٧٣

(٦٠) سورة طه : ٥١

ولقد كان انتصار محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه وهما في الفجار،
والصديق يخاف على رسول الله من نظرة احد المشركين تحت اقدامه ، أجل
من الانتصار يوم بدر أو يوم الفتح ، إذ قيس الانتصار بمواضع لينة والخطر .

لذلك كان الذى يهيم المحتسب في قصة ايمان السحرة هو : لحظة النصر
عندما باعوا أنفسهم لله ، وقالوا : لفرعون " فاقض ما أنت قاض ، إنما تقضي هذه
الحياة الدنيا انا آمننا بربنا . . . (٦١)

ولكن انتصرت العقيدة باظهارها على رؤس الاشهاد ، دون خوف من شئ*
فقد يكون في كتمان الايمان لهدف ينفع العقيدة نصر " مؤزر " يعلون نصر الاعلان
في موطن الاعلان .

وهذا ما رأيناه في رجل من آل فرعون يكتم ايمانه .

محتسب من آل فرعون :

عجيب بيت فرعون - تربي فيه نبي الله موسى ، حيث كان محل العناية
والرعاية ، ثم يكون من أمره ما يكون بعد ان اصطفاه الله واصطفاه لنفسه .

وهذا رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه ، فيكون انفع للدعوة من الف رجل يعلنون
ايمانهم ، لانه يرقب مواقف الخطر ويتكلم حيث تكون الكلمة وعظا بليفا له قوة
التصدى والتفجير .

ويوم أن صم فرعون على التخلص من نبي الله موسى بالقتل كان الرجل
المؤمن مثلا يحتذى للمحتسبين الذين يقفون امام الطغيان ، بايمان يزلزل الظالمين
وزكاء يغل حصد السيوف وبلاغة تلوى بأعناى الخطر .

وفي سورة غافر فيما بين آيتي ٢٨ ، ٤٦ شجذ ذلك المحتسب يزاول مهمته على خير وجه واكمله يقول الله تعالى حكاية عن الرجل المؤمن وحسبته على فرعون وملته : " وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبديل دينكم أو ان يظهر في الارض الفساد " (٦٢) .

وقال رجل مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ، إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب . . . " (٦٢)

وهكذا استمر المؤمن بمنطق وحكمة يقنع فرعون وملأه في حنكة ولين - وأخذ يحذرهم من بأس الله اذا نزل ، ومصارع السابقين من المكذبين الضالين . . .

تم ختم حسبه بقوله كما حكى القرآن : " فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله ، إن الله بصير بالعباد " وكانت النتيجة هي نجات المؤمن : " فوآه الله سيئات ما مكروا ، وحاق بآل فرعون سوء العذاب " (٦٤)

ولقد نجحت حسبة الرجل المؤمن نجاحا واضحا : فقد تراخى فرعون ، وتميع ، وسوف ، وطلب من هامان ان يبني له صرحا ، حتى يبلغ اسباب السماوات كسي يتبين من إله موسى

ولصاحب اضواء البيان^(٦٥) تعليق يفيد الدعاة والمحتسبين على كلام الرجل المؤمن والذي استطاع ان يدفع المنكر بلسانه فلم يتأخر - وانا أدى المحتسب ما يقدر عليه في إخلاص لله وبغير تقصير فإن حسبه ستؤتى ثمارها

(٦٢) غافر : ٢٦ // (٦٣) غافر : ٢٨ // (٦٤) غافر : ٤٤ ، ٤٥

(٦٥) الشيخ محمد الامين بن محمد المختار الحكني الشنقيطي .

ولتفسير المنكر مراتب سيأتي الكلام عليها كل حسب قدرته .

وتغيير المنكر بالقلب ليس معناه السكوت المطلق، والسلبية المهيبة ولكنسه
كره للمنكر من اجل الله وذلك يظهر أثره على المحتسب بمقاطعة المحتسب عليهم ،
او البعد عنهم واجتنابهم " واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى
يخوضوا في حديث غيره ، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع
التوم الظالمين " (٦٧)

يقول صاحب التسهيل لعلوم التنزيل (٦٨) إن أنساك الشيطان النهي
عن مجالستهم ، فلا تقعد بعد ان تذكر النهي (٦٩)

وهب أن المحتسب لا يستطيع الحركة الايجابية فانه يتمنى البعد
عن الظالمين بقلبه ، وطلبها من ربه .

لذلك نجد زوج أقوى ملوك الارض في ذلك الوقت ، تضيق بالظلم والظالمين ،
وتضرع الى الله الأيمسها شيء من منكرات فرعون وملئه ، وعلمهم المشين . وكمال
الحسبية ان يفعل المحتسب ما يستطيع ، لذلك كانت مضرب المثل في الايمان والكمال
قال الله تعالى " وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ان قالت ربى ابن لى عندك
بيتا في الجنة ، ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين " (٧٠) . وقد
أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقها في قوله " كمل من الرجال كثير، ولم
يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون " . (٧١)

(٦٧) سورة الانعام : ٦٨

(٦٨) الامام الحافظ ابي القاسم محمد بن احمد بن حري الكلبى الفرناطى

كان ملاذ العلماء في الاندلس ولد سنة ٦٩٣ هـ وتوفي ٧٤١ في عصر

السلطان ابي الوليد اسماعيل وكان ابن حري من ذوى الاصاله والوجاهة ونبغ

في الفقه والخطابة ومات شهيدا في موقعة (طريف)

عن مقدمة التفسير السابق

(٧٠) سورة التحريم : اية ١١

(٧١) صحيح البخارى ص ٤ ص ١٣١

المرحلة الثانية
خروج موسى ومعه بنو اسرائيل
=====

تمهيد

نحن امام امة لم يعرف التاريخ العام، ولا تاريخ الدعوات بصفة خاصة
امة مثلها انحرافا وحقدا وخسة .

حيث صاروا ضد الحق والهدى وتكفروا لنعم الله ، وتعرضوا فعل الشر والاثام
حتى زينوا المحرمات ، وروجوا سوقها ، فملؤوا الارض بالفتنة ، وفي الحديث
الشريف " لعن الله اليهود حرمت عليهم الخحوم فجملوها وباعوها " (٧٢) وفي
محكم التنزيل " واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكثم أموال الناس بالباطل "
• (٧٣)

غير ان هذا لا يمنع من وجود عناصر خيرة في المجتمع اليهودي ممن
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، قال الله تعالى : " ليسوا سواء ،
من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله
واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات وأولئك
من الصالحين (٧٤) وقال : " ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون
• (٧٥)

لذلك كان تاريخ الدعوة في هذه الامة نافعا ومفيدا لمن يدرس الحسبة
لاخذ الدرس والعبرة ، لانه تاريخ مليء بانواع الاثام والوان الاحتساب ، وما
صارف المحتسبين .

نزعة الشر تغلب على سلوك اليهود

ونجد في كتاب الله ما يدل على ضالة الخير والميل اليه في هذه الامة العجيبة
فبنو اسرائيل هم أبناء يعقوب وليعقوب كما جاء في القرآن الكريم

(٧٢) صحيح البخارى ص ٤ ص ١٤٥ طبعة استانبول

(٧٣) سورة النساء : ١٦١

(٧٤) سورة آل عمران : ١١٤

اثنا عشر ولدا هم الاسباط - عشرة منهم ملأت قلوبهم الضغينة والحقد على
اخيهما الصغير ، يوسف عليه السلام . واجتمعت كبتهم على الانحراف ، والاشم
والعدوان " واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب " وهذا تخفيف اراده الله لحكم
صدر من الاثمين على يوسف ، وهو : " اقتلوا يوسف او اطرحوه أرضا " (٧٧)
كما اجتمعت كبتهم على الكذب والخداع " وجاؤوا بأباهم عشاء بيكون قالوا : يا أبانا
إننا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ، وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا
صادقين " (٧٨)
فلو خرج من زمرة الاسباط يوسف وشقيقه ، فنسبة الخير فيهم تساوى السادس
على أحسن تقدير .

ودليل آخر يلوح في حشد هائل من الايات التي تقص تاريخ الدعوة فسي
مجتمعات اليهود - وفيها الكثرة الكثيرة من الحديث عن قتلهم وسفكهم الدماء
خاصة لاهل الخير من الانبياء والمحتسبين ، وفي مرة واحدة كتب عليهم القتال
" فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم ، والله عليم بالظالمين " (٧٩)
اليهود بين الامس واليوم :

يهود اليوم هم احفاد الضغينة والاحقاد ، منذ اول العهد بهم في
الحياة ، ثم هم احفاد الذل والاستعباد ، على يد فرعون وطئه .

فهم قوم سردوا على النفاق والهوان ، والمكر والخديعة ، والحسد والانتقام
، فتراهم عبر حقب التاريخ منحرفين : " ظالمين " او " مظلومين " ، ومن اوصاف
الامام ابن القيم لهم : " أهل الكذب والبهت والمكر ، قتلة الانبياء ، وأكلىة
السحت ، أخطت الام طوية ، واردة هم سحبه ، وأبعدهم عن الرحمة ، وأقربهم
من النقمة ، . . . ليس لمن خالطهم طمأنينة ولا أمنة ، ولا لمن استعملوهم نصيحة ،
بل أخطبهم أعقلهم ، وأخذقهم أغشهم " (٨٠)

وبعيد أن تكون هذه هي الامة الخاتمة . بعد ان قتلوا انبياءهم ، وخرسوا

(٧٦) سورة يوسف : ١٥ - (٧٧) سورة يوسف : ٩

(٧٨) = = : ١٦ ، ١٧ (٧٩) سورة البقرة : ٢٤٦

(٨٠) هداية العبارى في اجوبة اليهود والنصارى - مطبوعات الجامعة

الاسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٣٩٦ هـ ص ٨ .

كتابهم ، وعاشوا في الارض فسادا . .

ولقد بعث الله فيهم عيسى عليه السلام آخر أنبيائهم ، وكان الانجيل امتدادا للتوراه - ورغم ما أيد الله به نبيه المسيح من المعجزات ، وما نزل في الانجيل من تخفيف ، فما وجد منهم الا الجحود والغدر * فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آنا بالله واشهد بأنا سلمون * (٨١)

وكان نصيب الحواريين مثل الانبياء ، التعذيب والتشريد والقتل .

موقف اليهود من الانبياء والمحتسبين :

نظرا لهذا الانحراف الخطير ، الذي يختلط بكيان بني اسرائيل وسلوكهم أرسل الله لهم كثيرا من الانبياء والمصلحين ، فكان مصيرهم ، التكذيب والتنكيل والقتل ، والادله على ذلك في الكتاب والسنة لا تكاد تقع تحت الحصر . من ذلك قول الله تعالى : وان اخذنا ميثاق بني اسرائيل ، وارسلنا اليهم رسلا ، كلمنا جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم ، فريقا كذبوا وفريقا يقتلون * (٨٢)

جاء في فتح القدير : * فمن المكذبين : عيسى ومحمد ومن المقتولين : يحيى وزكريا * (٨٣)

واذا كان هذا سلوكهم مع الانبياء والمرسلين ، فقد كان أشد وأنكى مع كل من يأمر بالعدل والاحسان ، وينهى عن الفحشاء والمنكر . . . وقد قال الله فيهم : * ان الذين يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الانبياء بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فيشرهم بعذاب أليم * (٨٤)

جاء في فتح القدير تعقيا على هذه الاية : * يعني اليهود قتلوا الانبياء والذين يأمرون بالقسط اي العدل من الناس ، وهم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر *

(٨١) سورة آل عمران : ٥٢ (٨٢) سورة المائدة : ٧٠

(٨٣) فتح القدير ج ١ - ص ٩٣ (لم يكتب عليه اسم الناشر ولا تاريخ الطبع)

(٨٤) المرجع السابق - ص ٤٩٥ - وانظر كتابه الخليلي لابنه بهيم ص ١٢١

وفى شرح قول الله تعالى " قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم تقتلوهم ان كنتم صادقين " كىحى وزكريا وأشعيا وسائر من قتلوا من الانبياء " وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله . . . افتخروا بقتله وذكروه بالرسالة استهزاء ، لانهم ينكرونها ، ولا يعترفون بأنه نبي " (٨٥)

وقد اثبت صاحب كتاب مكاييد يهوديه : بعض اسما الانبياء الذين قتلهم اليهود . يقول " وثبت عليهم فى التاريخ انهم قتلوا من الانبياء : حزقيال ، واشعيا وارميا ويحى وزكريا وغيرهم ولم يكن سبب قتلهم الا انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وفيما يلى لمحة موجزة عن ذلك :

١ - " حزقيال " قتله قاض من قضاتهم ، لانه نهاه عن منكرات فعلها .

٢ - " أشعيا " قتله : منسى - احد ملوك يهوذا ان امر بنشره على جذع شجره سنة ٧٠٠ ق . م - لانه كان ينصحه ويعظه بترك السيئات والموبقات .

٣ - " أرميا " قتله اليهود رجما بالحجارة لانه اكثر من توبيخهم على منكرات اعمالهم وكبائر معاصيهم .

٤ - " يحيى " قتله - هيروودوس - العبراني الذى ملك اليهود من قبل الامبراطوريه الرومانية ، وكان هذا الرجل شريفا فاسقا ، وكانت له ابنة اخ بارعة الجمال ، فلما اراد ان يتزوجها عارض " يحيى " وبين ان الشريعة تحرم

زواج العم بابنة اخيه ، فكان مصيره القتل . (٨٦)
ولم يكن قتل هؤلاء إلا صورة من صور النصر على الباطل ، وإن كان ظاهرا لا منوعا جل النظر بهم غير هذا (٨٧)
غير ان النفس البشرية تعتمريها ساعات ضعف " ان النفس لامارة بالسوء " الا ما رحم ربك " (٨٩)

والنفس بهذا الاستعداد تفريها وسوسة الشيطان فتتبع خطواته " ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر " (٩٠)

والخطوة الاولى من خطوات الشيطان تبدأ بخالفة تُظن يسيرة ، كالتهاون

(٨٩) سورة يوسف : ٥٢ (٩٠) سورة النور : ٢١

(٨٥) فتح القدير فى تفسير الآية المذكورة . آية : ١٨٢ - سورة آل عمران .

(٨٦) مكاييد يهودية عبر التاريخ - دار العلم بدبشوه ص ٣٠ ، ٢٩

(٨٧) لقول الله تعالى : انا لنظهر رسالتنا فى الحياة الدنيا ويوم نقوم الامماد " (٨٨) سورة مائمه : ١٥

في امر من أمور الدين ايجابا او سلبا ، والنفس والشيطان تدعان هذا التهاون
بكثير من التبريرات ، رغبة أو رهبة .

ولا يزال الشيطان يوسع من تلك الثغرة حتى تكون الطامة ، ويفتح الباب
على مصراعية للمخالفات . . . وبطريقة قد تأخذ شكل المباح .

وكم تكون خسارة الامة فادحة (ان كان التهاونون هم الاحبار والرهبان)

موقف الاحبار والرهبان من الاحتساب :

الاحبار والرهبان هم علماء اليهود وفقهاءهم ، وقادة العامة في أمور
دينهم ودنياهم .

ولقد تخلل الشيطان بين صفوفهم ، واستمروا في التهاون حتى حققت عليهم
الكلمة ، فأضلهم الله على علم ، وهذا اظلم انواع الضلال . حيث يتأول رجل
الدين في الضلال ، ويبرر المنكرات ، ويلوى بأعناق الكلمات ، كي يسخر الدين
في خدمة المال والثراء ، والشهرة ، على حساب شرع الله ونقض عراه .

ولقد شارك الاحبار والرهبان في المنكرات بمخالطة متعاطيها ، ولم يفضبوا
لله او ينفروا من أهل المعاصي .

فقد روى الترمذى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما وقعت بنو اسرائيل
في المعاصي نهتهم علماءهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وأكلوهم وشاربوهم
فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون ، فجلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا
فقال : لا . والذي نفسي بيده ، حتى تأطروهم على الحق أطرا * (٩١)
اي تردوهم عن المعاصي . وفي رواية ابي داود * او ليضربن الله بقلوب بعضكم
بعضا ثم ليلعنكم كما لعنهم * (٩٢)

(٩١) رواه الترمذى في سننه : باب ٤٨ في تفسيره سورة المائدة

آيه : لعن الذين كفروا من بني اسرائيل رقم ٧٨ و ٧٩

(٩٢) وفي سنن ابي داود في كتاب الملاحم باب الامر والنهي .

وكاد المجتمع اليهودى يخلو من محتسب ينهى عن المنكر قال الله تعالى
" لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لئس ما كانوا
يفعلون " جا" فى تفسير الامام الطبرى لهذه الاية : ما فى القرآن آية اشد
توبيخا للعلماء من هذه الاية - ويورد الطبرى للضماك قوله : الربانيون والاحبار :
فقهاؤهم وقراءؤهم وعلماؤهم ثم يقول : وما أ خوفني من هذه الاية" (٩٣)

ولم يقتصر موقف الاحبار والرهبان عن السكوت او المشاركة فى فعل المنكر
بل تعدى ذلك الى تحليل ما حرم الله ، وتحريم ما احل الله ، فاتخذوا بذلك
لانفسهم صفة الالهية ، فاتخذ اليهود منهم آلهة لانهم يأتون بما تهوى أنفسهم
المريضة

وفى تفسير قول الله تعالى فى الاية ٣١ من سورة التوبة - فى حق أهل الكتاب -
: " اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله . " جا" فى تفسير ابن كثير :
وروى الامام احمد والترمذى وابن جرير عن عدى بن حاتم رضى الله عنه : انه دخل
على النبى صلى الله عليه وسلم وفى عنقه صليب ، والرسول يقرأ هذه الاية : اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله . قال عدى قلت يا رسول الله : انهم لم
يعبدوهم ، فقال : بلى انهم حرموا عليهم الحلال ، واحلوا لهم الحرام فاتبعوهم
فذلك عبادتهم اياهم " .

وفى الرواية التى رواها الامام الطبرى ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما دخل
عليه عدى وفى عنقه الصليب ، قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : يا عدى اخرج هذا
الوشن من عنقك : قال فطرحته ، وانتهيت اليه وهو يقرأ فى سورة براءة هذه الاية . .
الى آخر ما جا" فى تفسير ابن كثير ثم يقول الطبرى : فجعل الله طاعتهم عبادة (٩٤)

وصار الدين بالنسبة للاحبار والرهبان مصدر ثراء ووسيلة للحصول على الذهب
والفضة . فامتلوا وكثروا وسجل الله عليهم ذلك الجرم الشنيع فقال : يا أيها
الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون
عن سبيل الله ، والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم
بعذاب اليم" (٩٥)

(٩٤) انظر تفسير الايه فى تفسير الطبرى وتفسير السيوطي وتفسير ابن كثير .

(٩٥) سورة التوبة : ٣٤ (٩٣) فى تفسير آية ٦٣ من سورة المائدة

وبعد

فاذا كانت دراسة احوال الامم السابقة مع الرسل والتابعين ضرورة - لمعرفة المقدمات والنتائج التي يتزود بها الدعاة والمحتسبون - فاننا ندرك بعض الحكمة في عرض قصة بنى اسرائيل في القرآن الكريم ، بأساليب مختلفة ، واللوان متعددة بنوع من البسط والتفصيل لم يحدث في قصة امة اخرى ، لان ما حدث فيها من انحرافات وما مارسته من اساليب الباطل ، يكون دروسا واعية للدعاة والمحتسبين في غير امة اخرجت للناس .

تجربة الحسبه في بنى اسرائيل تجربة مفعمة بالفوائد ، لان المجتمع الذي اراد له الله الخير والسعادة ، فاختر لنفسه الشر والشقاوه ، مجتمع شر المقدمات والنتائج ، غني بالدروس والتجارب تنوعت فيه النزعات وتجددت فيه اللوان الانحراف فكثرت تبعا لذلك وسائل الدعسوة ولرق الاحتساب .

واصبحت الامه التي سبقت آخر الامم ، مرجعا لمن اراد ان يؤسس مجتمعا اسلاميا ، خالها من الانحرافات ، ويضدها تتميز الاشياء . " ذلك من انبياء القرن نقصه عليك منها قائم رحيميد " (٩٦)

رتتائل في آخر المطاف ما فاله الحق تبارك وتعالى لخاتم الانبياء والمرسلين في آخر سورة هود ، وبعد الكلام على مصارع الفوم ، موجزا المقدمات والنتائج والدرس والعبرة ، وخط السير حتى يوم البعث والنشور ، وحسب الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه . التوكل على الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ؛ وكلا نقص عليك من انبياء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين . وقل للذين لا يؤمنون اعطوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون (٩٧)

(٩٦) سورة هود : ١٠٠

(٩٧) آخر آيات في سورة هود .

الاحتساب على أهل الكتاب
بعد ظهور الاسلام

=====

تمهيد

قال الله تعالى " ان الدين عند الله الاسلام " والاسلام هو دين الانبياء
والموسلين جميعا " ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة
من الخاسرين " آل عمران - ٨٥

فليس في دين الله يهودية ولا نصرانية ولا موسوية او عيسوية ولكن هناك اسلام
وانقيار لله رب العالمين لا شريك له ، وهذا ما نطق به الانبياء والمرسلون
فنوح عليه السلام قال لقومه : " فان توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى
إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين " (٩٨)

وابراهيم واسماعيل عليهما السلام كان من دعائهما وهما يرفعان البيت " ربنا
واجعلنا مسلمين لك ، ومن دريتنا أمة مسلمة لك " (٩٩)

وفي نفس السورة يقول الله تعالى : " ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني
إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون " (١٠٠)

وعندما ادعى اليهود والنصارى أن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا كان رد
القرآن قاطعا : " ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفا مسلما ،
وما كان من المشركين " (١٠١)

وكان من فضل الله على الذين يشهدون ألا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله
ان يطلق عليهم كلمة مسلمين ، وهو الاسم الذي ارتضاه الله ، وسمانا به ابو الانبياء
ابراهيم عليه السلام . .

(٩٨) سورة يونس : ٧٢ (٩٩) سورة البقرة : ١٨٢

(٩٩) سورة البقرة : ١٣٢ (١٠١) سورة آل عمران : ٦٢

واورد الامام الشوكاني في تفسير قول الله تعالى " ولقد آتينا موسى الكتاب وقفيننا من بعده بالرسل " وقد اخرج ابن عساكر عن ابن عباس قوله : ولقد آتينا موسى الكتاب يعنى التوراة جطة واحده مفصله محكه وقفيننا من بعده بالرسل يعنى : رسولا يدعى اشمويل ، ورسولا يدعى ارميا . . . ورسولا يدعى داود هو ابو سليمان . . . ورسولا يدعى المسيح عيسى ابن مريم . . . فهو ولا الرسل وغيرهم ابتعثهم الله وانتخبهم من الامة بعد موسى فأخذ عليهم ميثاقا غليظا ان يؤدوا الى اتهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم وصفة آتته " (١٠٨)

فكانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي الرسالة الخاتمة ، واته هي الامة الوسط وخيرامة اخرجت للناس .

ولشيخ الاسلام ابن تيمية في هذا المقام مباحث جمه الفوائد . لم يسبق اليها ولم يلحق بها حتى الان فيما اعلم - في كتابة الجواب الصحيح بأجزاء الاربعة .

وما قاله : " فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالشريعة الكاملة العادلة وجعل أمة عدلا خيارا ، لا ينحرفون الى هذا الطرف أو الى هذا الطرف بل يشتدون على اعداء الله ويلينون لاولياء الله . ففي اشريعة محمد صلى الله عليه وسلم من اللين والرفق والصفح ومآم الاخلاف اعظم مما في الانجيل ونبيها من الشدة والجهاد وقامة الحدود اعظم مما في التوراة ، وهذا هو غاية الكمال وهذا فضل بعضهم : بعث موسى بالجلال ، وبمعه عيسى بالجمال وبمعه محمد بالكسال .

فكان ارساله صلى الله عليه وسلم اعظم نعمه انعم الله بها على اهل الارض ، ومن استقرأ احوال العالم تبين له ان الله لم ينعم على اهل الارض نعم اعظم من انعامه بارساله محمدا صلى الله عليه وسلم ، وان الذين ردوا رسالته هم الذين

قال الله فيهم : " الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا ، واحلوا قومهم دار
البوار " (١٠٩)

موقف اهل الكتاب من الاسلام :

لقد كانت معرفة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالة وامته امورا معروفة تمام
المعرفة لدى اهل الكتاب " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم
" (١١٠) يقول الامام الشوكاني : الكتاب للمجنس فيشمل التوراة والانجيل وغيرهما
اي يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة محققة (١١١) .

وعلى الرغم من ذلك لم يسجل تاريخ الدعوات معارضة اشد في اللجاجة
واعمق في العداوة وأبعد عن الحق - من معارضة اهل الكتاب لدعوة محمد صلى
الله عليه وسلم .

وقد اخرج ابن ابي اسحاق وابن جرير وابن النذر وابو نعيم والبيهقي
من طريق عاصم بن عمر بن قتادة الانصاري قال حدثني اشياخ منا قالوا : لم
يكن احد من العرب اعلم بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان معنایهود وكانوا
اهل كتاب وكنا اصحاب وثن وكانوا اذا بلغهم منا ما يكرهون قالوا : ان نبيا ليبعث
الان ، وقد اظلم زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم ، فلما بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتبعناه وكفروا به ففينا وفيهم انزل الله " ولما جاءهم كتاب يصدق
لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
فلعن الله على الكافرين " . (١١٢)

فلم يكن رفض الدعوة والكفر بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب
عن جهل ، فهم اعرف الناس بمحمد ورسالته ، لكنه الحسد الذي تمنوا به زوال نعمة
الاسلام عن محمد واتباعه ، وصدق الله العظيم حيث يقول : " ووكثير من اهل الكتاب

(١٠٩) انظر ص ٣ من كتاب الجواب الصحيح صفحات ٢٤١ - ٢٤٤ (بتصرف)

(١١٠) سورة البقرة : ١٤٦

(١١١) فتح القدير في تفسير الاية المذكورة

(١١٢) سورة البقرة : ١٠٩

لو يردوكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق
(١١٣) .

وقد روى ابن خزيمة في صحيحه عن عائشة رضی الله عنها قالت : دخل يهودى على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : السأم عليك يا محمد فقال النبي صلى الله
عليه وسلم : وعليك ، قالت عائشة : فهمت ان اتكلم فعلمت كراهية النبي صلى الله
عليه وسلم لذلك فسكت ، ثم دخل آخر ، فقال : السأم عليك ، فقال : عليك ..
فهمت ان اتكلم ، فعلمت كراهية النبي صلى الله عليه وسلم لذلك ، ثم دخل الثالث فقال
: السأم عليك ، فلم اصبر حتى قلت : وعليك السأم وغضب الله ولعنته ، اخوان القردة
والخنازير ، اتحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لم يحيه الله ؟ ، فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ، قالوا قولا ، فردونا عليهم ، ان
اليهود قوم حسد وهم لا يحسدوننا على شئ كما يحسدوننا على السلام وآمين
(ان ما يقال في نهاية الفاتحة) (أ)

يقوم الامام ابن القيم في هداية الحيارى : " ومن أعظم الاسباب المانعة
من قبوء الحق " الحسد " فانه داء كامن في النفس يرى الحاسد المحسود وقد
فضل عليه ، واوتى ما لم يوءت نظيره ، فلا يدعه الحسد ان ينقاد له ويكون من اتباعه
وهذا الداء هو الذي منع اليهود من الايمان بعميس بن مريم ، وقد علموا علما لا شك
فيه انه رسول الله وجاء بالبينات والهدى بل اتى بتحليل بعض ما حرم عليهم تخفيفا
ورحمة واحسانا فكيف يكون حالهم مع نبي جاء بشريعة مستقلة ناسخه لجميع
الشرائع .

قال الاخنس بن شريق - يوم بدر - لابي جهل : يا أبا الحكم اخبرني عن محمد
أصدق هو أم كاذب ؟ فانه ليس هاهنا من قريش احد غيرى وغيرك يسمع كلامنا
قال ابو جهل : ويحك والله ان محمد لصادق وما كذب قط ، ولكن اذا ذهب بنو
قصى باللواء والحجابه والسقايه والنبوة فمادنا يكون لسائر قريش ؟ .

(١١٣) سورة البقرة : ١٠٩

(أ) ط ١ ص ٢٨٨ - صحيح ابن خزيمة للامام ابى بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة
السلمي النيسابورى ولد سنة ٢٢٣ وتوفى ٣١١ شهد له الامام دارقطنى " فقال
كان ابن خزيمة ثبتا معدوم النظر وقال السيوطى : صحيح ابن خزيمة اعلى مرتبه من
صحيح ابن حبان لشدة تحريه - عن مقدمه محففة الدكتور محمد مصطفى الاعظمي الحائز
على جائزة الطك فيصل العالمية سنة ١٤٠٠ هـ لجهوده في خدمة السنه)
طبعة المكتب الاسلامي سنة ١٤٠٠ هـ .

ثم يقول ابن القيم : وعلماء اليهود كانوا يعرفون النبي كما يعرفون ابناهم* (١١٤)

الحسبة على اهل الكتاب داخل المجتمع الاسلامي :

حاك في نفس اليهود ان يبعث الله الرسول من العرب ، وآلمهم ان يدخل
الناس فيه افواجا ، وكان الطامة الكبرى بالنسبة لهؤلاء اليهود ان يتكون اول مجتمع
اسلامي في المدينة ، التي اتخذوا منها وما حولها مستقرا لهم .

وقد صمم اليهود على تقويض هذا المجتمع والحيلولة بينه وبين التكوين والغلبة
فحشدوا من وسائل الكيد والصد والخيانة ما يحقق لهم رغباتهم العدوانية " والله
غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون .

وقد حاول الاسلام بشتى الطرق ومختلف الاساليب ان ينضم اهل الكتاب الى
المجتمع الاسلامي ، ولكن متى تخلى بنو اسرائيل عن طبيعتهم العجيبة وسلوكهم
المشين ؟

كم ناداهم القرآن نداء تكريم وكم وذكرهم بنعم الله ودعاهم الى
كلمة سواء ، فما اجدى ذلك او افاد .

وهذا احد النداءات التي وجهت اليهم : قال الله تعالى : يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ، واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون
وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافرينه ، ولا تشتروا بآياتي شيئا
قليلا واياي فاتقون ، ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكفوا الحق وانتم تعلمون* (١١٥)

وما جاء في تفسير ابن كثير لهذه الاية : " يقول الله تعالى آما بني
اسرائيل بالدخول في الاسلام ، ومتابعة محمد عليه من الله افضل الصلاة والسلام
ومهيجا لهم بذكر ابيهم اسرائيل وهو نبي الله يعقوب . وتقدير الكلام يا بني
العبد الصالح المطيع كونوا مثل ابيكم في متابعة الحق . . " واياي فارهبون " اي
فاخشون . . وهذا انتقال من الترغيب الى التهيب فدعاهم اليه بالرغبة والرهبة
لعلهم يرجعون الى الحق واتباع الرسول .

(١١٤) ص ١٦ من كتاب هدى الحيارى

(١١٥) سورة البقرة : من ٣٩ - ٤٢

لكن لم يجد الترغيب ولا التهيب واستمر بنو اسرائيل في نفورهم وعتوهم . فانتقلت
الشريعة الاسلامية الى مرتبة ثانية من مراتب الاحتساب وهي، ان يضمن المجتمع
الاسلامي .. حسن الجوار، وأن يأمن المسلمون شر اليهود وكيدهم، على ان يكون لهم
الامان داخل المجتمع الاسلامي شريطة ان يلتزموا بالسلوك الملائم للمجتمع الاسلامي
الذي يعيشون فيه، فلهم ما لهم وعليهم ما عليهم .

لكن ارباب الضغينة والحسد لن يطلوا الكيد والغدر فكم نقضوا العهود، وكم تأمروا
ضد الاسلام والمسلمين .

وعقب غزوة الاحزاب كاد الرسول صلى الله عليه وسلم ان يستأصلهم تماما، بعد ان
استأصل شوكتهم . . الى ان تم ذلك في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وارضاه
حيث اجلاهم تماما عن الجزيرة العربية .

محتسبون من أهل الكتاب :

وبعد ذكر لمحّة عن الحسبة على اليهود : دعوة لهم وردا ^① لكيدهم ومخالفاتهم
ثم حفاظا على المجتمع الاسلامي في المدينة، لا يفوتني ان المح الى حسبة بعض اليهود
الذين اسلموا بحق وحسن اسلامهم، والذين حاولوا ان يكون لإعلان اسلامهم دور
فعال في الحسبة على اليهود، عليهم يرشدون الضالين من اليهود الى جادة الصواب،
بعيدا عن السكر والالتواء .

من ذلك ما يرويه البخارى وكتاب السير عن طريقه ^② اسلام عبد الله بن سلام رضى الله
عنه وها هو نص الامام البخارى : حدثنا محمد بن سلام اخبرنا الغزاري عن حميد عن انس
رضى الله عنه قال : بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
فأتاه فقال : انى ساءلك عن ثلاث لا يعلمها الا نبي : ما أول اشراط الساعة؟
وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ فقا ومن أى شىء ينزع الولد الى أبيه ومن أى
شىء ينزع الولد الى أخواله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم خبرني بهم آتفا جبريل
قال : فقال عبد الله : ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال صلى الله عليه وسلم :
أما أول اشراط الساعة، فنارت حشر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله

اهل الجنة فزيادة كبد الحوت . واما الشبه في الولد : فان الرجل اذا غشى
المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له ، واذا سبق ماؤها كان الشبه لها . قال :
اشهد انك رسول الله - ثم قال : يارسول الله ان اليهود قوم بُهت ان علموا
باسلامي قبل ان تسألهم ^(ج) بهتوني عندك - فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا :
اعلمنا وبن اعلمنا ، واخبرنا وابن اخبرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أفرايتم إن أسلم عبد الله ؟ قالوا : أعاناه الله من ذلك ، فخرج عبد الله اليهم
فقال : اشهد الا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ، فقالوا شرنا وابن شرنا
ووقعوا فيه (١١٦)

زاد البخارى في رواية عبد الله بن منير عن عبد الله بن بكر : " فانتقصوه قال :
فهذا الذى كت اخاف يارسول الله " (١١٧) والقصة مطولة في سيرة ابن هشام
وفيه زيادات مفيدة (١١٨)

ومن الذين احتسبوا على اليهود وأدفعهم على حقيقة أمرهم ، وأمر محمد صلى
الله عليه وسلم - حبر يسمي " مخيريق " يقول ابن اسحاق : وكان من حديث مخيريق
وكان حبراً عالماً ، وكان رجلاً غنياً كثير الاموال من النخل وكان يعرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم بصفته وما يجد في علمه وغب عليه الف دينه فلم يزل على
ذلك ، حتى اذا كان يوم أحد " وكان يوم أحد " يوم السبت . قال : يامعشر يهود :
والله انكم لتعلمون ان نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت قال :
لا سبت لكم ، ثم أخذ سلاحه حتى اذا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم (واصحابه)
بأحد وعهد الى من وراءه من قومه : إن قتلت هذا اليوم فأموالى لمحمد يصنع فيها
ما اراه الله فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
" مخيريق خير يهود " . (١١٩)

ولكن هل اسلم مخيريق ام لا ؟ لم أر في المراجع التى تيسرت لى من قال بذلك
سوى عبارة نقلها ابن سيوط ^(أ) الناس في كتابه " عميون الاثر " عن الواقدي يقول : -
" وكان مخيريق احد بنى النضير حبراً عالماً ، فأمن برسول الله صلى الله عليه وسلم
وجعل ماله له وهو سبعة حوائط (ب)

(١١٦) البخارى ج ٤ ص ١٠٣ طبعة استانبول

(١١٧) البخارى ج ٥ ص ١٤٩ = =

(١١٨) سيرة ابن هشام ص ٢ ص ١٣٨ / ١٣٩ طبعة دار الفكر .

وقد اخرج ابن اسحاق وابن حرير وابن المنذر وابن ابى حاتم والطبراني وابو نعيم فى المعرفة والبيهقي فى الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس قال : لما اسلم عبد الله بن سلام وشعلية ابن سعيد واسيد بن سعيد ومن اسلم من يهود معهم قآضوا وصدقوا ورغبوا فى الاسلام قالت أخبار يهود واهل الكفر منهم . ما آمن مع محمد وتبمه الا شرارنا ، ولو كانوا اخيارنا ما تركوا دين آباءهم وذمبوا الى غميره فأنزل الله فيهم : ليسوا سراة من اهل الكتاب آمة قائمه يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات اولئك من الصالحين * (١١٩) فثبت ان من اهل الكتاب من احتسبوا (١٢٠)

وكانت حسبة هوؤولا ضرورة حتى يعلم اهل الكتاب انهم ليسوا على شىء ، وان الحق فى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيزدادهم ويأكل الحسد قلوبهم بينما يزداد المؤمنون ايمانا على ايمانهم .

فاسلام واحد من اهل الكتاب - ولا سيما اذا كان من علمائهم وساداتهم - ليس مجرد ايمان شخصي ، ولكنه تصديق للنبوة وتكذيب لمن أضلهم الله على علم من الاحبار والرهبان ، وبرهان للاسيين من العرب يثبت ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو ذلك النبي الذى كان يتحدث عنه اهل الكتاب قبل ظهوره .

ولقد كانت شهادة عبد الله بن سلام رضى الله عنه على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الاهمية بحيث تحدث عنها القرآن الكريم فى قول الله تعالى : " قل أرايتم ان كان من عند الله وكفرتم به ، وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله . ، فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين " (١٢١) .

(آ) هو ابو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى الشافعى الاندلسى المصرى المعروف بابن سيد الناس - ولد فى القاهرة سنة ٦٧١ هـ وطلب الفقه والحديث ونبغ فيهما على يد ابيه والشيخ بن وقيق العبد ، وكم خرج وصنف وصحح وعلل ، وفرغ وأصل ، كما كان أدبيا وشاعرا - توفي سنة ٧٣٤ (عن مقدمة عيون الاثر) (ب) عيون الاثر فى فنون المغازى والشمال والسير ص ٢٥٢ المجلد الاول منشورات دار الافاق - بيروت (١١٩) سورة آل عمران : ١١٣ / ١١٤ (١٢٠) فتح القدير ص ١ ص ٣٤٢ بدون تاريخ ولا جهة طبع

وقد روى الامام البخارى فى مناقب عبد الله بن سلام قال : حدثنا عبد الله بن يوسف قال : سمعت قال : سمعت مالكا يحدث عن ابى النضر مولى عمر بن عبد الله عن عامر بن سعد بن ابى وقاص عن ابيه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يشى على الارض انه من اهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام^(٢) على مثله . . الاية (١٢٢)

ومن قبل عبد الله بن سلام وغيره من اليهود، كان إسلام النجاشي ملك الحبشة واحتسابه على الوفد الذى اوفدته قريش لتسليم المهاجرين (١٢٣) فكان موقف النجاشي وامثاله من اهل الكتاب جهادا فى سبيل اعلاء كلمة الله، وكلمة الحق قوية تزلزل الباطل واهله . وكانوا حسبتهم بذلك مصابيح تهدى الحاكدين وتشفي صدور قوم مؤمنين بينما تصيب الحاسدين الجاحدين بالهم والحسرة .

ولقد أمر القرآن الكريم بالاحتساب كثيرا على اهل الكتاب وتتبع مواطن ذلك فى القرآن يطول به المقال ما لا يتسع له المقام .

وكان ذلك ضرورة لفضح معتقدتهم الفاسد وسلوكهم الشين .

وكتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عليه [فيه الزاد المستطاب للاحتساب على اهل الكتاب] فليرجع اليه من اراد المعرفة .



(١٢١) سورة الاحقاف : ١٠

(١٢٢) صحيح البخارى طبعة استانبول ص ٤ ص ٢٢٩

(١٢٣) انظر سند الامام احمد ص ١ ص ٢٠١

(٢) سقط منه لسانه : وانه نزلت منه آية : وشهدنا انه من بنى

من نتائج الفصل السابق

ان ذكر بعض نماذج من الحسبة في الامم السابقة كان ضرورة لمن يعرض
لضرورة الاحتساب في المجتمع الاسلامي، لما لها من الفوائد الجمة والنتائج النافعة
للمحتسبين والمحتسب عليهم .

وهذه بعض النتائج :

اولا : ان المعركة بين الحق والباطل نشبت منذ بدأ الخليفة ولن تهدأ حتى
تقوم الساعة .
وان الشيطان واعوانه يبحثون عن الذرائع والشغرات كي ينفذوا منها ليعكروا
بالمنكر صفو المجتمع المطرّم .
وان التهاون في ترك معروف مهما كان او فعل مهما بدا صغيرا - اتباع
لخطوات الشيطان المؤدي في النهاية إلى فساد الفطرة واختلال التصور
والسلوك .

ثانيا : ان هدف الانبياء والمرسلين الذين بعثوا لتحقيقه هدف واحد ، وهو :
ايجاد المجتمع المسلم المطرّم بأوامر الله ونواهيه دخولا في عموم قول الله
تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " وان تتبع ذلك الالتزام
هو : مهمة الرسل والمحتسبين من اتباع الرسل ودعاة الخير .

ثالثا : ان عقلية المشركين هي في مختلف الامم والعصور عقلية قاصرة تافهة ، ترى
الامور من منطلق معكوس نتيجة لفساد الفطرة واختلال الحكم .
فالمشركون الذين قالوا لنوح : " ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا
الذين هم اراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم
كاذبين " (١٢٤) مثل الذين قالوا لشعيب : " ما نفقة كثيرا ما
تقول " وانا لنراك فينا ضعيفا . . (١٢٥) نظير الذين قالوا لمحمد :

(١٢٤) سورة هود : ٢٧

(١٢٥) سورة هود : ٩١

لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " . . (١٢٦)

وظل هذا التكبر طبع كل ضال لا تردعه الأدلة ولا يجدى معه الرفق : " واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد " " واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض، قالوا إنما نحن مصلحون* إلا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون* واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا : أنؤمن كما آمن السفهاء إلا أنهم السفهاء* ولكن لا يعلمون " (١٢٧)

رابعاً : ان اقبح صورة للمنكر ان يجهر به دون حياء او ان يعلن على الملا^١ كأنه الحق الحقي الصراح - وتسخ الفطرة حتى تختل القيم والمقاييس، وهنا يصبح الانحراف شرفاً والاستقامة جريمة .

فقوم لوط اعلنوا الفواحش في النوادي والطرقات وعند عابثيهم نبي الله واتباعه تنادوا فيما بينهم : " اخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم اناس يتطهرون " (١٢٨)

" وقال الملا^٢ من قوم فرعون انذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك (١٢٩) وقد حذر فرعون قومه من موسى قائلاً " إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد (١٣٠) .

وفي ايامنا هذه نرى للجهر بالمنكر أنصاراً ووسائل دعائية واعلان . . واذا تصدى المحتسبون لتلك المنكرات المعلنه^٣ رماهم أهل المنكر بالجمود والتأخر والرجعية " ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون " (١٣١)

• فلا يهولن الدعاة والمحتسبين ظهور المنكر واعلانه وكثرة المقترفين له . . فسوف يدمر كل باطل باذن الله اذا تسك اهل الحق به ولم يخشوه في الله لومة لائم .

(١٣٦) سورة الزخرف : ٣١

(١٢٧) = البقرة : ١١ - ١٣

(١٢٨) سورة الاعراف : ٨٢

(١٢٩) سورة الاعراف : ١٢٧

(١٣٠) سورة غافر : ٢٦

(١٣١) سورة المطففين : ٢٩ / ٣٠

"ودرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون" (١٣٢)
ولا يهلون المحتسبين سخرية المنحرفين . . فهذا شأنهم مع اهل الخير ومن هم على
صراط مستقيم"

خامسا : على المحتسب ان يكون مثالا ، كى يحتذى به ، فى عقيدته وسلوكه وان
يبدل أقصى ما يستطيع من وسائل الاحتساب فى صبر واخلاص رافعا شعار
نبي الله شعيب عليه السلام ؛ ان اريد الا الاصلاح ما استطعت - وما توفيقى الا
بالله " (١٣٣) وان ينفذ وصية لقمان لابنه " يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه
عن المنكر واصبر على ما اصابك إن ذلك من عزم الأهور (١٣٤)

فيا أيها المحتسبون ان مهتمكم لشاقة ولكن غايتها ايجاد مجتمع يرضى عنه الله
فتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر . . .

واحدروا من الوقوع فى المنكرات حتى لا تُوبخوا بقول الله تعالى : "أتأمرون
الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون" (١٣٥)

سادسا : ان احتساب العلماء وذوى الجاه اكثر نفعا وأقوى أثرا فحسبه النجاشي
شدت ظهر المؤمنين وقصمت ظهر المشركين . .
وحسبة عبد الله بن مسلام وهو اعلم الاحبار واخيرهم قد اصابت اليهود بالذعر
والحسرة بينما لفتت نظر المكذابين الاميين وشفقت صدور قوم مؤمنين .

سابعا : ان الحسبة كانت قائمة فى الامم السابقة يقوم بها الرسل واتباعهم فما بعث
نبي الا وكان له حواريون يدعون الى المعروف وينهون عن المنكر ويتابعون ذلك
ابتغاء مرضاة الله .

وان الحسبة ا كانت ضرورة لاي مجتمع يتحرى أوامر الله ونواهيه من المجتمعات التى
سبقت . كما كان فى حسبه القرآن على اهل الكتاب دروس وعبر فى باب الاحتساب
يتنفع بها المسلمون بصفة عامة والعلماء بصفة خاصة .

(١٣٢) سورة الاعراف : ١٢٧

(١٣٣) = هود : ٨٨

(١٣٤) = لقمان : ١٧

(١٣٥) = البقرة : ٤٤

هذا وقد برز دور الاحتساب بصورة واضحة في بنى اسرائيل: "ومن قوم موسى
أمة يهدون بالحق وبه يعدلون" (١٣٦) وقد سبقت الالة على ذلك . درلهم ماسعود
سد الادلل دلهم كافيلا لاله شاء لله الا انه لا بد منه

الرد على من قال إن الحسبة من خصائص الامة المحمدية فقط

ولقد ذهب هذا المذهب الدكتور على عبد الحليم محمود (١٣٧) في كتابه
"مع العقيدة والحركة والمنهج في خير آمة اخرجت للناس".

فقد قرر في الفصل الرابع الخاص بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ان الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر لم يكن لامة من الامم غير الامة المحمدية وهو يعتقد
بذلك انه ينتصر للاسلام).

ثم يورد كلاما يحتاج في الرد عليه الى صفحات كثيرة لكن الذي يقرأ ما كتب
في هذه الرسالة بايجاز عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الامم السابقة - وعلى
وجهه الخصوص في بنى اسرائيل - يستطيع الحكم على النصوص التالية في كتاب الاستاذ
الدكتور على عبد الحليم .

وها هي ذى بعض النصوص التي وردت "بالنص" في النسخة المطبوعة بمطابع جامعة
الامام محمد بن سعود الاسلامية :

ففي صفحة ٢٦٩ يقول : "ميز الله الامة الاسلامية بأنها امة الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وخصها بذلك لانه اراد ان تكون امة خاتم الانبياء والمرسلين محمد صلى الله
عليه وسلم ، اراد الله ذلك للامة الاسلامية فلم يشأ ان تشاركها فيه امة سابقة لها او امة
لاحقة ولا تستطيع امة ان تدعى انها جعلت من قضية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
محالا حيويلا لدعوتها . . لأن التاريخ يبيننا بأن ذلك لم يكن لأمة سبقت الاسلام
ولا لأمة لاحقت به " (٢).

(١٣٦) سورة الاعراف : ١٥٩
(١٣٧) الدكتور على عبد الحليم محمود - استاذ مشارك بجامعة الامام محمد بن سعود
الاسلامية بالرياض - حتى كتابة هذه السطور

(٢) هكذا قال .

ثم يورد اعتراضا في ص ٢٧٢ ويتولى هو نفسه الرد عليه في صفحة ٢٧٣ فيقول :
" قد يقال ان اليهود قد مارسوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما بينهم . . .
والرد على ذلك ان المفهوم الصحيح للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينبغي ان
تكون صورته على هذا النحو الذي مارسه اليهود فيما بينهم لانها تخرج بالقضية عن
شمولها وانسانيتها من جانب ثم - وهو الأهم - تتناقض مع ما جاء في القرآن الكريم
عن اليهود من جانب آخر حيث وصفهم بأنهم " كانوا يتناهون عن منكر فعلوه " .

وفي الصفحة السابقة يورد اعتراضا آخر ويورد بطريقته فيقول : " قد يقال : ان بعض
المؤمنين الصالحين من يهود من آمنوا بدين الله وأنبيائه قد مارسوا الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر - اذا قيل ذلك - وجدنا ردين اثنين لا ردا واحدا .

أولهما : اننا لا نعرف في تاريخ اليهود الباقي لنا طائفة منهم آمنوا بما انزل الله
على رسوله دون تحريف او تزيف .

وثانيهما : اننا على فرض التسليم بصحة هذه الدعوى نقول : لو ثبت هذا جسدا
رفضناه بسبب قوى هو ان الامر ان كان فانما كان بين افراد الاسرة الواحدة
التي ينتمون اليها . والاصل في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ان يكون عاما
لكل احد، ومأملا لكل اهل جيل من ابناء الزمان وهذا ما لم يفعله اليهود في
الماضي، ولا هم يفعلونه في الحاضر، وما هم بفاعليه في المستقبل لان طبيعة ديانتهم
لا تستلزم الامر بالمعروف بهذا المفهوم الواسع العميق " .

• هذه سطور قليلة مما قاله الدكتور . . وكلامه كله من هذا القبيل تقريبا . . وفي
نفس الخط وبنفس الطريقة قال عن المسيحية . . وهو كلام يستوقف الباحث ويستفز انتباه
القارىء امام ما يقرأ من نصوص في الكتاب والسنة واقوال العلماء والائمة .

• ومما لا شك فيه ان المؤلف يحمل بين جنبيه عاطفة متدفقة للاسلام وقلما سيالا يتدفق
هو الاخر يسيل من العبارات .

ولكن الانتصار لحقيقة ما لاتنسينا حقائق اخرى قد تخدم ما ننتصر له، او لا تتناقض معه
والدفاع عن الاسلام او الكلام فيما يتصل بالعقائد والشرائع، يستلزم الدقة ووضع الحرف
في نصابه حتى لا ينتج الدفاع عكس ما أريد منه .

ولست بصدور الرد بالتفصيل - وسأحيل القارىء على الكتاب كي يرى ويتأمل ويرى - ولكن سأقدم بعض الحقائق فى مواجهة ما نقلته من سطور كتاب : مع العقيدة والحركة والمنهج فى خیرامة اخرجت للناس . والحقائق التى سأقدمها قد تأخذ شكل الاشارات السريعة بما يتسع له المقام ويغني به الى حد ما ان شاء الله .

فأقول وبالله التوفيق :

اولاً : جاء فى اول فقرة ما نقلته :

" . . لان التاريخ يثبتنا بان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يكن لامة سبقت الاسلام ولا لامة لحقت به "

لكن اى تاريخ يقصد ؟ وما مصدر هذا التاريخ ؟ وهل هناك امة لحقت او ستلحق بالامة المحمدية ؟ وما اسمها ؟ وما رأى المؤلف بعد ان يقرأ قول الله تعالى : " ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين " (١٣٨) وعشرات الآيات

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه الامام مسلم عن جابر رضى الله عنه : " انما مثلى ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فأتىها وأكلها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون : لولا موضع هذه البنة " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فأننا موضع اللبنة " جئت فختمت الأنبياء " (١٣٩) . وعشرات الأحاديث

ثانياً : لقد نفى المؤلف عن اليهود الامر بالمعروف فى الماضى وهى قضية قد يقبل المناقش فتح الباب الجدل فيها بالتى هى أحسن [وهل نفى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عن اليهود لعدم الشرعي ام لعصيانهم وعدم مزاولتهم . . الى آخر ما يرد من أسئلة] لكن كيف يقول المؤلف " وما هم بفاعليه فى المستقبل " والمستقبل غيب لا يعلمه إلا الله ؟ .

ثالثاً : هل كان لزاما على المحتسبين فى الامم السابقة ان يطوفوا الارض بدعوتهم حتى يتحقق الشمول الذى يريده المؤلف " لكل اهل جيل من ابناؤ الزمان " ؟

(١٣٨) سورة الاحزاب : ٤٠
(١٣٩) صحيح مسلم ص ٤ ص ١٧٩ طبعة الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية .

ان دعوة موسى عليه السلام لم تكن خاصة لابناء اسرة واحدة هم بنو اسرائيل كما يقرر المؤلف بدليل ان الله ارسل موسى واخاه الى فرعون وقومه وقد آمن السحرة ، وهم من علماء القبط في مصر ، كما آمن بموسى من آمن من آل فرعون وغيرهم .

ولو استطاع موسى عليه السلام ان يضم كل من على الارض لدعوته لفعل ولكنه شغل ببني اسرائيل ، وما حكم عليهم من التيه أربعين سنة ، وكم تمنى ان يدخل بيت المقدس على العمالق عليهم يسلمون .

وعندما علم سليمان عليه السلام - وهو من أنبياء بني اسرائيل - بأمر سبأ وماهم عليه من عقيدة فاسدة . . ورغم البعد البعيد بين الكائنين (١٤٠) فما زال سليمان يطلب الامر حتى ناله - وجاءت بلقيس طائعة واسلمت مع سليمان عليه السلام لله رب العالمين استجابة لدعوة سليمان : « ألتعلوا عليّ وأتوني صاسحين (١٤٠)

كل ذلك وغيره موجود في القرآن الكريم وواضح في قصص الانبياء والمرسلين .

ثم من قال انه يجب على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يسمعوا صوتهم لكل الناس ؟ " ولم يكن من شرط ذلك - كما يقول شيخ الاسلام - " ان يصل امر الآمر والناهي الى كل مكلف في العالم ان ليس ^{هنا} من شرط تبليغ الرسالة فكيف يشترط فيما هو من توابعها " (١٤١)

اما اذا اراد المؤلف بالشمول هو شمول شريعة موسى عليه السلام على نظام الحياة فهذا شيء مقطوع به في عشرات الايات من كتاب الله ومن هذه الايات قول الله تعالى : " انا انزلنا التوراة منها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء " (١٤٢) وفي الاية التالية " وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص " (١٤٣) كما يقول تعالى " وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين " (١٤٤) .

(١٤٠) سورة النمل : ١٣١
(١٤١) = الحسبه في الاسلام ص ٦١ - (١٤٣) سورة البقرة : ٤٥ ، ٤٤

(١٤٤) = الاعراف : ١٤٥

وطبعي ان الحسبه تكون في حدود ما انزل الله على رسوله حتى لو كانت الشريعة التي جاء بها موسى اقل من هذا مجالا/فن المعروف والمعلوم من الدين بالضرورة ان الانبياء والمرسلين جاؤا بأصل واحد وهو التوحيد وكانت شرائعهم مختلفه وقد جاء في الحديث : " الانبياء أخوة من علات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد " قال جمهور العلماء في معنى الحديث : اصل ايمانهم واحد وشرائعهم مختلفة فانهم متفقون في اصل التوحيد واما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف (١٤٥) .

فمن قام بالحسبة في امة سابقة لايسوغ لنا ابدأ أن ننفي حسبته لانها لم تطف الافاق، وانها لم تشمل كل من على الارض، أو أن شريعته لم تكن مثل الشريعة المحمدية (شريعة محمد صلى الله عليه وسلم التي نزلت عليه) .

رابعا : هل قول الله تعالى : " كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه " ينفي مشروعية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، أم يثبت العقاب عند الترك ومخالفة امر الله ؟

ولدى فضيلة الدكتور علي عبد الحليم ما في آيات الله واقوال المفسرين ما يضيئ المقام عن كتابته، وعلى سبيل المثال .. سأورد بعض الامثلة الموجزة :- قال الله تعالى : " ليسوا سوا " من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين " (١٤٦)
وقد جاء في تفسير الامام القرطبي : " ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كانا واجبين في الامم المتقدمة ، وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوة " (١٤٧) .

(١٤٥) صحيح مسلم (مختصر شرح الوري) ص ٤ ص ٧ ١٧٣ طبعة

الرئاسة العامة لادارات البحوث .

(١٤٦) سورة آل عمران : ١١٣ : ١١٥

(١٤٧) الجامع لاحكام القرآن ص ٤ ص ٤٧

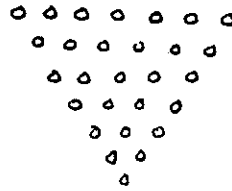
ويقول رشيد رضا : " لقد جرت سنة الانبياء والمرسلين والسلف الصالحين على الدعوة الى الخير ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وان كان محفوظا بالمكراه " (١٤٨)

ومن الجزء الثاني من احكام القرآن للامام الشافعي ، أنقل ما رواه الامام عن يحيى بن سليم عن جريج عن عكرمة عن ابن عباس رض الله عنهم ، من قصة أصحاب السبت : قال عكرمة : دخلت على ابن عباس - رض الله عنه - وهو يقرأ في المصحف - قبل ان يذهب بصره وهو يبكي . فقلت ما يبكيك يا ابا عباس ؟ جعلني الله فداك . فقال : هل تعرف أيلة ؟

قلت : وما أيلة ؟ قال : قرية كان بها ناس من اليهود ، فحرم الله عليهم الحيتان يوم السبت - فكانت حيتانهم تأتيتهم يوم سبتهم شرعا (بيض سمان) .. فإذا كان في غير يوم السبت لم يجدوها ولم يدركوها الا في مشقة ومثونة شديدة ، فقال بعضهم : لعننا لو أخذناها يوم السبت فأكلناها في غير يوم السبت .. ففعل ذلك أهل بيت منهم فأخذوا فشوا ، فوجد جيرانهم ريح الشوى .. فقالوا : ما نرى الا أصاب بسني فلان شىء ، فأخذها آخرون : حتى فشا ذلك فيهم فكثروا ، فأفترقوا فرقا ثلاثا : فرقة : أكلت ، وفرقة : نهت . وفرقة : قالت : (لم تمظون قوما : الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) ؟ فقالت الفرقة التي نهت : انا نحذركم غضب الله ، وعقابه ؛ ان يصيبكم الله بخسف أو قذف أو ببعض ما عنده من العذاب ، والله لا نهايتكم في مكان وانتم فيه) . وتنضم القصة تروى ما نزل بين تهاون من العذاب ، وما حدث لهم من المسخ والخسف الذي توعد هم به الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر .. وفي نهاية القصة قال ابن عباس لعكرمة - رض الله عنهما : - اسمع : الله عزوجل يقول : (فلما نسوا ما ذكروا به أنجبنا الذين ينهون عن السوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) ... ثم يقول ابن عباس دحرويتاً من أحداث القصة :

فلا أدري ماذا فعلت الفرقة الثالثة ؟ .. ثم قال ابن عباس : فكم قدر رأينا من منكمــــ
فلم ننبه عليه . قال عكرمة : الا ترى - جعلني الله فداك - انهم أنكروا وكرهوا حين
قالوا : (لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا) ؟ ، فأعجبه
قولي ذلك * (١٤٩) .

هذا والادلة كثيرة على ماورد في كتاب " مع العقيدة والحركة والمنهج في خير أمة
أخرجت للناس " لكن سأكتفي بما جاء في الفصلين السابقين ، ثم ما جاء في مناقشة بعض
كلام الدكتور على عبد الحليم في الرد سالف الذكر ، ولا أنسى ان اسجل هنا اننسى
احتسبت على الكتاب المذكور فور صدوره . وردت على بعض فقراته في العدد ٧٤٥ من
مجلة الدعوة الصادر بتاريخ ٢٨ من جمادى الاولى ١٤٠٠ هـ ، والله من وراء القصد .



(١٤٩) أحكام القرآن للإمام الشافعي : ابن عبد الله محمد بن ادريس الشافعي
المتوفى ٢٠٤ هـ - الجزء الثاني ص ١٧٣ وما بعدها طبعة دار الكتب
العلمية - بيروت - ١٣٩٥ هـ ..
وانظر أيضا سنن البيهقي ج ١٠ ص ٩٢ / ٩٣

الفصل الثالث

الحسبة في الإسلام

- تمهيد :
- مكانة الحسبة في الإسلام .
- لشد بشرى لفدورة الحسبة في الإسلام .
- حكم الحسبة في الإسلام :
- ١ - الواجب والفرصة .
- ٢ - فرضية الحسبة .
- (١) حجة من أي أنمازصة لفافية .
- (٢) " " " " عليه .
- (٣) الترجيحي .
- (٤) منزلة فرصة للفافية .
- لامتاج بيه الحقد والواجب .
- " " والذرية التوفية .
- نظام لامتاج في الإسلام .

الفصل الثالث

الحسبة في الاسلام

تمهيد :

ختمت الرسالات بالرسالة المحمدية بعد تاريخ طويل من تجارب الامم السابقة ومدى قربهم من منهج الله أو بعد هم وانحرافهم ، وما كان من أمر المقدمات والنتائج والدروس المستفادة .

وما كانت هذه التجارب والدروس الا خطوات على الطريق المبتدى* ينزل آدم عليه السلام ، والموصول برسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين لينتفع اللاحق بالسابق ، آخذاً منه العبرة والعظة - فمثلا هذا شعيب عليه السلام يقول لقومه : " ويا قوم لا يجرمكم شقاق ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببيعد " (١٥٠)

حتى اذا كانت آخر الامم تنزل القرآن بقصص كثيرة عن الانبياء السابقين وما في تجاربهم من عبرة كي ينتفع بها آخر المرسلين ولتكون الزاد لخاتمة الامم وخيرها ، " وكلا نقص عليك من انبياء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين " (١٥١)

ولئن كانت الانبياء والرسل تترى وتتعاصر خاصة في بني اسرائيل فإنه لاني بعهد محمد صلى الله عليه وسلم . وعلى الخلفاء اولاً والمسلمون بصفة عامة أن يقيموا شرع الله وان يتابعوا بدقة تنفيذ أوامر الله نصاً وروحاً ..

وقد روى الامام البخارى عن ابى هريرة رض الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي خلفه نبي ، وانه لاني بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون ، قالوا : فماذا تأمرنا به ؟ قال : فوا بببيعة الأول فالأول أعطوهم حقهم ، فإن الله سائلهم عما استرعاهم " (١٥٢) .

هذا والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام هو : بأى شي فضلت أمة محمد على سائر الامم السابقة ؟ - وقريب من هذا السؤال أشير في تفسير الامام الرازي لقول

(١٥٠) سورة هود : ٨٩ (١٥١) سورة هود : ١٢٠

(١٥٢) صحيح البخارى ص ٤ ص ١٤٤ طبعة استانبول

الله تعالى " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ " ثم كان الجواب .. وذلك على النحو التالي :
قال الله تعالى : " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَتُؤْتُونَ بِالنَّاسِ حَسْبَهُمُ " الآية (١٥٣) وههنا سوالات السؤال الاول : من أى وجهة
يقتضى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايان بالله كون هذه الامة خيرا لامم مع ان
هذه الصفات الثلاث كانت حاصلة في سائر الامم ؟

والجواب : قال القفال : تفضيلهم على الامم التي كانت قبلهم انما حصل لأجل انهم
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر باكد الوجوه وهو القتال ، لأن الامر بالمعروف قد يكون
بالقلب واللسان وباليد ، واقواها ما يكون بالقتال ، لانه القاء النفس في خطر القتل ، ولما
كان أمر الجهاد في شرعنا أقوى منه في سائر الشرائع ، ولا جرم ، صار ذلك موجبا لفضل
هذه الامة على سائر الامم . " (١٥٤)

ولما كان للجهاد في الاسلام مفهوم واسع يستوعب كل أمر يودي الى اعلاء كلمة
الله حسبة لوجه الله .

كان علينا ان نتبين مكانة الحسبة في الاسلام كما فهمها الفقهاء من الامة على
هدى من كتاب الله وسنة رسوله .

—————

(١٥٣) سورة آل عمران : ١١٠

(١٥٤) تفسير الفخر الرازي ص ٨ ص ١٩١

مكانة الحسبة في الاسلام

الحسبة في الاسلام ليست اصلاحا أخلاقيا ، أو دعوة تهذيب وتوجيه فحسب ، ولكنها جهاد في سبيل الخير ، ومتابعة لاوامر الله ونواهيه بغية المحافظة على شرع الله الذي يتضمن نظاما شاملا لكل نواحي الحياة . فمكانة الحسبة في المجتمع الاسلامي مكانة الرأس من الجسد ، وأعظم بها ضرورة . وما أجدرا لا يفرط فيها مسلم يريد ان ينضم الى خير أمة أخرجت للناس .

ان مكانة الحسبة في الاسلام عنوان يحتاج الى مؤلف كبير والنصوص الواردة فسي مكانتها لا تكاد تقع تحت حصر . وحسبنا في هذا المقام ايراد بعض اقوال الفقهاء فسي هذا المضاربا يتسع له المقام .

ففي مكانة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال أبو حامد الغزالي : " هو القطب الاعظم في الدين ، وهو المهم الذي ابتعثت الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله ، لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعتت الفترة ، وفشت الضلالة وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ... الى اخر ما ذكر .. في كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . (١٥٥)

وشيخ الاسلام ابن تيمية في هذا الميدان رائد نهضة وفارس حلبه لا يشق له فبار ، ولا يطاول له باع ، ولو نقلنا من مؤلفاته عشرات الصفحات لما شبع الباحث ولا القارى . ولعل العمق والثراء الذي نجده في مؤلفاته عن الحسبة - وكلها حسبة - يرجع الى انه كان امام المحتسبين وشيخ المطبقين .

يقول رحمه الله في أول صفحة من كتاب الحسبة في الاسلام : " هذه قاعدة الحسبة واصل ذلك ان تعلم ان جميع الولايات في الاسلام مقصدها ان يكون الدين كله لله وان تكون كلمة الله هي العليا " (١٥٦)

ثم يفسر الطريقة التي على اساسها يصير هدف الولايات كون الدين كله لله بقوله في مكان آخر من الكتاب : " وجميع الولايات الاسلامية انما مقصدها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، سواء في ذلك ولاية الحرب أو ولاية المال " (١٥٧)

ثم يقول رض الله عنه مرتبا النتائج على المقدمات بعد كلام طويل في مكانة

(١٥٥) احياء علوم الدين ج ٢ ص ٣٠٦ (كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) -
والجد يربو بالامانة العلمية - التنبيه الى ان ابن الاخوة - صاحب كتاب معالم
القرية في أحكام الحسبة - نقل هذا الكتاب بنصه من الغزالي من غير عزوم
ص ٦١ من مؤلفه ، معالم القرية - طبعة الهيئة المصرية للكتاب عام ١٩٧٦ م
(١٥٦) الحسبة في الاسلام ص ٢
(١٥٧) الحسبة في الاسلام ص ٦

الحسبة : " واذا كان كذلك ، فمعلوم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واتمامه
بالجهاد ، هو من أعظم المعروف الذي أمرنا به ، واذا كان هو أعظم الواجبات والمستحبات
فالواجبات والمستحبات ، لا بد ان تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة ، ان بهذا
بعثت الرسل وانزلت الكتب ، والله لا يحب الفساد " (١٥٨)

وللامام النووي في شرحه لصحيح مسلم كلام واف في هذا المجال وهو يخص جانب
الخطورة اذا تركت الحسبة .. ويرى ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ضاع منه
الكثير بطريقة تهدد بوقوع العقاب من رب الارباب ، ومن هذا قوله : " واعلم
ان هذا الباب - أعني باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر - قد ضيع أكثره في أزمان
متطاولة ، ولم يبق منه في هذا الزمان الا رسوم قليلة جدا - وهو باب عظيم به قوام
الامر وملاكه ، واذا كثرت الخبث ، عم العقابُ الصالح والطالح ... فليحذر الذين
يخالفون عن أمره ، أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم " (١٥٩)

وكلام العلماء في مكانة الحسبة لا يقع تحت حصر ، وكيف لا تكون للحسبة هذه
المكانة ، وهي مرتبطة بمكانة الامة المحمدية وخيرتها ؟ وكيف لا تكون لها هذه المكانة
وهي من أخص خصائص خاتم الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه ؟ ومن دلائل
نبوته ، يعترف بها كل من عرف الاسلام ونبيه ، حتى اليهود والنصارى الذين يتبعون
الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ، يأمرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ويضع
عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم " (١٦٠)

.....

هذا ؛ ولعل من لوازم الكلام عن مكانة الحسبة وضرورتها ، ان نقف أمام

عناوين ثلاثة :

- ١- السند الشرعي للحسبة .
- ٢- حكم مشروعيتها .
- ٣- حكمية مشروعيتها .

(١٥٨) الحسبة في الاسلام ص ٦٢ .

(١٥٩) شرح النووي لصحيح مسلم : ج ٢ ص ٢٤ .

(١٦٠) سورة الاعراف : من آية ١٥٧ .

السند الشرعي

لضرورة الحسبة

غير خاف على الباحثين والدارسين ان لضرورة الحسبة في المجتمع الاسلامي من الادلة والبراهين على وجوبها .. ما لا يعد إلا بكلفة لكثرتها لأن أدائها جلب لمصلحة المجتمع الاسلامي ، وتعطيلها مفسدة أي مفسدة ، وقضاء على أمن المجتمع وعافيته .

يقول الشيخ عز الدين بن عبد السلام في قواعد الاحكام :
"فإن عظمت المصلحة وجب جلبها في جميع الشرائع ، وإن عظمت المفسدة وجب درؤها في كل الشرائع . " (٢)

وعلى هذا الاساس بين العلماء مكانة الحسبة في الاسلام اعتمادا على الادلة التي سأشير لبعضها . وإن شاء الله سأحاول تبويب بعض هذه الادلة ، وقد تختلف العناوين الى حد ما ، لكنها ستنضوى كلها تحت مضمون واحد هو : ضرورة الحسبة للمجتمع الاسلامي . وأول هذه الادلة أن :

١- الحسبة فرض على الامة الاسلامية : وذلك لقول الله تعالى : " ولتكن منكم يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ... " " ولتكن " أمر صريح للوجوب - ومن في " منكم " للبيان والتخصيص في أقوال كثير من العلماء ، وأستدلوا بما جاء بعد ذلك في قول الله تعالى : " كنتم خيرا امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ... " فكان المخاطب بالامر الاول هو جميع الامة وتدعوا لوجوبها على الجميع قال الرسول صلى الله عليه وسلم للجميع : " من رأى منكرا منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان " (٥) والعطف بالفاء يدل على الترتيب والتعقيب " أي الفورية " فالقضاء على المنكر يجب ان يكون فور وقوعه أو مجرد الشروع فيه ، وإن الترتيب لا بد منه للانتقال من الهدى الى اللسان الى القلب . وسيأتى بعد صفحات قليلة : مناقشة نوع الفرض أي : هل الحسبة فرض عين أو فرض كفاية ؟

(٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام - طبعة دار الرشد للطباعة

جلد ٤٤ ص ٤٣٠

(ب) هذه رواية إمام مسلم - وقد مررت منه قبل .

٢- والدليل الثاني على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر: قول الله تعالى :
* والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ان الله
عزير حكيم * (١٦١)

وهذه الآية أدل على وجوب الحسبة ، وأكد في التمسك بها ، لانها الصفة المميزة
لمن يريد الانضمام الى المجتمع الاسلامي . ولا غرو فقد قدمها الله على الصلاة والزكاة ،
لانها المعوان على الصلاة والزكاة ، وجعل الله فيها ولاية المؤمن على المؤمن
أمراً واقعاً ، وصفة ملازمة .

• واسلوب الاخبار في القرآن الكريم ، يعنى الثبوت والدوام ، وهو أكد في ايجاب
المشروعية من الامر والنهي ، وان كانت الآية لم تترك الامر والنهي في ضمن قوله الله
* ويطيعون الله ورسوله * .

والمجتمع الذى يتصف بتلك الصفات جدير برحمة الله ورضوانه وفي رحمة الله
للمؤمنين عزهم وفخرهم ، لان الرحمة صادرة من العزيز الحكيم . . والعز في طاعة
الله .

والآية قد الزمت المؤمنين ، وعزلت المنافقين المغرضين ، فانهم مهما تظاهروا
بالايمان فليسوا مؤمنين .

وفي الموازنة بين ما جاء في هذه الآية .. والاية التي تكلمت عن المنافقين
وصفاتهم قبلها : * المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر
وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم
الفاسقون * (١٦٢)

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في الموازنة بين الآيتين : بين الله سبحانه
في هذه الآيات اخلاق المنافقين وصفاتهم واخلاق المؤمنين وصفاتهم ، وكلا الفريقين
مظهر للاسلام . غير ان المنافقين نسوا الله فنسيهم ، والمؤمنين يقيمون الصلاة
والمنافقون لهم اللعنة والعذاب المقيم ، والمؤمنون سيرحمهم الله وقد وعدوا بالجنة
والرضوان . (١٦٣) وقد استغرقت الموازنة صفحات .

ويقول الامام ابن الجوزي : * والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض * أى بعضهم

(١٦١) التوبة : ٧١

(١٦٢) سورة التوبة ٦٦

(١٦٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٧ الطبعة الثانية تحقيق حامد الفقى

(بتصرف) .

يوالى بعضا فهم يدا واحدة . (١٦٤) أى قلوبهم متحدة فى التوادد والتحابب والتعاطف بسبب ما جمعهم من أمر الدين وضمهم من الايمان بالله . (١٦٥) وفى الآية من المعانى والاهداف ، والسمات ، ما يجعلها من أقوى الادلة على وجوب الحسبة .

٣ - والدليل الثالث من كتاب الله يوجب الحسبة لأن زوالها زوال لشرط الخيرية ووجود الشخصية ، قال الله تعالى : " كتم خيرا ما اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ... " ولأن زوالها موجب للعن والطرده ، يقول الله تعالى : " لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون " (١٦٦)

٤- ورابع الادلة ، سيكون من السنة ... والآثار الواردة فى وجوب الحسبة أكثر من ان تحصر بسهولة .. وسأكتفى بما يوجب الحسبة وجوبا يفهم منه ان الاهمال فيها موت وهلاك للمجتمع الاسلامى .. فقد روى الامام البخارى .. : عن النعمان بن بشير رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا " (١٦٧)

• والرمز فى الحديث الشريف يفهم منه ان المقدمين على فعل من شأنه الاضرار بالمجتمع وهلاكه قوم من السذج الذين لا يقصدون الضرر ورغم ذلك فلا بد من الاخذ على يدهم ، لان العبرة بنهاية فعلهم ونتائجه .. فما بالناس بالسكوت على المخطئين للاضرار بالمجتمع الاسلامى المتعمدين لتخريب أخلاقه وسلوكه وعقيدته .

• وماذا بعدد ايراد السند الشرعى على ضرورة الحسبة ووجوبها ، فإن التالى للكتاب والسنة ، هو اجماع الامة الاسلامية على ضرورة الحسبة حفاظا على مكانتها التى تبوأتها عندما استمرت أمرة بالمعروف ناهية عن المنكر داعية للخير .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " اجماع هذه الامة حجة لأن الله سبحانه وتعالى أخبر أنهم يأمرون بكل معروف ، وينهون عن كل منكر ، فلو أتفقوا على اباحة محرم

(١٦٤) زاد المسير فى علم التفسير ص ٤٦٨ ج ٣

(١٦٥) فتح القدير ج ٢ ص ٣٨١ الناشر محفوظ العلى / بيروت

(١٦٦) سورة المائدة : ٧٨ / ٧٩

(١٦٧) صحيح البخارى ج ٣ ص ١١١ طبعة استانبول

أو اسقاط واجب أو تحريم حلال .. لكانوا متصفين بالامر بمنكر والنهي عن معروف ..
وإذا كانت آمرة بكل معروف ناهية عن كل منكر ، فكيف يجوز أن تأمر بها بمنكر أو تنهى
كلها عن معروف ؟ * (١٦٨) .

وهذه المناقشة العلمية الجليلة تثبت إجماع الأمة مصدرها .. ثالثاً على وجوب
الحسبة بعد الكتاب والسنة .

يقول الامام النووي في شرح مسلم : " قد تطابق على وجوب الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة . (١٦٨)

هذا .. وما سبق من الأدلة على مشروعية الحسبة وضرورتها
يؤدي حتماً إلى استكمال البحث في حكم هذه المشروعية .

حكم الحسبة في الاسلام

ليس جديداً أن يقال: إن الأصل في مشروعية الحسبة هو الوجوب ، فقد ثبت بالأدلة القطعية وجوب الحسبة على الأمة الإسلامية أفراداً وحكاماً رجالاً ونساءً ولم يتخلف عن القول بوجوبها أحد .

يقول الامام ابن حزم في الفصل : " اتفقت الأمة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منهم " (١٧٠)

وكان لها هذا الوجوب لما لها من مكانة في الحفاظ على الشريعة . يقول الامام الشوكاني : " وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ثابت بالكتاب والسنة ، وهو من أعظم واجبات الشريعة ، وأصل عظيم من اصولها ، وركن مشيد من أركانها وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها . " (١٧١)

وقد أصبح معلوماً من الدين بالضرورة ان الحسبة فريضة على الأمة الإسلامية ويجب على الدولة الإسلامية الاتدع المسلمين يهملون هذه الفريضة ، فإن أهملوا وجب قتالهم ، لانهم لم يقيموا ما هو معلوم من الدين بالضرورة .

وهذا ما يراه شيخ الاسلام في فتاويه ، يقول رحمه الله : " كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الاسلام الظاهرة المتواترة ، فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين وان تكلمت بالشهادتين ، فإن أقروا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلوات الخمس وجب قتالهم حتى يصلوا وكذلك اذا امتنعوا عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " (١٧٢)

● وان من أقوى الأدلة على وجوب الحسبة انها لا تسقط عن الفساق في رأي الجمهور حتى قال بعض العلماء : واجب على متعاطي الكفوس ان يأمرؤا بالمعروف وينهؤا عن المنكر - (١٧٣) .

يقول ابن العربي في تفسير قول الله تعالى : " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرؤن بالمعروف وينهؤن عن المنكر .. " دليل على ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض يقوم به المسلم ، وان لم يكن عدلاً ، خلافاً للمبدعة .. ثم يقول : ((وكل أحد عليه فرض من نفسه أن يطيع ، وعليه فرض في دينه ان ينبه غيره على ما يجهله " (١٧٤)

(١٧٠) الفصل في الملل والنحل ج ٤ ص ١٧١

(١٧١) فتح القدير ج ١ ص ٣٣٧

(١٧٢) مجموعة الفتاوى ج ٤ ص ١٨١ طبعة ١٣٢٦

(١٧٣) انظر تنبيه الفافلين ص ٢١ للشيخ إحمد بن ابراهيم بن محمد الدمشقي ثم الدمياطي الشهير بابن النحاس المتوفى قتيلاً بأيدي الأفرنج ٨١٤ هـ وقد اتقن علم الفرائض والحساب والهندسة وصنف في الفقه واشتغل بالنحو وله مؤلفات كثيرة مشبوهة في ترجمة المؤلف في أول الكتاب وقد كتبها الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد (طبعة

هذا والمقام لا يتسع لسرد كلام الفقهاء والعلماء والائمة في وجوب الحسبة ..
ولنناقش الآن نقطتين هامتين بمناسبة الكلام عن حكم الحسبة فسي
الاسلام وهما :

الاولى : الفرق بين الواجب والفرض

الثانية : نوعية الفرض .

أ على سبيل العين

ب على سبيل الكفاية

وبيان حد كل منهما .

ثم وقفة للترجيح .. والله الموفق



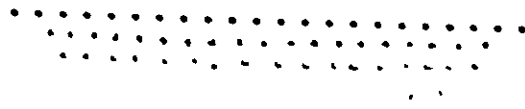
الواجب والفرض :

الواجب والفرض كلمتان تكررنا أثناء البحث في الحسبة .. وفي كثير من المصادر
والمراجع ما نحتاج الى نقله ^{بعضه} حيث نرى ترادفاً بين كلمتي الواجب والفرض في كثير من
الاحيان . وكان لزاماً علينا ان نقف وقفة سريعة يتحدد فيها هل الكلمتان لحكميين
مختلفين أم هما مترادفان .
وجمهور العلماء اتفق على ان الكلمتين مترادفان ، والقلة التي جاءت بالتمييز بينهما
جاءت بها في الدرجة لاقى تباين الحكم - حيث جعلت الفرض أكد من الواجب السي
حد ما ..

يقول صاحب القواعد والفوائد الاصولية : " الفرض والواجب مترادفان شرعاً عند
الشافعية وجماعة منهم ابن عقيل وأصح الروايين عند الامام أحمد " جاء في كتاب المدخل
في مذهب الامام احمد : " والواجب مرادف للفرض عندنا على الأرجح في أو—وال
الاصوليين " (١) .. ثم يستأنف صاحب القواعد والفوائد :-

(١) - المدخل في مذاهب الامام أحمد بن حنبل - صفحة ٥٩

وفي رواية لأحمد الغرض أكد ، فعلى هذه الرواية يكون الغرض : ما ثبت بدليل مقطوع به . وقيل مالا يسقط في عهد ولا سهو ، وحكى عن أحمد : ان الغرض ما لم يزم بالكتاب .. والواجب ما كان بالسنة ، وعلى هذا يقال : ان بعض الواجبات أوجب من بعض* (١٧٥) .
والحسبة قد ثبتت بالكتاب والسنة واجماع الامة فهي فرض وهي واجب بل هي من أوجب الواجبات .
بقى ان نعرض سريعا أيضا لمعرفة كون الحسبة فرض عين أم فرض كفاية .



(١٧٥) القواعد والفوائد الاصولية : للشيخ علي بن عباس البعلبي الحنبلي - تحقيق محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ص ٦٣ / ٦٤ .
والمؤلف هو : علي بن محمد بن علي بن عباس بن شيان البعلبي = ثم الدمشقي الحنبلي ويعرف بأبن اللحام وهي حرفة ابيه ولد بعد ٧٥٠ هـ ببعلبك .. ثم انتقل الى دمشق حيث أخذ العلم عن ابن رجب وصار شيخ الحنابلة بالشام مع ابن مفلح .. وقدم الى مصر وتولى القضاء بها بعد موت الموفق - مات رحمه الله ٨٠٣ هـ وترك تراثا علميا خصبا ومن مؤلفاته (الاخبار العلمية) واختيارات الشيخ تقى الدين بن تيميه* و (تجريد احكام النهاية) وغيرها -
- (عن كتاب الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع) : للسخاوي ج ٥ ص ٣٠

فرضية الحسبة :

أطال العلماء النظر والتفكير في النصوص وقواعد الاستنباط فأختلفت آراؤهم حول نوعية الفرض في الحسبة :

هل هو فرض عين كالصلوات الخمس، أم فرض كفاية كصلاة العيـد ؟ .

ومعروف ان فرض العين : ما لا يسقط بل يتعين على كل فرد عمله، وان فرض الكفاية : ان اقام به البعض سقط التكليف عن الباقيين .

واكتفى هنا بذكر كلام موجز للتفريق بين فرض العين وفرض الكفاية لصاحب المدخل الى مذهب الامام احمد الذي قال : " فرض الكفاية وفرض العين مشتركان في التعبد والمصلحة - والفرق بينهما : ان المقصود من فرض الكفاية تحصيل المصلحة التي تضمنها ، فمن أى شخص حصلت كان هو المطلوب ، وفي فرض العين تعبد الاعيان بفعله " (١٢٦)



حجة من رأى ان الحسبة فرض كفاية :

وهذا رأى الجمهور : يقول ابن العربي في تفسيره لايتى : " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ... الآية " و " كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ... الآية " : " في الآيتين دليل على ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية " . (١٢٧)

(١٢٦) المدخل الى مذهب الامام أحمد بن حنبل - ص ٥٩

لابن بدران الدمشقي - وهو العلامة المحقق المفسر المحدث الاصولي النحوي عبدالقادر بن احمد بن مصطفى بن عبدالرحيم بن محمد الاثري الحنبلي الدمشقي .. المعروف لقباً بأبن بدران - ولد ببلدة دوما من اعمال دمشق - وتلقى العلم مبكراً ولم يستغرق فترة تعلمه سوى ست سنوات على جهاذة المشائخ وله كثير من المؤلفات النافعة .

وتوفي رحمه الله ١٣٤٦ هـ .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " وهو - أى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر - واجب على كل مسلم قادر ، وهو فرض على الكفاية . ويصير فرض عين على القادر الذى لم يقم به غيره " (١٧٨) .

وبعد بحث أجراه صاحب تفسير : روح المعاني يقول : " ان العلماء اتفقوا على ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولم يخالف فى ذلك الا النزدي اليسير " (١٧٩) . ذلك لانهم يرون أن " من " فى الآية الاولى : للتعميم أى بعض منكم ، ومعنى أمة : جماعة ، فالآية توجب وجود طائفة من الامة تستزاول واجب الحسبة .. والآية الثانية : تجعل الحسبة صفة خيرية تشيع فى الامة كلها . ومن هو " من " من يحصر فرض الكفاية فى العلماء ، لانهم يشترطون العلم الشرعى لا مجرد العلم العرفى .. فيرون ان من يتصدى للامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد ان يتحلى بالعلم والمعرفة وبعد النظر ، حتى يكون أمره بالمعروف معروفًا ولا يكون نهيه عن المنكر منكرا ، وهذه الصفات لا تتوافر لعامة الناس فلزم ان تكون الحسبة فرض كفاية . (١٨٠)



حجة القائلين بأن الحسبة فرض عين :

يستدل هذا الفريق أيضا بآيتي آل عمران السابقتين ، فيقولون بايجـاز : ان " من " فى قول الله " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ... للبيان والتخصيص ، وليست للتعميم ، وهذا اسلوب عربى مألوف فى لسان العرب ان يقولون : فلان من جنده اعوان" وله من ابنائه درع واقية " .. والمعنى : لتكونوا امة تدعوا الى الخير ... والآية الثانية دعم لهذا الرأى ان قال الله تعالى : " كنتم خیرا مة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فلفظ الامة فى الآيتين لعموم المسلمين (١٨١)

- (١٧٨) الحسبة فى الاسلام : ص ٦
(١٧٩) روح المعاني : السيد محمود الالوسى ج ٤ ص ٢١
(١٨٠) انظر : الكشاف عن حقائق التنزيل لاى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري طبعة الهند ج ١ ص ٢٢٢ - وأيضا تفسير كل من الرازى وابن كثير والالوسى للآيتين .
(١٨١) انظر مجمع البيان فى تفسير القرآن لاى الفضل الطبرسى مجلد ٣ ص ١٥٩ طبعة دار الفكر .

وقد جاء هذا الفريق بمعان كثيرة " لكان " في : كتم خيرأمة لدعم رأيهم فقالوا من معانيها : انتم - أو صرتم ، وإن كان تامة بمعنى : وجدتكم .. التي آخره . (١٨٢) .

وقد رأى هذا الرأى كثيرون منهم : صاحب الاداب الشرعية ان يقول : " الامر بالمعروف ، وهو كل ما أمر به شرعا ، والنهي عن المنكر ، وهو كل ما ينهى عنه شرعا - فرض عين " . (١٨٣) .

وابن القيم في زاد المعاد .. ان يقول : " والتحقيق في جنس الجهاد فرض عين : اما بالقلب واما باللسان واما بالمال ، واما باليد فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الانواع ، واما الجهاد بالنفس ففرض كفاية " (١٨٤) .

وهذا ايضا ما يفهم من كلام الامام ابن حزم في المحلى ، ان يقول : " الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضان على كل أحد على قدر استطاعته " (١٨٥) .

ومن يطالع كلام الشيخ البعلى وهو يفرق بين فرض العين والكفاية يمكنه ان يستنبط أن الحسبة فرض عين . فقد جاء : " وتحديد فرض العين والكفاية - أشار اليه إخرى ، وهو : ان فرض العين : ما تكررت مصلحته بتكريره كالصلوات الخمس ، فإن مصلحتها الخضوع لله وتعظيمه ومناجاته والتذلل له ، والمثول بين يديه وهذه الاداب تكثر كلما تكررت الصلاة ، وفرض الكفاية : ما لا تتكرر مصلحته بتكريره كالتفريق اذا سأله انسان فالنازل في البحر بعد ذلك لا يحصل شيئا " (١٨٦) .

ولذلك أن الحسبة تتكرر مصلحتها بتكررها بل المصلحة المنكرة في الحسبة أظهر وأوضح ان فيها المحافظة المستمرة على شرع الله من كل ناحية .

-
- (١٨٢) انظر المرجع السابق - وكذلك تفسير القرطبي في الآية .
(١٨٣) أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدس الحنبلى (الاداب الشرعية والمنح المرعية) ج ١ ص ١٧٤ طبعة مكتبة الرياض الحديثة .
(١٨٤) زاد المعاد في هدى خير العباد : ج ٢ ص ٥٨ المطبعة المصرية
(١٨٥) محمد بن حزم الظاهرى ج ١ ص ٣٢ طبعة دار الاتحاد العربى .
(١٨٦) القواعد والفوائد ص ١٨٦

ومن قال بهذا الرأي من المحدثين الشيخ محمد عبده ، ومحمد رشيد رضا
(في المنار) وعبد القادر عودة في التشريع الجنائي في الاسلام ، ولهم نصوص لها
وجاهتها ، غير انها لا تخلو من بعض حساسة وعاطفة ويطول المقال لو سردنا
الاراء والنصوص لكثير من الباحثين (١٨٧)

الرأى فى فرضية الحسبة :

ان كلا الفريقين على صواب ، والشقة بينهما ضيقة وان بدت شاسعة ، وذلك لأن كلا
الفريقين مراده من الحسبة ان يكون الدين كله لله .. وان يحفظ للمجتمع المسلم
مكانه ومكانته . غير ان القائلين بفرض الكفاية لم يتصوروا تجمع خمسين مسلما مثلا
على شخص واحد رأوه يرتكب منكرا بنفس الطريقة التى يؤدون بها صلاة الجماعة .
أو انهم أشفقوا على الاحتساب من الذين يسيئون اختيار الطريقة .. فحصرها فى
طائفة معينة .

كما ان القائلين بفرض العين : لم يتصوروا مسلمين يرتكب أمامهم المنكر وكل واحد
منهم يتهاون اتكالا على الاخرين ، أو ينتظر من يأتى لتغيير المنكر .
والاصوليون بذكائهم ، ضيقوا من دائرة الخلاف وكادوا يزيلونه ، وأخص منهم :
أبا الحسن الامدى ، وابن عباس البعلبلى ، وأبا اسحاق الشاطبى ، عليهم رحمة الله .
جاء فى الأحكام : " ولا فرق عند اصحابنا بين واجب العين والواجب على الكفاية
من جهة الوجوب ، لشمول حد الواجب لهما " (١٨٨) .

(١٨٧) انظر تفسير (المنار) فى آيتى آل عمران .. وكذلك باب الدفاع العام
أو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فى التشريع الجنائي فى الاسلام " ج ٢
(١٨٨) الأحكام فى أصول الأحكام " لآبى الحسن بن أبى على بن محمد
الامدى ج ١ ص ١٤١ مطبعة المعارف ١٣٣٢ هـ

وجاء في القواعد لابن عباس البعلبي : " لا فرق بين فرض الكفاية وفرض العيــــــــن
في الابتداء " (١٨٩) .
أما صاحب الموافقات؛ فقد أزال الخلاف " تقريبا " بين القائلين بفرض الكفاية
وفرض العين، بطريقة واعية تدل على نور البصيرة وسعة العلم وفراسة الاصولي ، حيث
قال : " قد يصح ان يقال ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الجميع
على وجه من التجوز لان القيام بهذا الفرض قيام بمصلحة عامة فهم مطلوبون بسداها على
الجملة ، فبعضهم هو قادر عليها مباشرة ، وذلك من كان أهلا لها ، والباقيون - ان لم
يقدروا عليها - قادرين على اقامة القادرين ، فمن كان قادرا على الولاية فهو مطلوب
باقامتها ، ومن لم يقدر عليها مطلوب بأمر آخر وهو اقامة ذلك القادر ، واجبــــــــــــــــار
على القيام بها .. من باب ما لا يتم الواجب الا به " فهو واجب " . وهذا يرتفع مناط
الاختلاف فلا يبقى للمخالفة وجه ظاهر . (١٩٠)
وهذا الفهم العميق والتحليل المريح يقضى على تهاون المتساهلين ، وتغالبي
المخلصين .

وثمره الخلاف وابعاده في هذه الصورة الواعية ... لحكم مقاومة المنكر في ترقيب
ومتابعة وحرس ، واشاعة المعروف بذكا* واخلاص ويسر ، هي الصورة الجديرة بالمحافظة
على شرع الله داخل المجتمع الاسلامي .
ولو عرف ذلك فاعل المنكر ، لعلم أنه لا قبل له باعلان المنكر فليس لـــــــــــــــــه
الا ان يكف أو يختفي وراء* الاستار ، مادام يعيش وسط قوم مسلمين .



مزينة فرض الكفاية :

قد يتبادر الى ذهن بعض المسلمين أن فرض الكفاية أقل في الاجر والثواب ، ويعقد صلة بين فرض الكفاية وبين التهاون ، فيقلل هذا من أهمية الحسبة وضرورتها ففى المجتمع الاسلامى ، ولم يترك علماء الفقه والاصول هذه القضية تسر ... دون النظر فيها ، وقد أثار هذه المسألة صاحب القواعد والفوائد الاصولية ، فسأل : أيهما أفضل فاعل فرض العين ، أو فاعل فرض الكفاية ؟ ثم قال : والجواب : منهم من يقول فاعسل فرض العين لأن فرضه أهم .. ومنهم من يقول : فاعل فرض الكفاية لأن فرضه أعم . (١٩١)

أما الترجيح ، فقد ورد فى تنبيه الغافلين كالآتى : " القيام بفرض الكفاية أفضل من القيام بفرض العين ، لانه لو ترك المتعين اختص هو بالاثم ، ولو فعله أختص بسقوط الفرض ، وفرض الكفاية : لو ترك أثم الجميع ولو فعله سقط الحرج عن الجميع ، ففاعله ساع فى صيانة الامة من الاثم ، ولا يشك فى رجحان من حل محل المسلمين أجمعين فى القيام بهم من مهمات الدين والله أعلم " (١٩٢) .

فليسارع المسلمون الى مزاولته واجب الحسبة ، وهم يعلمون انه ففرض لا مهرب منه ، ولا عوض عنه ، ولا أحد بناج من عذاب الله ان فرط فيه أو تهاون ، لا فرق فى ذلك بين ذكر وأنثى حاكين ومحكوميين حفاظا على شرع الله ودفاعا عن سلامة المجتمع الاسلامى وعافيته ، تأسسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم .

" فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم "

(١٩٣)

(١٩١) القواعد ص ١٨٨

(١٩٢) تنبيه الغافلين ص ١٧ / ١٨

(١٩٣) سورة النور : ٦٣

الاحتساب بين الحق والواجب :

الواجب على المرء لا بد من اداائه ، والعقاب لمن قعد أو قصر أما حق المرء فهو بالخيار بين اخذه أو تركه .. ولا شيء عليه ان أخذه بكل وسيلة مشروعة ولا محاسبة له ان تهاون أو ترك ، لان هذا أمر يخصه هو ، ولا يحدث من تركه محذور . والحسبة لانها اقامة لشرع الله ، والدفاع عن المجتمع الاسلامي ضد المنكر ، ونصرة للمسلم الذي يرتكب المنكر - من الزم الواجبات واعظم الفروض ؛ وأفضل المصالح كما يقول الشيخ العزبن عبدالسلام - ما كان شريفا في نفسه - دافعا لأقبح المفسد جالبا لارجح المصالح " (١٩٤)

والحسبة جامعة للخير لكل خير يدخل في ذلك الايمان بالله والجهاد في سبيل الله وكل ما أمر الله به أو نهى عنه .. وما فيه صلاح الفرد والمجتمع .

أتكون الحسبة بعد ذلك حقا يمارسه المسلم كيفما شاء ويقعد عنه
اذا اراد ؟ .. ؟

والمراد بالحق الذي يجوز فعله أو تركه هو " حق الشخص نفسه " أما حق غيره عليه فلا بد من اداائه ولا محيص له من القيام بأعباءه .

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجب على الامر والناهي حق للمحتسب عليه ، وقد سبق معنى الحديث : " أنصر أخاك ظالما أو مظلوما " .

وفي هذا يقول العزبن عبدالسلام : " ولحقوق بعض المكلفين على بعض أمثلة كثيرة منها : الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر لان الامر بالمعروف سعى في جلب مصالح الأمور به ، والنهي عن المنكر سعى في درء مفسد المنهي عنه ، وهذا هو النصح لكل مسلم ، وقد بايع النبي صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم " (١٩٥)

ولقد بلغ من حرص العلماء على اداائه واجب الحسبة انهم أوجبوه على المتكلم والفاسق ، وأوجبوه حتى لو علم المحتسب ان حسبته لا تغيد - لان للانكار تأثيرا في النفس ، وان لم يظهر في حالة الانكار -

(١٩٤) قواعد الاحكام : ج ١ ص ٥٤

(١٩٥) شرح النووي ج ٢ ص ٢٣ .

يقول الامام النووي في شرح مسلم : قال العلماء " رض الله عنهم " ولا يسقط عن
المكلف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه بل يجــــب
عليه فعله فان الذكرى تنفع المؤمنين " (١٩٦) ، ثم يقول : وصديق الانسان
حقا من ارشد صديقه الى عمارة آخرته " (١٩٧) .
ان فاعل المنكر اذا ترك وشأنه تفضى ضرره ، وان ردع عن مزاوله المنكر كــــان
في ذلك انقاذ له وللمجتمع من الشرور والاثام ، والعجب العجيب ان يقال للمحتسب :
لا تعتد على حرية الناس او يرميه جاهل بأنه فضولى .
وهذا ما سأعالجه ان شاء الله في المبحث القــــام .



(١٩٦) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٤ - وأسجل بكل اسف - هنا - ان ابن النحاس
نقل هذا الكلام وما حوله في " تنبيه الفافلين " ص ٧٣ من غيــــر

عزو .

(١٩٧) تنبيه الفافلين ص ٧٣

الاحتساب والحريسة الشخصية :

الانسان عبد لله ، ومجال حريته باختصار شديد في فعله ما أمر الله به
واجتناب ما نهى الله عنه ، مادام مسلما أو يعيش في مجتمع اسلامي .
وذلك معيار ثابت للحرية الشخصية التي تعب في كسبها علماء القانون الدولي
من ينتمون الى القوانين الوضعية .

فحرية المرء الشخصية مكفولة في الكسب والملك والملبس والتنقل والاكل والشرب
والنكاح ، وكل شيء في هذا الوجود بشرط الا يخل بما أحل الله له ، أو يقتصر
ما حرم الله عليه .. ومن التزم بالا وأمر والنواهي ، سلم ، وسلم مجتمعه " والمسلم من
سلم المسلمون من لسانه ويده " (١٩٨) -

أما ان ترك المرء معروفا أو فعل منكرا كان لا بد من الاخذ على يده ، لانه تجاوز
حد الحرية .. واعتدى على حرمة الله . والاخذ على يده - والحالة هذه - انقاذ
له ولغيره من فساد الدنيا والآخرة .

فإن قال جاهل بقانون الله اللطيف الخبير ان هذا الاحتساب اعتداء على الحرية
الشخصية فأفهمه ان مرتكب المنكر اعتدى على حرمة الله ، واعتدى على سلامة المجتمع
الاسلامي بأسره ، وأعلمه كذلك ان هذا أمر يهتك ويعنيك - فالاحتساب تدخل المحتسب
فيما يعنيه من أمر أخيه المسلم ، وأمر المجتمع الاسلامي وسلامته . وان الاخذ على يده
فاعل المنكر انقاذ له من عقاب الدنيا والآخرة . ثم قل له أخيرا - ان لم يقتنع
ان الاحتساب فرض فرضه الله على ، ولن أتركه لمجرد عدم رضاك أو اعتراضك .
ان موقف الشريعة الاسلامية من مرتكب المنكر موقف صارم لا هوادة فيه
ولا مجاملة ، ولا يلتزم له العذر وان ارتكب المنكر بحسن نية ، لان العبرة بالنتائج
" واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة " .

ولقد سبق المثل الواضح الذي ضربه الرسول صلى الله عليه وسلم في مقاومة
أى خلل يحدث في المجتمع الاسلامي بأي طريقة ، لان السكوت عليه معناه فتحة
شفرة تظل تتسع وتتسع حتى تبتلع المجتمع بأسره .

فمن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤد من فوقنا ، فإني نتركهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا " (١٩٩)

فركاب السفينة هم المجتمع الاسلامي ، وأوامر الله ونواهيته التي تحفظ هذا المجتمع هي السفينة ، وعلى ركاب السفينة وهم بين موجات البحر ، إن يحافظوا كل المحافظة على سلامة السفينة ، لأن أي خلل فيها معناه الهلاك المحقق للجميع ، فهل يُترك الذين يزاولون الخلل باسم الحرية الشخصية ؟!

هذا .. ولقد مارس المسلمون في عصورهم الأولى الحرية الشخصية في حدود الحلال المباح فكانوا سادة الامم ، واثباته العالم ، وقد مارسها المسلمون أيضا ولكن بمفهوم لا يلقى بالا للحرام والحلال والمباح تاركين الاثر التشريعي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فماذا حدث ؟

لقد ابيح باسم الحرية العري ، والعهر ، والدعارة ، والفش ، والاحتيال ، والربا ، والمسكرات ، وكان ذلك من أهم أسباب انحلال الاسرة وضياع الاخلاق والقياس ، وأختل التصور فصار المعروف منكرا والمنكر معروفا ، فنزل البلاء بساحة تلتك المجتمعات التي تسمى بالمجتمعات الاسلامية في ظلال الحرية بمقاييس الفاسقين .. واسراء الشهوات والشبهات .

.....

نظام الاحتساب في الاسلام

الاحتساب في اللغة : مصدر احتسب . اي طلب الاجر والثواب من الله دون غيره .

وشرعا : مزاوله المحتسب الحسبة باحدى مراتبها المستطاعة والمؤدية الى المحافظة على شرع الله بشروط وآداب معينة .

ويقوم بالاحتساب كل مسلم مكلف في حدود استطاعته وامكاناته ابتغاء مرضاة الله . لجلب المصلحة ودرء المفسده في كل شئون الحياة .

و اول محتسب في الاسلام هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية " وكذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الفاية ، والولايات الدينية كلها مثل امرة المؤمنين ومادونها من ملك ووزارة وديوانية وحرب وقضاة وحسبه وفروع هذه الولايات انما شرعت للامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدينته النبوية يتولى جميع ما يتعلق بولاية الامور يتولى في الاماكن البعيدة عنه ، كما ولى في مكة عتاب ابن أسيد ، وعلى الطائف عثمان بن العاص . . . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستوفى الحسابات على العممال يحاسبهم على المستخرج والمصرف " (٢٠٠)

وسار الصحابة رضوان الله عليهم على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم محافظين على شرع الله امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر .

حتى اذا كثر المسلمون وفتحت البلاد واتسعت رقعة الارض وكثرت المخالفات عن قصد او جهل ، عين الخلفاء مختصين يتجولون في الاسواق ويتفقدون شئون الناس بصفة عامه . بالاضافة الى جهود الخلفاء . انفسهم وعامة المسلمين كل حسب استطاعته جلبا لمصلحة الدين والدنيا معا ، ودرءا للمفسدة عن امور الدين والدنيا معا .

يقول الدكتور ابراهيم الدسوقي * قامت الحكومة الاسلامية منذ تكوينها على تعدد الولايات . فكانت ولايات القضاة - الحسبه - الشرطه - المال وغيرها من الولايات كل يعمل في حدود اختصاصاته . . والغرض من احداثها انما هو تقرير الحقوق وتنفيذ الاحكام وارجاع الناس في اعمالهم الى الدين الصحيح سواء عن طريق القول او العمل * (٢٠١) . والاصل في الاحتساب التطوع حيث يسرع المسلمون لاداء فريضة الاحتساب لتغيير المنكر كما رأوه او علموا به .

فلما عين الحكام محتسبين تلبية للحاجة الطارئة لم يغير الطارىء الاصل وبقيت فرضية الحسبه ثابتة على المسلمين جميعا ومن الطريف ان تظل كلمة متطوع تطلق حتى على الموظف من قبل الدولة . وذلك يعنى امرين .

الاول : ان الوظيفة لا تنفي الفريضة لان الوظيفة تروح وتجنو* والفريضة ثابتة .

الثاني : ان الاصل قد شاع على الالسنه - وليس هناك ما يعارض هذا الشيعه فبقى . ان يجوز ان يكون الموظف متطوعا، باعتبار انه يجعل الوظيفة من باب التعاون على البر والتقوى والتقرب الى الله .

وجاء القرن الخامس الهجرى والحسبه ولاية من ابرز الولايات التي توليها الخلفاء لمن يصلح لها في شتى الاضمار وعلى مختلف المرافق واصبحت الحسبه نظاما له حدود ومعايره . وكتب في الحسبه من وضع ضوابط لمجالاتها وطرق مباشرتها - وكان من ابرز من طرقتوا هذا المجال قاضي القضاة ابو الحسن الماوردي في كتابه المشهور " الاحكام السلطانية " حيث وضع وجوه الاجتماع والافتراق بين ولاية الحسبه وغيرها من الولايات ثم وضع ذوقا بين المعين للحسبه وسماه " المحتسب " وغير المعين وسماه " المتطوع " . وقد تبع الماوردي كثيرون من المؤلفين بعده من كادوا يرددون نفس تقسيماته وعباراته والفروق بين المتطوع والمحتسب (أ) .

والتركيز على التفرقة بين المحتسب والمتطوع اوشك ان يفصل بين الموظف وغيره فضلا تاما اعتماد على الناحية الشكلية والرسمية دون ←

(٢٠١) الحسبه في الاسلام - دكتور ابراهيم الدسوقي الشهاوى ص ٦٩
الناشر : مكتبة دار العروبة بالقاهرة ١٩٦٢ م والنص جاء بعد كلمة - واهاو
والصواب ام كما يؤخذ على المؤلف اخذ الاسم وكثير من الافعال والكلمات من
الحسبه في الاسلام لشيخ الاسلام ابن تيميه .
(أ) كابن الاخوه في كتابه معالم القرية - وكبترس البستاني في دائرة معارفه . . .
وقد سبقنا الاشارة لذلك في فصل التعريف بالحسبه في الباب الاول .

التنبيه الى المضمون ، وان الاحتساب فريضة على الجميع ... وكل مسلم فى
هذا المضمار يسير وفق قواعد شرعية حسب امكانياته المتاحة تأسيسا على قول
الله تعالى : " لا يكلف الله نفسا الا وسعها " (٢٠٢) وقوله : " فاتقوا الله
ما استطعتم " (٢٠٣)

ورحم الله شيخ الاسلام ابن تيمية الذى تناول الحسبة على انها حسبة لله
دون تفرقة بين " الموظف والمتطوع " ولو جازت التفرقة لجا بها واضحة المعالم
فى مؤلفه الجامع " الحسبة فى الاسلام " وما تفرق له عن الحسبة وهو كثير فى
مؤلفاته . وما هنالك من تفرقة لدى شيخ الاسلام انه جعل الاحتساب على
المعين فرض عين ، لانه يعتبره من ولاية الامور خاصة فيما لا يستطيعه عامة الناس
فيقول فى كتاب الحسبة : " والمقصود هنا ان هذه الاعمال التى هى فرض على
الكفاية متى لم يقم بها غير الانسان صارت فرض عين عليه ولا سيما اذا كان غير
عاجزا عنها " (٢٠٤)

ثم يقول فى موضع اخر : " واما المحتسب فله الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر ما ليس من خصائص الولاية والقضاة وأهل الديوان ونحوهم وكثير من الامور
الدينية هو مشترك بين ولاية الامور فمن أدى فيه الواجب وجبت طاعته " (٢٠٥)

وبعد :-

فما تقدم يمكن بلورة نظام الاحتساب فى الاسلام على النحو التالى :

١- حسبة عامة : وهى ولاية من قبل الله لكل مسلم على الآخرين ، ازا ما يحدث
داخل المجتمع الاسلامى من مخالفات ، كل حسب استطاعته
دون انتظار لاذن من أحد فقد صدر الامر بها من
الله ورسوله .

(٢٠١) اخر سورة البقرة ..

(٢٠٣) سورة التغابن : ١٦

(٢٠٤) الحسبة فى الاسلام : ٢١

(٢٠٥) ===== ٩

٢- حسبة تنفيذية : وهي اختيار من قبل السلطة لافراد معنيين لمزيد من ضبط الامور ، ولا سيما فيما يحتاج الى تخصص في معرفة وسائل الغش مثلا او في بعض أماكن التجمع كالا سواق والمرافق العامة ومراكز التصنيع ونحوها لانها نطاق المخالفات ومزاولة المنكرات .

هذا : ولاعضاء الحسبة التنفيذية مزيد من الهيبة الرادعة ومن القدرة على ازالة المخالفات ماليين لغيرهم لانهم يعتبرون من أولى الامر الذين تجسب طاعتهم .. والعصا لمن عصى — وتجراً على الحرمان وارتكاب المخالفات .

وان : فما كانت الحسبة التنفيذية على أهميتها لتلغى الحسبة العامة أو تقلص من مجالاتها .. ويظهر ذلك فيما اذا ترك والى الحسبة وظيفته ثم رأى منكرا فور تركه الوظيفة ، فإن عليه أن يزاول واجب الاحتساب بولاية الله له فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض .

كما يظهر ذلك أيضا فيما اذا كان المعين على السوق في مكان اخر ثم وجد منكرا فإن واجب الحسبة العامة يفرض عليه الانكار والتغيير .

فكل مسلم مسئول أمام الله عن أى منكر حدث على علم منه وكان باستطاعته ان يغيره بأحدى وسائل التغيير الممكنة .

وتنقل لنا كتب الحسبة قصصا كثيرة عرف فيها المسلمون انهم مأمورون بولاية الحسبة من قبل الله فمارسوها وهم لا يخافون في الله لومة لائم . (٢٠٦) .

.....

-
- (٢٠٦) من هذه الكتب : ١- احياء علوم الدين : كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " الباب الرابع ج ٢ ص ٣٤٣ وما بعدها (طبعة المكتبة التجارية)
- ٢- تنبيه الفساق فلولين ص ٤٨ وما بعدها .
- ٣- مؤلف حديث هو : الاسلام بين الحكام والعلماء - عبدالعزيز البدرى .. منشورات المكتبة العلمية - المدينة المنورة عام ١٤٠٠ هـ - وغيرها الكتب كثير .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الثالث

حماية الحبة للجمع بـ يس من الفساد التي تنشأ
 من داخلها
 . تمهيد .

الفصل الأول : حماية الحبة كتلويبه للجمع وسدوله .

الفصل الثاني : بوجهات على أوى الأمر .

الفصل الثالث : المنار الموجب للحبات .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الباب الثالث

حماية الحسبة للمجتمع الاسلامي
من المفاسد التي تنشأ من داخله

تمهيد :

تكوين المجتمع وسلوكه ، مؤسسان على أهدافه ومراميه ، ومن هنا يضاف الى المجتمع ما يميزه ، ويحدد تسميته .
فلا يقال هذا مجتمع مدرسي ، لقوم يجلسون في السوق للبيع والشراء ، ولا يوصف مجتمع بأنه نشيط ، وهو مؤلف من الكسالى والخاملين . . . وهكذا .
فإذا قيل " مجتمع اسلامي " فدلالة ذلك ، أن تكوين هذا المجتمع من أناس يترسمون خطا الاسلام ، ويتبعون ما أمر به الله ورسوله وينتهون عما نهى عنه الله ورسوله .
ومهمة المحتسبين والحالة هذه ، هي المحافظة على شرع الله ، داخل المجتمع الاسلامي ، بالبيان والمتابعة لما أمر به ، وما نهى عنه ، سواء كان هذا الاحتساب :
من المسلم على أخيه ، أو من المسلم على غير المسلمين داخل المجتمع الاسلامي ، أو على الاجهزة الادارية والمصالح العامة ، أو كان الاحتساب من السلطان أو عليه ، فالكل يندرج تحت قول الله تعالى " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " .
لكن : هل كل ما يراه المحتسب منكرا ، يكون منكرا بالفعل ، وباجماع الائمة ؟
وهل كل منكر يُرتكب ، يقصد صاحبه وقوع المنكر ؟ أي : ما تكييف المنكر الموجب للحسبة ؟
كل ذلك سأعرض له ان شاء الله بشيء من التفصيل في هذا الباب .

=====

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

حماية الحسبة لتكوين المجتمع وسلوكه

تصهيبك . . . :

تكوين المجتمع الاسلامي يبدأ بالعقيدة . . . تلك العقيدة هي " التوحيد واخلاص العبودية لله الواحد الاحد " ولا تزال هذه العقيدة تأخذ في النمو داخل قلوب المؤمنين ، وفي سلوكهم ، حتى تحكم المجتمع الاسلامي ، ليكون مجتمع البر والرفاهية ، بعد الطاعة لله رب العالمين .

ان كثيرًا من البلاد الاسلامية يمثل فيها المسلمون الكثرة الكبيرة، أو يكون جميعهم من المسلمين . . . ولكننا لانرى فيها المجتمع الاسلامي الذي أراده الله، لأن المسلمين في بلد ما فقدوا أهم ما يميز المجتمع الاسلامي، وهو القدرة على التكيف مع مبادئ الاسلام تكوينًا وسلوكًا .

فلا عبرة ان بأفراد يدعون انهم مسلمون وكل واحد منهم لا يهمه ما يحدث داخل مجتمعه الاسلامي، لأن ذلك ما ياباه منظم المجتمع المتكامل، الذي يتعاون أفراد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل صوره والوانه .

هــذا . . .

وقد يستعصى داء المنكر . . . لأن اصحاب المنكر يتكاثرون . . . وقد يستفحل الأمر، فتهدد المنكرات كيان الامة، وان فلا بد من يد قوية تحتسب على المفسدين بالضرب والردع، وتلك يد الحاكم ، الذي يجب عليه أن يملك للأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر . وهذا ما يسمى " بالحسبة التنفيذية " أو حسبة السلطان، فالله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

وان . . . فالمجتمع الاسلامي يتكون من : أفراد رسخت في قلوبهم العقيدة ، وتعاونوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ثم من سلطة تنظم المجتمع، وتمكن الافراد من مزاوله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بحيث يمارس هذا الواجب بدون عوائق .

فالحسبة ليست مجرد دعوة اصلاحية تعنى بأخلاق الناس فقط ، ولكنها متابعة دقيقة

كتاب
صلاح
بخجيري

لبناء مجتمع اسلامي شامخ معطاء على أساس من : فع
مانهى الله ورسوله عنه بطريقة واعية ، تمثل أصدق :
فى حسم المجتمع الاسلامي ، جلبا للمصلحة ، ودرأ للمنا
الدنيا والآخرة .

قوى ،
موله

ومجتمع ينطلق أفراده من عقيدة التوحيد ، وفى ،
ويسارعون فى الخيرات ، ويتواصون بالحق والصبر ،
وأولى الأمر ، ويساس بأقل مجهود فى يسرو

تمتع ،
ومنه .

والحكومات الرشيدة هى التى تعنى بالمعقيدة ،
ثم تتابع بدقة : الأخلاق والسلوك والانتاح ، خوفا

ببند
بسط
برضى
بقة ،
مع بسن

ولقد عرف ذلك كل خليفة راشد فأدى حق الله فى
العزيرضى الله عنه ، يأتى على رأس دولة صرفت همم
الأرواح لاغير ، ولاشأن لها بما يفعله الناس ولا بما
الله عنه بأن تستقل الخلافة بالاعمال العالمة والادار
والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فجمع بينهما ،
الناحيتين ، ولذا سميت الخلافة الراشدة .^(١)

يحصر
ببير قدما

فالمجتمع المسلم الذى يتكون من أفراد تعاونوا على
على فعل الحلال واجتناب الحرام . مجتمع يعمل بنا
نحو النمو المطرد والعطاء الخير .

أب
ببـراد
بوحسبة

ونادكم هو الهدف الذى تهدف اليه الحسبة بعد
لا يعرف الملل ، ومتابعة لاتخشى فى الحق لومة لاء
بعضهم على بعض ، أو حسبة الأفراد على الابهزة
الراعى على رعيته . لأن المسئولية تقع على كل فرد .

(١) أنظر أبو الحسن الندوى : "رجال الدعوة و"

الحسبة على

حسبة الأفراد أن يكون كل مسلم محتسبا عليه ومحا
أى يؤخذ غيره على أى مخالفة ، ويؤخذ من غيره عا
به وما نهى عنه .

أ أم الله

بطرة .

وهذه المحاسبة من منطلق الحب والمناصرة ، وليه
فكل فرد يزاوّل الحسبة على الآخرين باعتبارات ثلاثة
الأول : أن الحسبة فرض عليه .

أ نسيه ،

الثاني : أن الحسبة حق لأخيه عليه ، فحق الأخ على
وأن يكفه عن المنكر اذا فعله ، وتلك هى المناصرة ا
الثالث : اقامة شرع الله داخل المجتمع الاسلامى ، وة
وسط المسلمين من غيرهم .

ش

نير بنور

فاذا راقب كل مسلم اخوانه ، وتعاون الجميع على ال
الله .

عقيدة المسلمين فى مشروعية الأمر والنهى :

ب أو

والمعتقد لدى المسلمين أن الله لم يأمر بمعروف
المجتمع ، أوهما معا .

حتسبت

التكافل

وما نهى تعالى عن منكر الا لدرء مفسدة تعود
على أخ لك أمرا له بأداء الزكاة مثلا ، فقد أرحمت قلبه
الاجتماعى .

ه وماله ،

واذا احتسبت عليه مانعا اياه من شرب الخمر فقد
ومنعتة فى نفس الوقت من تخريب ماحوله ومن حوله فو

لب الحسبة :

سعادة

لنهى

وحسبة الأفراد بعضهم على بعض هى لب الحس
فى الدنيا والآخرة . فعن على رضى الله عنه * أفضا
عن المنكر * (٢)

الد يسر
نى سنبة
نخرج عن
الاستيعاب
محصول فى

(٢) أنظر تفسير الرازى ص ١٧٩ ج ٢ - والامام ال
محمد بن عمر بن الحسين الرازى الطبرستانى
٦٠٦ هـ كان يرى أن تعلم العلوم جميعها
كونها واجبا أو مما لا يتم الواجب الا به وقد .
سعة العناية وألف فى الاصول والتفسير وال

وذلك	وما كانت للحسبة هذه المكانة الا لما تهدف اليه .
مران	باخلاس العبودية لله وتخليص القلب من الشبهات
لخير	كما يقول ابن القيم أصل فساد العبد وشقائه في معا
	وطاعة الأمر ، أصل سعادته وفلاحه في معاشه ومعا
ع	وإذا خلس المجتمع من الشبهات والشهوات خلس
أمرا	الاسلامى بحبل الله وصار الأفراد اخوة متحابين ،
	بالمعروف ونهيا عن المنكر .
لمعروف	ومن ينظر الى قول الله تعالى : " ولتكن منكم أمة
ا	وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله " بعد قوله تعالى
فواننا	ولا تفرقوا وانكروا نعمه الله عليكم ان كنتم أعداء فألف
، وهما :	يجد أن ضرورة الحسبة تكمن وراء أمرين عظيمين بغير
	" التوحيد " و" رابطة الاخوة في الله " .
ترسب	فالتوحيد هو الأساس الذى يبلى القلوب ، والأخ
يضمن .	هذه القلوب ، فيتكون المجتمع الاسلامى . وتكون الح
	الحركة الدائمة ، للمحافظة على المجتمع عقيدة وسلوكا
عن المنكر	وقد روى عن ابي بكر الصديق قوله " يا أيها النا
	تعيشوا بخير " (٤)
	الحسبة معركة شاملة :
جالات	فالمحتسب مطالب بأن يعيش في معركة تصحيح
وف ، أو	فوالدين والدنيا ، وهى دائبة لا تفتروا لتلين . ومسئو
سول	اقترب من منكر . " فهو في معركة مع الانحراف عن
	من الشك والشرك والخرافة والوهم والجمود .
فطر	وهو في معركة مع النفوس والعقول حتى تستقيم :
رقها	الله الناس عليها من صفائه وطهره ونقاؤه ونوره فلا ت
	الشبهات .

تربية	والمحتسب في معركة مع الاوضاع الفاسدة ، في عا ونظم الاجتماع والاقتصاد حتى ترد الأمور الى نصابها
تلوا	" الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا " (سور
	الحسبة حسب الطائفة :
العامه	وعندما أوجب الله فريضة الحسبة على كل مسلم، لم
لدى	فيما فرضه الله علينا : أنه " لا يكلف الله نفسا الا وسه
هذا	يعلم من خلق ، لا يحاسب المرء الا على مايقع في -
يستطع	منطوق ومفهوم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلسانه فمن لم يستطع فقلبه وذلك أضعف الايمان "
اتيه	والذى يحدد القدرة ، وينقل المحتسب من مرتبة
سوق	ومدى فهمه لدينه وللغريضة الطاعة على عاتقه ، ومعرفة
أو استطاع	يُصدع بها ، فيزهى الباطل . فلوا استطاع التغيير
...	باللسان فاكتفى بالقلب ، فحسبته مردودة عليه ، وعه
ذا أمرتمكم	فقد قال الله " فاتقوا الله ما استطعتم " (٦) وقال الر
منكرا	بأمر فاتوا منه ما استطعتم " وهذا ما نراه على أوضح
	فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه . . الحديث .
لمنكر	يقول شيخ الاسلام ابن تيميه " وتحقق ذلك أن
س	هو من أو جب الأعمال وأفضلها " والعمل الصالح لا
شيئين	فان الله تعالى لا يقبل من العمل الا ما اريد به وجه الثبة والحركة .
حسا	ولهذا كان عمر رضى الله عنه يقول في دعائه :
صالح	واجعله لوجهك خالصا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئا
	فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون هذا
الثقافة	(٥) بتصرف من لمحات في الثقافة الاسلامية " ع
سرة الرسالة	الاسلامية جامعة الامام محمد بن سعود ١١
	(٦) سورة التغابن : ١٦
	(٧) الحسبة في الاسلام بتصرف من ص ٦٦ :

الفرد والمجتمع :

سول :

سرد

وتمت ملحظ لا بد من لمسه : لأن هناك من الباحث ان هناك فرقا بين الفرد والمجتمع ، وان المجتمع لن بحريته الخاصة، فليحقق وجوده تحقيقا كاملا على أى ص

استقامة

على

مادة

الأفراد

وذلك بلا ريب يؤدى - وقد أدى فعلا - الى الش على أمر الله فى مجتمع المسلمين المنضبط بأوامر الله أخيه . " أمرا بكل خير، ونهيا عن كل شر " حيث يشي وراحة البال ، لافرن بين فرد ومجتمع، فالمجتمع الاس هم مكونات المجتمع .

آمنوا

بني غدير

الس

حسنة

وهل يستطيع المسلم اذا وُجه أمر الله الى المجمو اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلح مطالب بما خوطب به المجموع . . . وهل يستطيع ال الفرد فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " اتقوا تحبها وخالف الناس بخلق حسن " أن يقول المجتمع

واء وجهه

تلك تفرقة غير مقبولة فى الشريعة الاسلامية ، فأو للفرد أو المجتمع .

للم

بالتقصير

وانما يعنى الاسلام بالتوازن الذى يحول بين ا والعدوان ، الذى ينشأ من فقدان هذا التوازن ف فيه ، واما على الاثم باقتراه وتعاطيه .

وها (٩)

وهنا يقف المحتسب ليقول لمن فرطوا فى المعروفة ولمن يقومون فى المنكر " تلك حدود الله فلا تقربوه.

اد بيت

وهكذا، فلا فرق فى الأوامر والنواهي بين الفرد ا الرسول صلى الله عليه وسلم تمزج بين الفرد والمجت

(٩)

(٨) سورة الحج ٤١

(١٠) سورة البقرة ١٨٧

قول :
 بر أن
 (١١)
 الصبر

يم
 قة
 م فسي
 بساد
 هذه

وينقل لنا شيخ الاسلام بن تيميه تعليقا للامام الشافعي
 لو فكر الناس كلهم في سورة العصر لكتفهم ، وهو كما ان
 جميع الناس خاسرون الا من كان في نفسه مؤمنا صالحا
 يقول الشيخ عبد الحى الكنانى فى التراتيب الا
 " ان اساسيات الدين الاسلامى ، اعتقاد الحق ، واقامة
 المعاملات والاخاء ، و تخويل عموم الأفراد حرية
 للحكمة ، بحيث تحفظ الحياة الاجتماعية مادام فى ال
 فتاويه " صلاح العباد بالامر بالمعروف والنهي عن ا
 فى طاعة الله ورسوله ، ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف
 الامة خير امة اخرجت للناس (١٣)

لاتهاون فى الاحتساب :

الفهم
 اذا
 ييق

هذه
 معت
 ن يديه

ونهيتم
 الامام
 فعلتم
 ()

كما أنه يجب على المحتسب ألا يتهاون فيما فرض على
 القاصر فى قول الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا
 اهتدوهم " على الرغم من شيوع تفسيرها على الوجه الذى
 رضى الله عنه حتى العلماء والائمة فى العصر الحديث
 فقد روى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال :
 الآية " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان الناس ا
 أو شك ، أن يعذبهم الله بعقاب منه " (وقد سبق)

قال ابن عباس فى تفسير هذه الآية : اذا اهتد
 عن المنكر فهذا هو الهدى وليس السكوت عن المنكر
 النورى فى معنى الآية المذهب الصحيح عند المحققين
 ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم مثل قول الله تعالى

(١١) الحسبة فى الاسلام ص ٨٧ (١٢)

(١٣) فتاوى شيخ الاسلام المجلد ٢٨ ص ٣٩٤

(١٤) تفسير الرازى ص ١٧٩ ج ٨ (١٥)

أثر الاحتساب على المرافق والاجهزة الادارية

تهيئة :

- ان هدف الاسلام في دياره هو استقرار المجتمع ا
بساند نظام المجتمع وأجهزته ، حتى تنصرف الى الله
أو مقاومته . ومن هنا كان من الضروري داخل الم
ويقاوم المنكر ، بكل وسيلة ممكنة حتى يصير التواصي
سمة المجتمع الاسلامي .
- وحيث يقاس كل ما يصدر من أفراد المجتمع واجهزة
وشاع ، صارت موافقة الاسلام هي العرف السائد في ا
وفي ظل هذا العرف لاتغوت مصلحة ، ولا تجلب
صريح ، أو تترك لذلك العرف الموافق لمنهج الله ،
وفي عادات الناس وأعرافهم يقول الامام الشاطبي
الموائد الشرعية التي أقرها الدليل الشرعي والثامن
بما ليس في نفيه أو اثباته دليل شرعي ^(١٦) .
- وهذا هو العرف المعتبر شرعا عند كثير من الائمة
وصار بهذا التكييف أصلا من الأصول الفقهية ^(١٧) .
- وسلامة العرف وموافقته للشرع ، ضرورة للمجتمع
سير الحياة :
- الأول : تلاقى الافراد لاقتراف المخالفات لأن ال
منكر . وهذا من شأنه تخفيف عبء المتابعة والمو
المرافق العامة من العبث والاتلاف .
- الثاني : الوقوف في وجه من يقترب المخالفات سوا
منسوبي اجهزة الدولة .
- وبذلك تسهم الحسبة العامة في راحة الاجهزة ا
في المحافظة على المرافق التي ينتفع بها المجتمع .
شراء من التفصيل من ناحيتين : الأولى مدى اس

—
نوم

والثانية : في احتساب الافراد على القائمين بأمره
موظفين ورؤساء ، والتصدي للمخالفات .
المعنى واصلاح الفاسد فور وقوع الفساد .

أثر حسبة الأوقاف في المحافظة على المرافق العامة

الحسبة جهاز صيانة داخل المجتمع الاسلامي ،
بالوعظ والتنبه والردع . . .

فليس في المجتمع الاسلامي من يتنصل من المس
لأن الله محاسب المرء على ذنوبه ، ومحاسبه على تفريطه
أو تضييقه ، فإذا صارت الاخلاق الاسلامية عرفا سا
الدولة ، وسلمت المرافق العامة وأصبح المجتمع الاسلامي
السلامة لا مجتمع التخريب .

والاساس في هذا الشأن هو أن النظام الاداري
الحكومي وحده ، كما هو الحال في النظم الحديثة ،
المجتمع المسلم . وأن القيام بالمصالح فرض على الم
معظم المصالح كما يشتركون في المحافظة عليها و
يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه
الناس الى صناعة ناس ، مثل حاجة الناس الى ال
لا بد لهم من طعام يأكلونه ، وثياب يلبسونها ، و
فيحتاجون الى زراع وبنائين ، فلهذا قال غير واحد
وأحمد وغيرهم ، كإبي حامد الفزالي وابي الفرج بن
فرض على الكفاية ، الا ان يتعمين فيكون فرضا على ا
وإذا كان هذا الفرض في الاسلام لانشاء هذه ال
فرض المحافظة على هذه الصناعات من الغش أو الا
الآراء . وقد طغرت الحسبة على الحرف والصناعات

(١٨) الحسبة في الاسلام ص ١٩ بتصرف

(أ) أنظر السوق ليحيى بن عمر ومعالم القريا

وكما وجدنا حرص الاسلام على ايجاد المصالح اله
المصالح عن طريق الاحتساب .
فالمراقب العامة من قبيل المصالح العامة لا يجوز
أن يضربها ، لأنها ملك للجميع ولمنفعة الجميع ، يقو
الى طريق نافذ جناحا ، ولا يجوز أن يحمل عليها .
وهو المستوفى لهواء الطريق ، حتى ولو كان السابا
ثم يورد رأى أبى حنيفة فيقول : إنه يجوز في ذلك .
وان عارضه أحد من المسلمين وجب قلمه (٢١)
وهذا الحق الذي منحه الشرع للمسلمين في
الحكمة والدقة ، في جلب المصلحة ، ودرء المفسدة
كما أن نظرة الشريعة الاسلامية للاحتساب في
بعيد المدى . نرى ذلك في الصفحة التالية من نف
لعدم جواز سقف الشارع بقوله : " فانه يظلم الطريق
العارة ، أو سقط منه شيء ، وقد تعلقوا الأرض بمرورا
مرور الدواب بالاحمال ، ويقطع الطريق الا على المد
الحال ، يجب المنع منه في ابتداءه (٢٢) .
وفي المحافظة على المرافق العامة يقول الشيخ
في الطريق وكانا بغير خلاف فعله ، سواء كان اله
أذن الامام فيه أو لم يأذن ، لأنه بناء في ملك غيره بة
وفي كتاب احياء الموات يقول " وما قرب من العا
ومسيل مائه ، ومطرخ قامته ، وطلق ترابه وآلته -
المذهب (٢٤)

(١٩) هو موفى الدين ابو محمد عبد الله بن احما

٥٤١ هـ بجماعيل وقدم دمشق مع أهله وا

بفداد صنف كتابا حسانا في الفقه ، وا

الثلاثين وصار كتابه المعنى من أشهر كت

الامام الحجة سنة ٦٢٠ هـ رحمه الله وأج

المعنى حقه ، ٥٥١ طدار الافتاء (٢٠)

لد سنة
دمشق ثم
ن مؤلفاته
وتوفى

(ويروى الامام مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه " عرضه سبع أذرع) يقول الامام النووي فى التعليق أكبر من سبعة أذرع ، فلا يجوز لأحد أن يستولى على وجدنا حاجة مستطرفة ومسلما مشروعا نافذا ، حكما ■ هذا مثل لجانب من جوانب الاهتمام (بالشارع اهتمام الشريعة الاسلامية بمرفق واحد من المرافق ال لوجدنا أنفسنا أمام مؤلف كامل الأبواب والفصول وال الذى يجب أن يلفت النظر اليه، أن الحسبة ضرور العمران البشرى من مرافق ، والحسبة ضرورة من الزم ا بها نحو الاجود والاحسن .

ولو نفذنا ما تراه الشريعة الاسلامية فى تنظيم ال الى ايد غير مسلمة فى هذه المجالات .

وللدكتور مصطفى كامل وصفى بحث يستفاد منه ن المجلد الاول العدد الثانى" وقد قررت تحت عنوان ال فى الاسلام هو أن يتولى الافراد المرافق العامة كد الكفاية وأنه اذا تخلف المسلمون عنها فانهم يأثمون يقوم الافراد عندنا فى الاسلام اصالة عن انفسهم بآء العصرية .

فالافراد عندنا مكفون مباشرة بأن يعبدوا الطر المستشفيات والمدارس والمساجد ونحوها ما يلزم المال قادرا على ذلك، قام به ، ولكن اذا لم يكن فان ذلك لا يعفى الافراد من واجب اقامتهم لهذه تخلف السلطة العامة عنها عذرا لهم فى فساده (٢٦)

وهذا يقال في كل المصالح العامة ، فالمجتمع الا
التي تهدد المصلحة أو تجلب المفسدة ، كالحصول
على الملابس أو تعلم النسخ، وغير ذلك ما قرره شيخ الا
وهذا النظام الاسلامي بين النظم الادارية فريد
مجتمعا ايجابيا يشترك مع أولى الأمر في تسيير الأمور
الرخاء والنظام داخل المجتمع الاسلامي .

ان المجتمعات غير المسلمة ، أو غير المتمسكة بـ
بالحكام وبالنظام، وقد تلجأ الى الاضراب أو الشكوى
نقضا أو خلا في المرافق العامة، من غير أن يقوموا
المصالح أو درء المفسد .

ومن يجهل النظم الاسلامية ، وينظر الى المجتم
لا يتصور أن المجتمع الاسلامي مطالب بالمشاركة في
العامة ، بل يجهل أن الولايات كلها داخل الم
قطب الرخاء، والمقصود من الولايات .

واعطاء المسلمين هذا الحق من الانشاء والمراف
وماله من فضل الامداد والصراف على الخدمات العام
الجسور ، وشن الشوارع والترع وغير ذلك .

ودور الحسبة هنا يكمن في اعطاء المسلم الحق في
المشتركة بين الناس ، للعمل على تنميتها وصيانتها
الحكومية " هي الحكم بين الناس في النوع الذي
هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا واجب كل
(٢٧) الطرق الحكيمية في السياسة الشرعية - لا
ابن عبد العزيز.

مة ،

والحصول ،

لا سلامي

ار، وتنشر

مريض

أرأوا

في جلب

الشريعة

مرار المرافق

مية ، فهي

" باب الوقف"

الطرق ، وبناء

، والمصالح

صاحب الطرق

ته وأصله

ة الامير سعود

هـ
 هـ
 (٢٨)
 هـ
 ن قول
 نعالس

لكن اذا استنفد المحتسب كل الوسائل الممكنة فإ
 بل من واجبه أن يستعدى اللطمة ، على من خالف
 أو المرافق العامة . . لأن الحسبة دفاع عن المجد
 فانعم بنظام الحسبة في الاسلام ، ذلك الذي
 بالاجابية والمشاركة بطريقة فعالة عن طريق التوجيه
 الله تعالى "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
 " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون

الاحتساب على الموظفين في

مراقبة الموظفين المسؤولين والمنفذين في أجهزة
وإذا كما يصدر اسهام الحسبة في النظام الادارى
في اب وسائل الحسبة في الاسلام وبابه التناصح الو
أما من فرط ومالاً ، فهو متعاون على الاثم والعدوان
ويبدأ الاحتساب من كون الوظيفة في الدولة ولا ،
خلاف ذلك ، تدخل المحتسب للتنبيه ، خوفا على
المجتمع الاسلامى .

لقد روى الحاكم في صحيحه قول النبي صلى الله
على عصابة ، وهو يجد في تلك العصابة أرضى منه ،
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه " من ولى من
لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله وخان ال
هكذا وفروع الولايات كما يقول شيخ الاسلام ،
والنهي عن المنكر وكان رسول الله عليه وسلم في مديا
الأمور كما يولى الاماكن البعيدة عنه ، فقد ولى علم
عثمان بن العاص ، وعلى قرى عرينة خالد بن سعيد
وابا موسى الى اليمن . (٣٠)

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستوفى الحسا
والمصروف وقد سبقت واقعة ابن اللثبية كما رواها ا
فقد حاسبه صلى الله عليه وسلم على ما أخذه من الذ
اليه لولا وظيفته .

وقد برزت حسبة الرعية على الراعى ، وحسبة ال
على سلامة النظم الادارية في المجتمع الاسلامى ، و

الا في ظل الاسلام .

ومن يقرأ من غير المسلمين سيرة عمر بن الخطاب
 عنهما لا يتردد في الجزم بعراقاة النظام الاسلامي و
 الدقبة ، والكفاءة الباهرة في تسيير مصالح المجتمع
 وأساس النظام الاداري الاسلامي ، أنه ليس احداً
 العباد ، ولكنه المشاركة الفعالة ، والتناصح العثم
 من الايمان وسلامة العقيدة . ، لأن منطلق الاسلام
 ليقيم على الأخلاق الاسلامية ، سائر نظم التي يكمل
 من كيانه المادي .

وإذا كانت السلطة بأجهزتها تسعى لخير الجميع
 يسعى لخير الجميع ، ومن ثم كان لأفراد المجتمع
 وصفى : حق في الطعن على ما يخل بالاندفاع وا
 لها كيان خاص في مقابل هيئة الادارة في كيانها .
 (٣١)

وفي محاولة لتطبيق النظم الاسلامية أو ما يقترب ما
 أن بدأت أوروبا وغيرها تشعر بضرورة الايمان وبأن
 الجماعة الى الامام . (٣٢)

ولقد عمدوا الى توسيع حقوق الافراد في الطعن
 بعضهم بالدعوى الشعبية يريدون الوصول الى ما يسم
 الاسلامية .

وهيئات لأن منطى المجتمع الاسلامي هو العقيد
 وعمل - والحقوق في المجتمع الاسلامي ليست تمتعا

(٣١) مجلة البحوث السابقة ص ٢٧٠

(٣٢) مجلة البحوث بتصرف ص ٢٧١

لمعين
المصالح
لى الله
يس
ن هوأعلى
ع
الى
جهاز
حتى
بالعمولة
جهاز
رون
ديدا
الله

والمسلم يمارس تلك الحقوق داخل المجتمع الاسلامى
الواحدة ، وأنه مسئول أمام الله عن التفريط فى أى
الشرعية .
وقد يصل الأمر الى أخذ الحق أو الدفاع عنه باليد
عليه وسلم بين وواضح : من رأى منكم منكراً فليغيره به
لكن ممارسة دعوى الحسبة على الاجهزة الادارية
الموظف المقترف للمخالفة . . فان تهاون أو مالاأكام
منه . . وهكذا .
وان المسلمين فى هذا الزمان لفى حاجة ماسة الى
الاسلامى ، بمزيد من الرقابة على أجهزة الدولة ، بحد
الحد من المخالفات . حتى يسعد المجتمع الاسلامى
لامعول شروتعطيل ، خاصة بعد أن ضعف الوازع ا
غرقت الاجهزة الادارية فى التفريط. والتهاون ، وال
والسوسة، ^{وبعض} المناقصات والمزايدات ، وغير ذلك من نظم
هذا : ولتعلم معظم الاجهزة الادارية المعاصر
الرقابة ، وجهاز الشرطة ، وجهاز القضاء والتعليم
بالمعروف، ناهون عن المنكر، حافظون لحدود الله .
وفق الله هذه الاجهزة الى الأخذ بنظام الحسبة فى
للمحافظة على شرع الله .

الصبر على الاحتساب :

وجبت الحسبة على المسلمين دون النظر الى حكم
وعلى المحتسب أن يؤدى فريضة الحسبة على الوجه
فطرتهم واختلت مقاييس حكمهم على الاشياء . فقد
فيما لا يعنيه ، وأنه يعتدى على عرية الناس الشخصية
والمقاييس الفاسدة . . .

ومعروف أن قول الحق يقلل الاصحاب ويقدر من
الصدور ، ولقد أصاب الامام النووى فى قوله " اذا
عند اخوانه فاعلم أنه مداهن " وقال أيضا : اذا
أنه مخلط لأنه أن نطق بالحق أبغضوه (٣٣)

وقد نقل ابن النجار قول كعب الاحبار لابي مس
قال حسنة ، قال كعب إن التوراة لتقول غير ذلك
الرجل اذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، ساءت
التوراة وكذب أبو مسلم .

وقد خرج الترمذى من حديث عيسى رضى الله عن
رحم الله عمر ، يقول الحق وان كان مرا ، تركه الله
وهذا داخل فى نطاق الصبر على ما يصيب المح
لقمان لابنه ما ينس على هذا فى قول الله تعالى " و
على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور (٣٥)

المهم : ألا يترك المحتسب واجبه اذا علم أنه
والاحتمال .

(٣٣) شرح مسلم ج ٨ ص ١٧٩

(٣٤) تنبيه الغافلين ص ٦٩

(٣٥) صورة لقمان : ١٧

س . انما
ان أخرس .
ى فى
ن حنبسل
بأس به ،
نفسه

وقد يفسر البعض احتمال الأذى والصبر عليه على
الدليل من تنتهك أمامه شريعة الله ولا يستطيع الرد
أما من صدع بالحق وتحمل الأذى فى سبيل الله فى
سبيل مغمم دنوى ، ومصالحة شخصية فهذا هو الذى
رضى الله عنه : عن الرجل يأمر بالمعروف بيده فقال
فقهله : اليس قد جاء عن النبى صلى الله عليه وس
بأن يعرضها من البلاء مالا طاقة له به ؟ قال ليس .

XXXXXXXXXXXX

ن ناصر
٢٨٢٥

(٣٦) أنظر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأ
دار الاعتصام . وأنظر سلسلة الاحاد
الالبانى مجلد ٢ ص ١٧٢ الى ص ٢٤
طبعة ثانية .

حسبة الراعى على الرعية :

ان حسبة الأفراد بعضهم على بعض داخل المجر
بالفئة ، تحفظ شرع الله وتضمن للمسلمين الرقى والت
لمعصر المنكرات ، سواء من ناحية المنكر نفسه وبعده
مرتكب المنكر وماله من منعة وقوة .

وقد يرم الأفراد على الاحتساب فى هذه الحالات
يتسبب فى حدوث الفتن وتمزيق العلائق ، أو يحدث
وعنا يأتى دور احتساب الراعى على الرعية .

ولئن كانت حسبة الأفراد فرض كفاية فى رأى الجمهور
الاسلامى فرض عين .

وهذا مانس عليه شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله
المنكر لا يتم الا بالعقوبات الشرعية فان الله يزع بالسا
والحسبة فرض عين على القادر ، وذوو السلطان أ
ماليس على غيرهم ، فان مناط الوجوب هو القدرة ،
قال تعالى " فاتقوا الله ما استطعتم " (٣٧)

وفى حسبة السلطان اعزاز لشرع الله ، وردع لأعداء
ودرع لأحياب الله المتعاونين على البر والتقوى .

وبحسبة السلطان يرد المقتصب ، ويأمن الخائف
ولحسبة الحكام فضل الضبط واحكام القبضة على العا
والمزاولين للمنكر .

وأمثلة احتساب الحاكم المسلم على الرعية فى د
واضحة المعالم تزخر بها كتب التاريخ الاسلامى والن

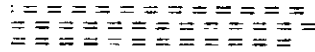
- لكن سأختار انموذجا يحتذى، وقدوة لمن أراد ان
 "عمر بن عبد العزيز" رضى الله عنه وأرغماه، ولم يكن ا
 عنه حتى لا يقال هذا عصر الصحابة، وكيف نطبق ما
 أما ذكر طرف من احتساب عمر بن عبد العزيز ونتنا
 للأسباب الآتية :-
- ١- انه جاء في أيام اختلفت فيها الموازين واخ
 وكثيرون من علية القوم، لا يهتمهم من أمر
 والسطوة، دون الاهتمام بعقيدة الناس وسل
 ٢- أن مدته التي مكثها في حكم المسلمين عام
 في هذه الفترة الوجيزة الاصلاح لفتت الان
 الاصلاح .
- ٣- أن عمر بن عبد العزيز أعاد في تلك الفتر
 على نفسه وعلى من حوله : من ذوى الجاه
 حرص الناس على العقيدة والاخلاق .
- جاء في شرح ثلاثيات مسند الامام احمد : " له
 بالصلاة في أوقاتها، وملأ الأرض عدلا، ورد المظالم وأح
 وقد كتب رضى الله عنه الى سالم بن عبد الله بر
 بسيرة عمر بن الخطاب بالصدقات . وكتب اليه سال
 في زمانه ورجاله، في مثل زمانك ورجالك، اكتب عند النا
 وفي كتاب رجال الدعوة والفكر في الاسلام يقول
 عمر بن عبد العزيز وأثرها في اصلاح الرعية وصلاحهم
 لقد جاء عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه على ر

الأموال وحراسة النفوس لاغير ، لاشأن لها بنزعاتهم و
 الاخروية ، ورفيقهم الروحى والخلقى ، ولكن عمر بن عبد
 الناحية التى هى من مقاصد البعثة . . وواجبات الـ
 من مدة طويلة بين طائفتين ، فاستقلت الخلافة بالا
 العلماء بالحسبة ، مع ان الخلافة بطبيعتها تجمع بين
 الراشدة .
 فلما جاء عمر بن عبد العزيز حارب هذه " الثنوية " .
 الادارة والارشاد ، والسياسة والدعوة .
 ووجه رضى الله عنه الرسائل الى عماله فى المدن
 بلزوم الاحتساب ، وبتذكيرهم بالمواقب الوخيمة فى الد
 الغريبة .
 كما حثهم على دعوة أهل الذمة الى الاسلام ، وار
 صلى الله عليه وسلم .
 وكتب الى بعض عماله " انه قد بلغنى أنه قد ك
 مدائنكم ، وجاهروا من المحارم بأمر لا يحب الله من
 هذا . . وحسبة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
 يكتبه بمجهود يميز من تتبع تاريخ عمر بن العزيز فى ما
 وهكذا انزى ما لحسبة الراعى من أثر الرعية ، وا
 والنهى عن المنكر ، فان صلاح المعاش والعباد فى
 بالمعروف والنهى عن المنكر .
 وان انفرد السلطان عن الدين ، أو الدين عن السا
 اصلاح مرهون بالنية الصادقة والعمل الصالح . (٤١)

(٣٩) رجال الفكر والدعوة (بتصرف) صفحة ١
 (٤٠) انظر : مناقب عمر بن عبد العزيز للإمام اب
 لابن عبد الحكم وابن عبد الحكم هو : عبدا
 ويكنى بابى القاسم ، مؤرخ من أهل الحد
 ٢٥٧ عن (الاعلام) خير الدين الزركو

هذا : والحسبة التنفيذية احدى صور حسبة الراعي
وعلى أولى الأمر فى المجتمع الاسلامى ، أن يتخذ
لإقامة شرع الله ، ومن الطرق والاساليب ، ما يضمن ال
يهدر منهم - فى حرص واخلاص - ما يؤكّد قياسهم بما
القوة والسيطرة " الذين انمكاهم فى الأرض ، أقامو
بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور (٤٢)

ة
بيت
لهم
روا



الفصل الثاني :

بـ

—

• تهيئة

اتجاهها-

• كناية أول بدمر

• واجب الحاكم فيه

• ضرورة إلهت؟

• آداب حُبة عا

بدمر

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الفصل الثامن

الاحتساب على أولي الأمر

تمهيد :

أولو الأمر هم أصحاب الكلمة والنفوذ ، وذو والتأثير
الرياسات الدينية والادارية والتنفيذية وأهل الحل و
قال شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسير آية النساء
الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم : (وأولو الأمر
الذين يأمرهم الناس ، وذلك يشترك فيه : أهل ال
فلهذا كان أولو الأمر صنفين : العلماء والأمراء ، فا
فسد الناس ، كما قال أبو بكر رضى الله عنه للأحمر
هذا الأمر ؟ يعنى من الصواب والخير) قال رضى
ويدخل فيهم ، العلوك والمشايخ ، وأهل الديوان
الأمر (٤٣)

وهكذا ، كل من ولى أمرا من أمور المسلمين صف
ولايته . كرئيس الدولة ، ورئيس الديوان ، ومدبر المؤء ،
ونظرا لأهمية أولي الأمر في تصريف شئون الدين
أو صلاحهم بصلاحهم ، شغل الباحثون من علماء ال
الشرعية منهم/شغلوا بأولى الأمر والاحتساب عليهم
العلاقة بين الراعى والرعية .

كولامية	ورغم شمول كلمة أولى الأمر لكثيرين فسي ولايات عامة
الصبغة	السيد والزوج . . . الا أن اصطلاح أولى الأمر اذا
ل الس	التنفيذية العامة .
ل	والحسبة تتدرج على أولى الأمر برفع الأمر الى من
ل	الحكام .
ل	وهنا نصل الى أدنى أنواع الحسبة وأرقاها شأنها و
ل	المرتبة الأولى في سرورة الحسبة داخل المجتمع الاسلام
ل	مباشرا بتحقيق شرع الله وأمن المجتمع وحضارته .
ل	ومما لا شك فيه ان الحاكم اذا استقام على أمر الله
لرخاء	وأهله ، وساد العدل وانصرف المجتمع الاسلامي ،
ل	والتقدم وايجاد مجتمع على هذا المنوال هو هدف ال
ل	مثلا حيا لقوة الاسلام وعزه .
سلطان	ولقد تعددت منطلقات العلماء وآراؤهم في موضوع
ل	وأهمهم حاكم المسلمين وصاحب الولاية العامة فيهم ،
ل	ثلاثة :
للفتنة	١- اتجاه يرى الرفق في الحسبة على الحاكم اا
ل	وحدوث المفسدة التي هي أكبر من المصلحة
ل	الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة ، في عهد
ل	سعد بن ابي وقاص ، واسامة بن زيد ، وعبد
ل	مذهب الامام احمد بن حنبل ، وقد أورد
ل	حزم ، وشرح النووي لصحيح مسلم ، و
ل	في الاحياء . (٤٤)

- ٢- وهناك اتجاه يرى أنه يجب مقاومة الطغاة .
هناك طريقة أخرى غير ذلك .
- وقد أخذ هذا الرأي عن علي ، وعائشة ،
وغيرهم رضی الله عنهم ، وقد ورد هذا الا
الكتب السابقة ، وكما نراه لدى الامامين "
ولعل كلا الاتجاهين جاء متأثرا بأحوال .
في الأقوال .
- ٣- لذلك برز اتجاه ثالث ، نظرفى أقوال اله
فونع الشروط والآداب والكيفية للحسبة علم
أبو حامد الغزالي " والنووي " وابن تيم
الائمة العلماء .
- ونظرا لأهمية هذا الأمر ، واختلاف الافهام فيه ا
أن نخط منهاجاً للبحث فى الحسبة على الحكام وذوى ا
والى أين تنتهى ، حتى لاتساق الأدلة فى غير مواض
بعضها بعضا .
- وترتيب نقاط هذا المبحث بما يتسع له المقام ستكون :
- ١- مكانة الحاكم فى الاسلام -٢
 - ٢- ضرورة الاحتساب عليه -٤
 - ٥- من له الاحتساب عليه -٦

مكانة أولى

وعدة هذه المكانة قول الله تعالى : يا أيها الذ
الرسول وأولى الأمر منكم ^(٤٦) فطاعة أولى الأمر فريضة لأ
واضحاً جلياً عندما أمر القرآن بطاعتهم بعد طاعة الله
والمحكام فى الاسلام مكانة الانبياء فى بنى اسراء
منزلة تلك التى وضع الاسلام فيها الحكام للمجتمع الاله
والطاعة .

فقد جاء فى صحيح مسلم ، عن أبى حازم قال
فسمعتة يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
كما ملك نبى خلفه نبى . . وانه لانبى بعدى ، وسأ
قال : فوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم ^(٤٥)

وحق الحكام السمع والطاعة فى كل حال - قال ال
فيما يشق وتكرهه النفوس ما ليس بمعصية ، فان كانت
وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة قال : قال رسول
السمع والطاعة فى عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهاك وأ
ومعنى الاثرة : استئثار السلطان باختصاصات
: أى اسمعوا واطيعوا . وان اختس الامراء بالدنيا
وهذه الاحاديث فى البحث على السمع والطاعة فى .
المسلمين فان الخلاف سبب لفساد أحوالهم فى دين
ومن هنا كان الخروج على الامام أمراً فى غاية البذ
الى الله كي ينير قلبه ويرشده الى طريق الصلاح .

(٤٥) صحيح مسلم ج ١٢ ص ٢٢١

(٤٦) صحيح مسلم ج ١٢ ص ٢٢٤

(٤٧) المرجع السابق ص ٢٢٥

(٤٨) سورة النساء : ٥٩

الوا	يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : انها ستكون
مألون	يارسول الله : كيف تأمر من أدرك منا ذلك ؟ قال .
	الله الذي لكم (٤٨)
ووجد	يقول الامام النووى : هذا من معجزات النبوة ،
	مخيرة متكررا (٤٩) .
ون	وسهما يكن من أمر السلطان فلا بد منه ، ودوام اله
بد	فلكن رأينا فى حاكم مانكره ، فقد نرى فى الآخر مانه
ولو	منها فى المنشط والمكره ، ووجود الأثرة على الرعية
	كان أقل من غيره فى الفضل .
ول	أى أن مكانة الحاكم فى الاسلام لا يقدر فيها نس
شرع	صلى الله عليه وسلم بالسمع والطاعة ، ولو لولى علينا
ان	الله ، وقد روى الإمام مسلم عن عبادة بن الصامت
	خديلى أوعانى أن أسمع وأطيع ، وان كان عبدا مجد
ة	كما لا يقدر فيه أنه أقل علما من غيره " فجمهور
ى	المفضول وصحة بيعته . . لأن زيادة الفضل مبالغة فو
	شروط الاستحقاق (٥١) "
سدة	اذن لا بد من الإمارة لجمع شمل المسلمين ، ول
عمر	على الحاكم ، والصلاح فى الدين من الصفات الناد
له	ابن الخطاب رضى الله عنه يقول كما ورد فى السياسة
لغزو	الفاجر ، وعجز الثقة " وقد سئل الامام أحمد : عن

(٤٨) المرجع السابق ص ٢٣٢

(٤٩) المرجع السابق ص ٢٣٢

(٥٠) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٦٧ طبعة ادا

(٥١) العواصم من القواصم تحقيق محب الدين

العربى وأنظر الأحكام السلطانية ص ٥ :

ص ١٦٥ طبعة مصر سنة ١٣٢٠ هـ

وأحد هما قوى فاجر، والآخر صالح ضعيف ، مع أيهما ،
 وقوته للمسلمين ، وفجوره على نفسه ، وأما الصالح الـ
 على المسلمين ، فيفترق مع القوى الفاجر ، وقد قال
 هذا الدين بالرجل الفاجر^(٥٢) .

ولهذا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه "
 فقل يا أمير المؤمنين : هذه البيرة قد عرفناها . فـ
 بها الحدود ، وتأمين بها السبل ، ويجاهد بها ا
 فالصبر الصبر على ما نكره من سلاطين المسلمين
 مع حفظ وحدة المسلمين خير من الخروج والتفرق وض
 وقد روى الامام البخارى عن أبي رجاء العطاردي
 الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من ر
 عليه ، فانه من فارق الجماعة شبرا فمات الامات ميتا
 وهذا ما بايع الرسول صلى الاله عليه وسلم عليه
 يضع الاسر لتكوين المجتمع الاسلامي (قبل أن يبيد
 أبي أمية يحدث عن أحد النقياء المشهورين في بي
 عبادة بن الصامت وهو مريض فقلنا أصلحك الله حدث
 من النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : دعانا النبي
 وسكرهنا ، وعسرنا ويسرنا " وأثرة علينا " والاننازع ا
 عندكم من الله فيه برهان^(٥٥)

(٥٢) صحيح البخارى ج٤ ص ٣٤ . طبعة استانبول

ص ٢١ طبعة دار الكتاب العربي .

(٥٣) المرجع السابق ص ٧١

(٥٤) صحيح البخارى طبعة استانبول ص ٨٧

(٥٥) صحيح البخارى طبعة استانبول ص ٨٨

(٥٦) سطر سداسي : « فمأضنا ، فقال فما أفند »

—

هذه هي مكانة السلطان في الاسلام ، وهذا ما
الاسلامي من الاحترام والتبجيل .
والسمع والطاعة في المنشط والمكروه ، والصبر
ولكن يقابل ما للحاكم من حقوق . . ما عليه من وا

x+x+x+x+x

واجب الحاكم فيما استرعاه الله فيـ

ــ

حاكم المسلمين هو خليفة رسول الله صلى الله عليه
على أساس أن يقيم شرع الله فيهم ، وطاعته على هذا إلا
أو فضل نفسه علينا ، حفظا للمجتمع الاسلامى من الغة
فواجبه الأول - وحالته هذه - حفظ الدين والد
سيرة الخليفتين ابي بكر وعمر رضى الله عنهما وكل خلا
للحاكم المسلم الذى عمل على حفظ الدين والدنيا معا
وأولى الأمر من المسلمين " الذين ان مكأهم فى الأرض
بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور " (٥٦) .
فالمقصود بالولايات كما جاء فى السياسة الشراء
فاتهم خسروا خسرانا مبينا ، ولم ينفعهم مانعوا به فر
الا به من أمر دنياهم ، ولذلك كان عربى الخطاب
بعثت عما لى اليكم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم وبقية
الدين كله لله وان تكون كلمة الله هى العليا " (٥٧)
ومن هنا كانت الحسبة فرض عين من السلطان علم
وولى الأمر انما نصب ليأمر بالمعروف وينهى عن المن
ويقول فى تكييفه لفرضية الحسبة " وهى فرض
والقدرة هى السلطان والولاية ، فذوو السلطان أقدر
على تغييرهم فان مناط الوجوب هو القدرة . " (٥٩)

(٥٦) سورة الحج : ٤١

(٥٧) السياسة الشرعية ص ٣١ ط دار الكتاب ا

(٥٨) السياسة الشرعية ص ٨١

(٥٩) المرجع السابق ص ٤٤

فالقـتل سياسة ، وقتل ناشـر البدع ، والسـحر والـ
ولكن هذا مما لا يكف به المحتسب من عامة المسلمين
وفى هذا يقول شيخ الاسلام : " الأمر بالمعروف والنهي
الشرعية فان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن (٦٠)
ولمكانته وعظم واجباته حث الاسلام على أن يكون
الملك كما يقولون ، وهو الذى يريح النفوس ويوحد الة
لقد حث الاسلام الحكام على العدالة ، وحببهم
بين صاحب جاه وقربى ، أو أقل الناس وابعدهم ،
يقول الله تعالى " ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعد
الله لنبية داود " ياد اود انا جعلناك خليفة فى الأر
الهبوى فيضلك عن سبيل الله)) ان الله يأمركم أن تؤد
بين الناس أن تحكموا بالعدل " (٦٢)
وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لا تدع مج
قد أغلى قلبه ، وجعل على بصره غشاوة فغلبه الهوى
ومن الأحاديث الكثيرة قول رسول الله صلى الله
على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكنتا يد
وأهلبيهم وما ولوا " (٦٤)
والشيخ المعزبى عبد السلام يرى أن العادل
أحرار من جميع الانام باجماع أهل الاسلام لانهم يقومو
فاسد شامل (٦٥)

(٦٠) الحسينية فى الاسلام ص ٦١
(٦٢) ص - ٢٦ -
(٦٤) شرح النورى ص ٢١١ ج ١٢٥

الله

(٦٦)
جنة

ياأمير

مدري

حد

سال

مدل

يه

هم

ة

، وإن

العدو

ومن العدل في الرعية النصح لهم فيما يصلح أمر د
 صلى عليه وسلم : ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطه
 فالامام مثل يحتذى وبه يقتدى ، قال رجل لعمر
 المؤمنين - لو وسعت على نفسك في النفقة من مال ال
 مامثلى ومثل هؤلاء ؟ كمثل قوم كانوا في سفر ، فجمه
 ينفقه عليهم ، فهل يحل لهذا الرجل أن يستأثر عنهم
 وينبى أن يعرف أن أولى الأمر كالسوق ، ما ند
 الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه . و
 والامانة ، جلب اليه ذلك ، وان نغق فيه الكذب والغ
 ذلك . (٦٨)

والمفروض على الحاكم المسلم أن يكون درعا واقية ا
 وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليا
 يقاتل من ورائه ويتقى به ، فان أمر بتقوى الله عزوجل
 يأمر بفسيره كان عليه منه ، ويفسر الامام النووى كلمة ج
 من أذى المسلمين ويمنع الناس بعضهم من بعض (٦٩)

-
- (٦٦) صحيح البخارى ج ٨ ص ١٠٧ طبعة استاذ
 (٦٧) أى راج وكثير الاقبال عليه
 (٦٨) السياسة الشرعية ص ٣٦ ، ٣٧
 (٦٩) صحيح مسلم مع شرح النووى ج ١٢ ص ١٠

ضرورة الاحتساب

على حاكم المجتمع الاسلامي

واجب الحاكم كما تقدم هو اقامة شرح الله داخل
والاخوة في الله ، والمحافظة على ذلك باقامة الحدود
البيانة الصالحة .

ونظرا لخطورة مكانة الحاكم وعظم مكانه ، وما يه
سلوكه وطريقة حكمه من نتائج - وجبت طاعته كما وجب
لكن ما حدود هذه الطاع
يرى كثيرون من العلماء أن الطاعة واجبة ولو حد
وأفلسنا ، وسندهم في ذلك أحاديث كثيرة منها حد
والطاعة ، " وقد تقدم " . ومنها ما رواه الامام مسلم عن ع
قال : سألت سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله صلى
أرأيت ان قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ، ويمنعوننا
سأله : فأعرض عنه ثم سأله في الثالثة فاجذبه الأش
وأطيعوا ، فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم " (٧٠)

وأحاديث السمع والطاعة مع المكره والاشرة في ال
بتحريم حمل السلاح في وجه الحاكم كثيرة ومتفق عليها (١)
النظر الى غيرها حتى ظنوها الطاعة المطلقة بدون
مهما كانت الظروف ، واعتصموا بقول رسول الله صلى
خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ، وموا
وقد تصور هؤلاء - بمعزل عن بقية النصوص - أ
الاحوال بدون قيد أو شرط فأنكروا حمل السلاح م
والسهي عن المنكر من قبيل الفتن .

(٧٠) صحيح مسلم ج ٣ رقم ١٨٤٦ ص ١٤٧٤

(٧١) أنظر البخاري ومسلم كتاب الاسارة ونيل ال

(٧٢) صحيح البخاري ج ١ ص ١٠ من طبعة اس

من	وقد تعرفت على حجم هذا الاتجاه من أقوال العا
لا	هو ^٤ : الامام ابو بكر الجصاص حيث قال : " لم يدفع
كروا	سلفهم وخلفهم وجوب ذلك ، الا قوم من حشو وجهال
حروف	قتال الفئة الباغية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
	والنهي عن المنكر ، فتنة اذا احتيج فيه الى حمل السلاح ^(٣)
سى	وكلام الامام أبي بكر الجصاص قد يرجح فيه جانب
هناك	لكن الامام ابن حزم يصرح بأقوال لا يقرها في باب ال
ناتلهم	من لا يبيح قتال الحاكم بحال من الأحوال ، ويحتج
من الله	يارسول الله؟ قال : لا . ماصلوا ، وفي بعضها : الا أ
(٧٤)	برهان . . . وفي بعضها : وجوب الصبر وان ضرب ظه
خره . . .	ورغم ورود هذه الاحاديث وصحتها الا أنها ليست ح
فى	نظره لم يفهموها الفهم اللائق بها لذلك يقول ابن
فيه	لما قد تقصيناها غاية التقصى ، خيرا خيرا بأسانيدها
له	من الصبر على أخذ المال وضرب الظهر ، ان كان ذلك
الضرب	ظلمًا ، فمعاذنا الله أن يأمر رسول الله صلى الله عليه
ل الله	تعالى : " وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا عل
لا أن	كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالف كلام ربه
أخذ	ظلمًا ، وظهره للضرب ظلمًا وهو يقدر على الامتناع من
لظالمه	على الظلم والعدوان ، وهو حرام بنسب القرآن ^(٧٨)
هى	ثم يستدل ابن حزم على وجوب الحسبة على ا
الأمر	أدلة كثيرة . . . توجب العصيان اذا أمر الحاكم بـ
يدعون	

(٧٣) احكام القرآن ج ٢ ص ٤٠ فى تفسير آية

الى الخير . .

(٧٤) الفيصل : ج ١ ص ١٣

(٧٨) المرجع السابق ص ١٣

في غير معصية . ومن ذلك ما رواه الامام مسلم عن عبد
 النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " على المرء المسلم
 الا أن يؤمر بمعصية فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)
 أبو بكر الصديق أول خليفة يلي أمر المسلمين عقب مبا
 " أما بعد . . . أيها الناس - فاني وليت عليكم ولست
 وان أسأت فقوموني . . . وأطيعوني ما أطيعت الله ورس
 لى (عليكم) " بل يأمر المسلمين بتقويهم والحسبة عليه ف
 " انى متبع ولست بمبتدع فان احسنت فأعينوني وان
 والحق أن الفقيهين الجليلين أبا بكر الجصاص
 جمهور العلماء ، ولكن ارتفعت نبرة الاحتساب عند
 السلاح في وجه الحاكم مهما كانت الظروف وفي جميع
 لأن الامام ابن حزم نفسه هو الذى يقول في نفسه
 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب اذا لم يكن
 كان أهل الحق في عصابة يعكهم الدفع ولا يأسون
 كانوا في عدد لا يرجون (لفلتهم وضعفهم) بطفره كانوا
 وهذا قول على بن ابي طالب وكل من معه من الصحا^(٢)
 يسير مع قول الله تعالى " فاتقوا الله ما استطعتم واس
 ومع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من
 لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف

(٧٦) صحيح مسلم - المجلد الثالث صفحة ١٤٦٩

كبيرة .

(٨٠) كنز العمال في سنن الاقوال والافعال للامام

الدين الهندي البرهان النورى المتوفى .

ص ٦٠١ وانظر البداية والنهاية لابن كثير ج٥

(٨١) كنز العمال (المرجع السابق) ص ٦٠٨ -

سد

هذا والنصوص أمامي في الصحيحين وغيرهما تكرر

نهر

متى تجب طاعة أولى الأمر ، ومتى يجب الاحتساب عليه

السلح .

ى منه

وسأختار منها شرح الامام النووى لحديث عبادة

سرتنا

" بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع

لله

ويسرنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله ، قال : الا

فيه برهان (٨٣) .

روايتهم

ومعنى الحديث : لا تنازعوا ولاية الأمور ولا يهتهم

لحق

منكرا محققا تعلمونه من قواعد الاسلام ، فاذا رأيت

لالمين

حيث ما كنتم ، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام باج

بالفسق

وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته واجمع أهل

واراقة

قال العلماء وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ،

سى

الدماء وفساد ذات البين فتكون المفسدة فى عزله أ

رع أو

عيان : أجمع العلماء أنه لا تنعقد الإمامة لكافر . .

صب

بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ، ووجب :

عن

امام عادل ان أمكنهم ذلك . . فان تحققوا العجزا

أرضه الى غيرها ويفر بدينه (٨٤) .

عسر

وفى شرح ثلاثيات مسند الامام أحمد يعلق الش

يقول

رضى الله عنه : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيما استطعت " .

بلد

(٨٣) رواه مسلم وقد سبق الحديث فى مواطن

السادس ج ١٢٣ بشن النووى الطبعة الثانية

ها . .

(٨٤) المرجع السابق ص ٢٢٩ وانظر المجلد الأو

رضى

وما جاء في الشرح : " لاطاعة لمخلوق في معصية

هـ

الله عنه مرفوعا : لاطاعة في معصية الله ، انما الط

جوب

ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولولاة الأمور قال القاضو

نمة

طاعة الامام في غير معصية ، وتحريمها في المعصية ،

هم عند

الجور والقيام عليهم عند ظهور جورهم ، والذي عليه ا

سا

ظهور جورهم ، ولاخلعهم الا بكفرهم بعد ايمانهم ،

مهم

مادون ذلك من الجور فلا يجوز الخروج عليهم اذا ا

لأن في ترك الخروج عليهم تحصين الفروج والاحوال

وبعد . . .

فزبدة القول في الجمع بين النصوص بايجاز على

طاعة

١- طاعة الحاكم المسلم واجبة في المنشط والمكروه وان

شرة

الجادة التي تكفل وحدة المسلمين "يمكن التنبية

ضرب

وغير مباشرة ، والمؤمن كيس فطن ، والذي لا يع

بالقلب والدعاء للحاكم بالصلاح .

يععون

٢- ان فسق الحاكم وتمادي في الجور أو ساء سل

حافضة

التخويف والتحذير بالحسبة عليه ، وقول الحق من

تسه

على وقار الحاكم وهيبته ، واعطائه حقه في الاح

نين

أو يتناول عليه من يريد النيل منه باسم الاحت

ناصح

به رفق آداب الحسبة على الحاكم ويملكون الا

سقى

بالطريقة التي يرجى معها القبول ، وياويلهم ان

لطبعة

(٨٥) . شن ثلاثيات مسند الامام احمد ج ١ ص ٩٠

. الثالثة .

- والكذب مليئة بحسبة العلماء، ومواقفهم المشرفة الـ
 ٣- فان طرأ على الحاكم الكفر الظاهر ، كان أنكره
 أو حرم حلالاً أو أحل حراماً أو انضم الى طمة أو
 الله رب العالمين . . . أو ابتدع في الاسلام شيء
 فيه دليل، وجب عصيانه والخروج عليه وقتاله لكن
 الأول : أن يكون أهل الحق في قوة يظن .
 الثاني : أن يكون معهم امام عادل فيه أمانة
 الثالث : أن يبرز أهل الحق لقتال من كفر .
 . . . الى آخره .
- ٤- اذا لم يتحقق شرط القدرة على دفع الحاكم أو
 باليد .
- وبناء على ما استنتج من رأى أهل السنة والجماعة
 شهر السلاح في وجه الحاكم فيما دون الكفر البصوي
 كما لا يجوز شهر السلاح مع وجود الكفر الصراحي
 تضمن لهم الغلبة فيما يغلب على ظنهم .
- فان خرج هؤلاء بدون تحقيق شرط الخروج ، كانوا .
 الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا" (٨٧) وهم الذ
 بقوله : " قسم يأمرن وينهون ويقاتلون طلباً لازالة الـ
 ذل، أعظم فتنة" (٨٨)
- الأإن مناصحة أولى الأمر واجبة والحسبة على
 تليق بمقام السلطنة، وهيبة الحكم، عن طريقها يصل
 كبر فطن " وصدق الله العظيم : "فقولا له قولاً لنا
 (٨٦) أنظر : الاسلام بين العلماء والحكام للاستاذ
 سنة ١٤٠٠ - المكتبة العلمية - المدينة الـ
 (٨٧) سورة الكهف . :
 (٨٨) الحسبة في الاسلام : ص ١٠١
 (٨٩) سورة طه : ٤٤ - والآية موجهة الى موسى و

آداب الحسبة على أولى

سام	الحسبة على أولى الأمر من ألزم الضرورات في المجر
رات ،	يحمى أخطاء الآخرين ويبررها لهم ، فمنكر الحاكم مثلا
تفساد	واهداره لمحرمات الله ، يطمع أعداء الله في المسلمين .
ذلك	ورتبة الحسبة تتبع في الفضل والثواب رتبة جلب المنة
	من كلام الأصوليين ، فأفضل الحسبة ما كانت على ح
	أكبر المفساد وأشد ما خطرا ، وهي الإخلال بشرع
	وقد جاء في الحديث : " أفضل الجهاد كلمة حرة
سم	ان واجبا الاحتساب على أولى الأمر يقع بصفة رؤي
لدليل	من يعرفون فقه الاحتساب وآدابه على أساس من الحكمة
	الساطع .
ثمة	وأول آداب الاحتساب وقواعده " الاخلاص " أي ا
فلسي	المسلمين من غير نظر الا الى ثواب الله . ومن أراد
	النية له تعالى .
أن يكون	والثاني : أن يستمر العلماء في بيان ما تأمر به ا
يربط	عليه الراعي والرعية . . مركزين على ما يخشى منه من
باب	الثالث : اذا حدث المنكر بالفعل وارتكب الحاكم
، أراد	أو البدع ، فلا بد أن يختار العلماء من بينهم من يند
ل منه	بالطريقة التي تحفظ عليهم ولهم جلال الحكم وهيبة ا
	أن ينصح السلطان بأمر فلا يند له علانية ، ولكن ليأخذ
	فذلك ، <u>والا فقد أدى الذي عليه " (٩١)</u>

(٩٠) مسند الامام احمد ج ٣ ص ٦١

(٩١) مسند الامام احمد ج ٣ ص ٤٠ طبعة مصر ١٣

الكلام	وهذا هو ما عناه ابن النحاس بقوله : " ويختار الكلام
، ويكو	معناه على رؤس الاشهاد ، بل يود لو كلفه سرا ، ونص
ات	أن يقال عنه أو يحكى ما اتفق له وأن يشتهر بذلك بغير
	تدل على سوء القصد والنية . (٩٢)
مر	وللامام الغزالي في هذا المجال تصور مفيدة منه
، في	بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن أوله التعريف، وثا:
شز	القول ، ورابعه المنع بالقهر ، في الحمل على الحر
منع	في جملة ذلك مع السلاطين ((الرتبان الأوليان))
ر،	بالقهر ، فليس ذلك لآحاد الرعية على السلطان فان
	ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر (٩٣)
طورا	وفي ختام هذه العجالة عن آداب الحسبة على أوا
يه	تحت عنوان انكار المنكر وشروطه ، يقول الامام ابن الق
سوله	وسلم شرع لامة ايجاب انكار المنكر ، ليحصل بانكار
شم	فان كان انكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه ، وأبغض ل
ن كل	يضرب المثل بقوله : " وهذا كالانكار على الملوك والولا
	شر وفتنة الى آخر الدهر "
على	والامام ابن القيم يرى في هذا الصدد أن عدم ال
مل	أولى الأمر، يرجع اليه سبب كثير من المصائب التي حد
دم	ما جرى على الاسلام في الفتن الكبار والصفار رآها
	الصبر على منكر فطلب ازالته ، فتولد منه ما هو أكبر . (٩٤)
عامية	هذا : وسيفرد مبحث في آخر الرسالة ان شاء الله

(٩٢) تنبيه الغالطين ص ٦٤ ، ٦٥

(٩٣) احياء علوم الدين ج ٢ ص ٣٤٢ " المكتبة ال

(٩٤) اعلام الموقعين - المجلد الثالث ص ١٥ ،

الفكر بلنسان .

م

لكن نظرا لمكانة أولى الأمر وأهمية الاحتساب عليهم
سائلا الله أن تكون اشارة مفيدة .

وبعد . . .

نعمل

فان المنكرات تتنوع وتأخذ صورا كثيرة حيث يترد
المنهى عنه ، وبين البدع والكبائر والصفائر . . الى
وتكليف المنكر ، وحدود المحتسب ، وكيفية الاحت

الفصل

الثالث :

المنكر الموجب للاحتساب

==

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

الفصل الثالث

مباحث هذا الفصل :

- تمهيد .
- صور المنكر وأنواعه .
- التلبيح قبل لامها .
- ١ - التلبيح
- القول في التلبيح
- ٢ - ١
- ٢ - ٢
- مقارفة المنكر .
- القول في الفرقة بين
- ١ -
- ٢ -
- تفتيح .

فكر

لمر .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الفصل الثالث

المنكر الموحد بالله

تمهيد

وكيانه

، حتى

كا

قول

يفسح

س

اع، ثم

ست

مجال

مقاييس

ينطلق المحتسبون من العقيدة ، وهم يدعون لله
واستمرار خيرته . فالتوحيد ومقتضاه من القول واله
تخلد اليهودية الهما الاساس الذي يبنى عليه كل
تبعاً لأوامر الله ونواحيه .

والمجتمع الاسلامي بخير وأمان مانفذ قول الحق :
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا "

وفق الاحتساب يكمن في مقاومة المنكر في كل صورة
المجال في المجتمع الاسلامي للمعروف وآثاره البناءه
لأن المنكرات بطبيعتها تنحرف بالناس عن صراط
منعطفات وسرايب بعيدة عن منهج الله ، فيتعرض
الى خطر الهناء اذا تغشت فيه جرثومة المنكر، ولم تجد
فاذا تغلب المنكر ورجحت كفته ، ولم يجد من يقاوم
الاعراض ، وضاعت الحقوق ، وتوقفت الحياة الفاضلة
لأهل المنكر ، وأعوان الشيطان .

لذلك عنى الاسلام بهذا الجانب عناية قوية كاملة
معرفة ومراتب ازالته والتحذير منه، والعناية بسد ط

وبالـ
 ميسن
 سره
 عليه
 نسيح
 وتكليفه

ذلكم لأن الدمار الناجع عن المنكر لا يصيب فاعل الـ
 ويتطابره على المجتمع الاسلامى بأسره . وصدق الـ
 الذين ظلموا منكم خاصة "

فالذنب ذنبان : ذنب يصدر عن مرتكب المنكر ، و
 وهو قادر عليه لأنه بذلك اشترك فى الاساءة الى المجنـ
 ومن هنا كان المحتسب فى حالة دفاع شرعى عن ا
 بفعل المنكر عليه أن يتصدى لدفع المنكر .

وقد وفقنى الله الى وضع فرق حاسم بين انكار المنكر
 مراتب كل من الانكار والتغيير . وفى الصفحات التالية
 ثم كيفية الاحتساب عليه .

=====

صور المنكر وأنواعه

المنكر صورتهان :

الصورة الأولى : ترك ما أمر الله به ، وجانب الترك به
والصورة الثانية : فعل ما نهى الله عنه، وجانب الفعل

سلا

وفي ترك الأمور به تجاوز وتقصير، ينجلي في قول الله

(٩٥)
تعتدوها

الله

وفي فعل النهى عنه تجاوز وتجروء، ينجلي في قول

(١٦٦)
فلا تقربوها

قال .

والمأمورية والمنهى عنه بيد أن من قول الله تعالى

بق

ثم يعممان كل أمر ونهى بعد ذلك ، تبعاً لمراتبه

بحته .

قال

وقد اخترت رأى الأصوليين الذين يقولون بأن "التر

ولهذا قالوا في حده الأمر : " اقتضاء فعل غير كـ" .
(٩٨)

لره،

ولا ين القيم رحمه الله في تقديم احتساب الترك على

سـ

فقد جاء في " الفوائد " : " ان ترك الامر عند الله، أعظم

حاجة

التدليل على ذلك، يقول - ان ذنب ارتكاب النهى .

مشقال

وذنب ترك الأمر : مصدره في الغالب الكبر والعزة

لشجرة

ذرة من كبر ، ويدخلها من مات على التوحيد ، وان

ينساء

فأكل منها فتاب الله عليه ، وأبليس أمر بالسجود فلم

على ذلك يمكن ترتيب المنكرات على النحو التالي :

فسى

١- ترك التوحيد ، أو ترك اخلاص العبودية لله بش

الصلاة ، أو يترك الاعتدال، بأن يتخضع أو يتباكى

(٩٥) سورة البقرة : ٢٢٩ (٩٦)

(٩٧) سورة النساء : ٣٦ (٩٨)

- ٢- ترك الغرض : وهو ما عرف وجوبه بدليل قطعى
- ٣- ترك الواجب : وهو ما عرف وجوبه بدليل ظنى .
وقد اختار القاضى ابوبكر الباقلانى: " أنه ما يذ
يفرق بين الغرض والواجب الا لدى الاحناف وأقو
والواجب ، مترادفان " واعلم انه لا فرق بين الغرض و
" الغرض " بما عرف وجوبه بدليل قطعى . . . (١٠١)
- ٤- ترك ما لا يتم الواجب الا به . لأنه يصبح واجبا ،
الامام ابن القيم : " ووسائل الطاعات والقربات فو
افضائها الى غايتها ، فوسيلة المقصود تابعة
مقصود قصد الغايات ، وهى مقصودة قصد الو
٥- ترك المندوب : وهو ما يكون فعله راجحا على تركه
٦- ترك المباح تحريما له ، أو تشديدا ومغالاة : وه
فى الأهرة (١٠٤) كالتزوج بثانية مثلا . ووجه الاحتم
أو قيده ، لأنه ليس من حق البشر أن يرفعوا درجة
فان حدث مثل هذا فالأمر جد خطير لأنه تدخل
حدث فى دولة اسلامية : حرمت تعدد الزوجات
قبح على رجل بتهمة أنه له زوجة ثانية ، وظل ره
الثانية كانت "خليلة" ولم تكن "خليلة" فحكم له بالبرا

(١٠٠) نقلا عن كتاب المحصول فى علم الأصول : لا
طبعة أولى من تحقيق الدكتور طه جالانفيا
وأبوبكر الباقلانى نسبة الى بيع الباقلان .
فقيه له مؤلفات كثيرة - كما فى طبقات الاصوا
السابق ص ١١٧)

- (١٠١) المرجع السابق ص ١١٦
(١٠٢) اعلام الموقعين ج ٣ ص ١٤٧
(١٠٣) المحصول فى علم الأصول الجزء الأول ص
عند الكثيرين كما فى ص ١٣٠
(١٠٤) المرجع السابق ص ١٢٨

- ٧- تراه الرخصة تشددا : كمن يسرع على ألا يفصر الصلاة
بذلك شرعا .
- ٨- فعل البدع في الدين والتمسك بالخرافات والكلام في
الى مؤلف مستقل . وما يمكن الاشارة اليه :
- هي أن المراد بالبدعة هنا : " احداث أمر في الدين يش
اعتقاد ما ليس بقربة قرينة لا مطلق الاحداث (١٠٥)
- وامن فأعمال العاملين كهم ينبغي أن تكون تح
الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها . (١٠٦) وقد أورد
- ينس على أن : البدعة بدعتان بدعة محرمة وبدعة
المحمود . (١٠٧) وتسميتها بدعة انما هو من قبيل اللغة
- هذا . والإحداث المردود والذي لا يقول به مس
من قريب أو من بعيد في الحال أو المال . أما ما ينه
والاجهزة النافعة لشئون الحياة اليومية .
- ٣٢١ وأختم هذه الاشارة الى المقبول والمردود من الي
عن الامام المحقق العزيب عبد السلام مانحه : " الي
بياحا كالتوسع في الماكل والمشرب والملابس . . فلا ي
لقواعد الشريعة : كبناء الروابط والخانات والمدارس
تعهد في العصر الأول . وكل ذلك حسن موافق لاد
للشرع ، أو ملتزما لمخالفة الشرع فهذا هو المردود
احتجز الله التوبة عنهم . (١٠٨)

(١٠٥) الأسر بالمعروف والنهي عن المنكر . للخلا

(١٠٦) جامع العلوم والحكم - الطبعة الثالثة ص ٢

(١٠٧) المرجع السابق ص ٢٣٤

(١٠٨) انظر مجموعة الحديث الجوزية تعليق السيد ميرزا .

وقد سئل الامام احمد عنه معنى اجتياز التوبة فـ

٩- فعل مايوءى الى الشرك بأى قسم من أقسامه .

١٠- فعل الكيائثر .

١١- فعل الصفائثر .

١٢- فعل المكروه .

١٣- الزيادة على ما فرضه الله .

١٤- مساواة السنة بالفرض فى التعظيم له ، أو الحد

١٥- المجاهرة بما أبيع من حرام لعذر ، كالافطام

١٦- سد الذرائع الموصلة لكل ما ذكر، وما لم يذكر؟

منهى عنه .

وسد الذرائع باب من أهم أبواب الاحتساب، له

من الوقوع فى المنكرات .

والامام ابن القيم رحمه الله يرى أن " باب سد الذرائع

والأمر نوعان ، أحدهما مقصود لنفسه ، والثانى وسد

أحدهما : ما يكون المنهى عنه مفسدة فى نفسه ، وإلا

فصار سد الذرائع المفضية الى الحرام أحد أرباع ال

وهذا الترتيب الذى ذكرته يتبنى عليه مسائل

تقديم الأهم فالأهم عند الحاجة الى ذلك ، فإذا

ثم رأيناه يكرر النظر الى النساء الاجنبيات ، كانت

غيره لدى المحتسب .

ومنها : أنه لا فرق فى المبادرة الى الاحتسا

مشتركان فى مسمى المنكر (أ) وفى ذلك يقول الشيخ

فى قواعد الاحكام: " طلب الشرع لتحصيل أعلى الطام

والحقيقة ، كما أن طلبه لدفع أعظم المعاصى، كطلبه

وطلب وانما التفاوت بين المطلوبات ، في جلب المعاص
ليس من باب الاحتساب ما يقوم به بعض المتصوفين من
بل إن طلبهم هذا يوجب الاحتساب عليهم ، لأنه طالما
وقد جاء في الفوائد : " طلب العاقل للدنيا خ
بدعو الناس الى الله من دنياهم ، فتسهل عليهم ا
الله بترك الدنيا فتشقى عليهم " (ف)
ويقول الامام أبو الفرج بن الجوزي في تلييس
انه يوجههم أن الزهد ترك المباحات ، فمنهم من لا يز
لا يذوق الفاكهة . . . وبعد سرد كثير من صور ترك المعاص
صلو الله عليه وسلم ولا طريقة أصحابه وأتباعهم (١)
ومن المسائل الهامة التي يجب التنبيه عليها :
اهمال بعض الصفائح بحجة أن هذه فروع ، وعلينا ألا
والصواب أن يقال : علينا أن نبدأ بالاصول ولا نهملها
بالاصول ، يفتح باب الذرائع ، ويخل بالالتزام ، وين
في حد ذاته كبيرة أو موصل اليها ، كما أن فيه تأني
لاتحقرن صفحـة صغيرة . . .
ومن القواعد الشرعية : أنه لا كبيرة مع الاستغفـر

الذهبي
ب الكافي
م يمكن
ن رجلا
ة مع
ول العز
ن مفسدة
نر فهمي

(أ) حاول كثير من العلماء حصر الكبائر مثل الامام
في كتابه : الكبائر والامام ابن القيم في كل من
. . . وابن النحاس في الصفحات من ١٢١ : .
حصرها . حتى أورده ابن النحاس نصا في ذلك
سأل بن عباس : كم الكبائر أسبع ؟ ^{قال} هي التي
استغفار ولا صغيرة مع اصرار * (صفحة ١٢٣)
بن عبد السلام وضع ضابط فقال " اذا أردت ا
الذنب على مفسد الكبائر المنصوص عليها ف
من الصفائح * (انظر قواعد الاحكام ص ٢٢٣)

(١٠٩) قواعد الاحكام ج ١ ص ٢٢

(١١٠) تلييس ابليس - لأبي الفرج بن الجوزي ص

(ف) الفوائد - يومنا ابن القيم ص ١٦٩ - ما

هذا : وهناك جانب لا بد من تبيينه ونحن بصدد ا
وهو : أن المنكر الموجوب للحسبة يعنى مطلق المخ
أهل التكليف أو المحاسبة .
فالمنكر يظن على كل فعل فيه مفسدة فى حكم
لا يعتبر معصية . يقول أبو حامد الفزالى : " وعدلنا
المنكر أعم من المعصية ، إذ من رأى صبيا أو مجنوناً ي
هذا التفاحش صور الفعل وظهوره بين الناس - فحسب
خلوة لوجب المنع منه ^(١١١) وعليه فانه يجب الاحتساب علم
فيحتسب على من جاهر بالفطر رغم اباحة ذلك له ، الس
إذا شوهدت تتلف مالا . . . وهكذا . . .
وبعد . . .
فقد اشرت الى أن للمنكر صوراً متعددة ، وأنه
بين صغيرة وكبيرة .
ولكن ليس كل ما يلمع ذهباً ، وليس كل زجاجة
ملئت بالخمير فعلاً . أو أن مقترف المنكر يعلم أن ما ي
وإذن فلا بد من التثبت بطرق يرضى عنها إلا
وسلامته وذلك هو المبحث التالى .

التثبيت قبل الاحتساب

المجتمع الاسلامى مجتمع مستقر هادىء ، يذ
 مسلم يطبق شرع الله ، ويتقى ربه فيما استرعاه فيه .
 يعين وسط أفراد تعاونوا على البر والتقوى ، وأدوا
 ولبرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

فانما ما رأى أحدهم منكراً هم للإصلاح بكل
 والاستقرار، ما استطاع الى ذلك سبيلا .

يستوى فى هذا الشعور المحتسب المعين أو
 المجتمع الاسلامى .

ومادام الأمر كذلك فالتسرع فى الحكم على أمر
 الاسلامى ، كما لا يتفق مع أهداف الاحتساب الذى
 على السلم حرام .

وان فالتثبيت من أن ما وقع من قبيل المنكر،
 أكبر من المصاحبة اذا أصيب برىء فى خلقه أو عرضه و
 هذا . . وجوانب التثبيت ثلاثة :

الأول : التثبيت من وقوع المنكر . .

الثانى : التثبيت من أن ما وقع منكر . . .

الثالث : التثبيت من أن فاعل المنكر يعلم أنه منكر .

فهذه مباحث ثلاثة سأعرض لها فى الصفحات

أولا : التثبت من وقوع المنكر .

هو سلم	لعل أول ما يظن الأذن ، ويتمثل أمام المحتسب
ما	: " من رأى منكم منكرا فليغيره . . . الحديث . " وال
سرت	التثبت من وقوع المنكر ، تنصرف إلى الروئية الحسية ،
حد	طهور المنكر المحتسب عليه . عن طريق الروئية الحد
	تعبير الراجب الاصفهاني رحمه الله . (١١٢)
وقوع	فإذا توفرت هذه الروئية الحسية أو ما يجرى مجراها (١)
	المنكر .
منه	وهذا النوع من التثبت ناشئ عن الحالة التي وقع
	لمعرفة منكر ما .
تروى	كما أن الروئية تطلق على ما يكون بالتفكير والعقل
	ونحو " ما كذب الفؤاد ما رأى " . (١١٣)
فان	وبناء عليه فعلى المحتسب أن يجوب الأماكن التي
	رأى شيئا أنكره ، ولا شيء في هذا .
س	أما المحذور على المحتسب أن يصل إلى معرفة ا
	أو التحسس . (١١٤)
فنهانا	لأن الإسلام صان اعراض المسلمين ، وسد باب ا
خلوا	عن دخول البيوت بدون إذن أهلها . . قال تعالى
، فان	بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ،
	لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم . (٥)
المجال	(١١٢) المفردات ص ٢٠٨ ، وتعبيره بالروئية الحد
التصوير	أمام الأجهزة المساعدة التي توضح الروئية أو
	ونحوه .
	(١١٣) المرجع السابق ص ٢٠٩
نسه	(١١٤) التجسس : تعرف حال ما ، ومنه اشتق ال
	تعرف ما يدرك بالحس ص ٩٣ من المرجع ا
	(١١٥) سورة النور : ٢٧ ، ٢٨

وقد وردت أحاديث كثيرة في هذا الصدد لا تترك
 في بيوتهم ، فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله
 وسلم قال : " اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث
 ولا تحاسدوا ولا تباعدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخ
 كما روى مسلم عن سهيل بن سعد الانصارى رضى
^{وعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم}
 في باب رسول الله صلى الله عليه وسلم / بدرى ، (يرجل
 الله عليه وسلم : " او أعظم أنك تنظر ^(طعن) في عينيك - انما
 والا حاديث في هذا المضمار كثيرة في كتب الصحا
 المسلمين الآمنين حرمة وحمانة .
 ألا ان حرمة المسلم وأمنه ، وسلامة عرضه ، تمنع من
 حرمة بيته لأشد خطرا وأعظم شأنا ، فلا يستباح الد
 وكل من ستر نفسه في داره فلا يجوز اقتحامها أو ا
 مسكه .
 ■ لكن هل هذه حرية مطلقة ، بدون قيد أو شرط ؟؟
 وهم على طرفي نقيض غالبا ، ما بين اطلاق حرية المس
 وقد تختلف الازمان والاماكن ، وتختلف الظروف والملاي
 الشرعية ثابتة ، ومقاصد الشريعة الاسلامية جليلة واض
 البيوت على فاعلى المنكر أو اتخاذ التجسس وسيلة ل
 ما يُستراح له إن شاء الله تعالى .

١ = = = = = ١١١
 = = = = =

التجسس واقتحام البه

—————

ك
 صلحة ،
 وفر
 كان
 سلام
 صلحة
 سد
 مال
 وت .
 جراً
 عب .
 من
 س
 من
 قحام
 معلوم من الذين بالضرورة أن الشريعة الالامية مبنية
 فهي صلحة لكل زمان ومكان ، ملية لكل ما يحد من الالام .
 فاذا تردد الأمر بين مفسدتين أخذنا بالأقل ضرراً .
 حظاً في الصلحة من غير افراط ولا تفريط .
 فان تعطل هذا المبدأ ، حدث ما يخاف منه ، من الت
 النظر في الصلحة ، وتكييف ما يجد بتكييف شرعي عمل
 ومن قلمهم الصلحة والتابعون . يقول القرافي : " ان ا
 لا لتقدم شاهد بالاعتبار (٨) (١) .
 ويقول ابن عقيل : " والسياسة كل فعل تكون معه ا
 عن الفساد ، وان لم يضعه الرسول صلى الله عليه وسلم
 لالسياسة الا بما نطق به الشرع فقد غلط وغلط الصلحة
 اضع هذه المقدمة في مواجهة من يقول : هاتوا نصاً
 وذلك لأن ما سبق من تحريم التجسس ، وتقرير حرية الم
 لدينه وعرضه ، ولم يقف مواقف الشبهات . والويل كل
 بل قد يكون ذلك أيضاً لمن يشك في أمره لأن استنوا
 شك في أنه أغلق عليه باب له ليفعل منكراً ، فقد تحصن
 الله . أما من عُرف بالفسق والفجور ، أو حامت حوا
 في حي غلب على سكانه نوع معين من أنواع الكباشم .
 البيوت على غرة ما يفيد .

(١١٨) أنظر : أصول الأحكام الشرعية ومبادئ علم ا
 العلوي النعيم طبعة أولى س ٧٣ .

(١١٩) أنظر : المرجع السابق نفس الصفحة .

اننا لو أطلقنا حرية المسكن بدون قيد ولا شرطه وفي
 من بعض البيوت حرائق الشرور والآثام التي تدمر ال
 وأخلاقه .
 فقد يتحول المسكن في ظل الحرية المطلقة الى
 وبيعه ، أو مائدة قمار وفساد ، بل قد تنقلب الدار
 أمن المجتمع الاسلامي وشريعته . . الى غير ذلك من
 ولقد فهم الأئمة شرع الله من جانب المصلحة فكان
 ويسر ، فمثلا قد حدث الرسول صلى الله عليه وسلم :
 مسلما ستره الله يوم القيامة " .
 فلننظر الى فقه الامام النووي في تفسيره للحدِيث
 اليه هنا فالمراد به الستر على ذوى الهيئات ، ونحوه
 فأما المعروف ، بذلك فيستحب الأيُّسُّر عليه . . لأن ال
 والفساد ، وانتهاك الحرمات ، وجسارة غيره على مثل ف
 معصية وقعت وانقضت ، أما معصية رآه عليها وهو بع
 عليه ، ومنعه منها على من قدر على ذلك . . (١٢٠)
 (١٢١)
 ولعل فيما أورده صاحب الآداب الشرعية ، ما يزيد
 القاضي أبو يعلى في الأحكام السلطانية أنه : * ا
 المعصية لأمانة ذلت وآثار ظهرت . . جاز أن يتجسس
 في المحتسب - وهكذا لو عرف ذلك قوم من المتطوعة
 وهذا ما ذكره الماوردي في الاحكام السلطانية ، وظا
 وقد كان أبو حامد الغزالي يرى الدخول بدون
 أصوات الملاحى ، وان لم يخبره الشاهدان .
 غير أن أقصى الرضا في عصره : أبو الحسن اله
 الأيُّقْتَمُ البيت الا بشهادة شاهدين كما أورد ذلك
 التجسس مادام البيت بيت من عرف عنه تعاطى المنكر

طلقت

قيمه

فمر

ضد

هولة

ستر

ندوب

والفساد

ذاه

ستر

قبانكارها

به

سرى

هذا

والانكار

سمع

سرى

ع

وقصة عمر بن الخطاب مع رويشد مشهورة تذكروا لاس
 قالت : وجد عمر بن الخطاب رضى الله عنه في بيت
 الخطاب فحرق بيته ، وكان يدعى رويشدا فقال عمر انا
 وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ما دخل بيتا الا به
 من الوسائل بعد ذلك ما يجعله يدخل - وهو الراعى
 ثم يدمر ذلك البيت الذى تحول الى بؤرة فساد ليكو
 ومن يتصفح الآداب الشرعية وجد الأحكام الشرعية
 عليها الشريعة الاسلامية . وقد أورد الامام ابن مفلح
 وخوفا من كثرة الاطالة فى النقل أختتم بعض ما فى ال
 المستتر بالمنكر ينكر عليه ويستتر عليه ، فان لم ينته فع
 فى الدين (١٢٤) .

" وأما من فعل المنكر بموضع يعلم به جيرانه ولو فو
 غير مستتر (١٢٥) وحكم ذلك معلوم .

إن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم كان ؛
 عنها ويمررجلان فيسرعا ، فيناديها الرسول صلى ا
 صفية بنت حبي فقالا : سبحان الله يا رسول الله!! قال
 مجرى الدم ، وانى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شرا (٢٦)
 • أفبعد هذا الاحتياط تجعل الحصانة لبيت بغير
 حرمة من هيا بيته لارتكاب الموبقات حتى صار مصدر
 لشيء عجيب!!

بن محمد
 بذهب
 : الفروع
 شرعية
 الحنبلى

(١٢١) ابن مفلح (ولد سنة ٧٠٨ هـ وتوفى سنة ٣
 بن من أبو عبد الله شمر الدين المقدس الراميين
 الامام احمد بن حنبل ولد ونشأ فى المقدس وتوفى
 النكت والفوائد السنية على مشكل المحرر لابن تيم
 المقنع فى ٣٠ جزءا . (الاعلام للزركلى)
 (١٢٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية للامام ابى
 من ٣١٨ طبعة وزارة المعارف (٢٣)
 (١٢٤) نفس المرجع عن ٢٦٤ (٢٥)

ولقد تناول الدكتور الشيشاني حرية المسكن في
الأول : في نظرة القوانين لها حيث قال : " غير أن
ليست مطلقة ، بل ترد عليها حدود لمصلحة الجماعة
عدم اساءة استعمالها ، في أى ظرف من الظروف .
الاسلامية .
والثاني : في نظرة الشريعة الاسلامية حيث قال : " .
العام للمسلمين الا لضرورة ملحة — أن يدخل مسا
في مسكنه من الصن الحريات (١٢٨)
ولا شك أنه يتكلم عن مسكن في مجتمع مسلم يحكمه
فيه الشرور والآثام ، وساكنيه أناس لا تحوم حولهم الشبه
أو أخلاقهم — لأن " من عرض نفسه المتهم فلا يلومن من
الا أن التجسس على المتزمن البراء قد يفسد هذه
الفسق والفجور قد يصلحهم . فالمسألة تختلف باختلاف
وفي الختام لهذه المسألة : أقول لمن يصدر عن
خاصة أو برقيات معينة :
صحيح أن بعض المجتمعات الاسلامية قد رزقت
الله ولم يحكموا بما أنزل الله . بل قد أحلوا الحرام
الكتاب والسنة ، ولا يرقبون في مسلم الا ولانمة ، ثم
بالسنة حداد ،

(١٢٧) أنظر : حقوق الانسان وحرياته الاساسية
المعاصرة : ص ٣١ للدكتور : عبد الوهاب

(١٢٨) المرجع السابق - ص ٢٨٩

(١٢٩) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٦٣
(٤) رُفِعَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ عَنِ السَّجْلِ لِقَوْلِهِ - وَهَذَا

ودافعوا عن الباطل بالسنينة حذار .

فكم روعوا الآمنين وهتكوا الأعراس ، وهدموا ، وقتلوا
لا يعرفون الله ،

لكن رغم وجود هذا الواقع المر ، ورغم اخلاسه بكل
على أمن الناس وحررياتهم وأرواحهم في بعضه ليمرد .
رغم كل ذلك فانه يجب ألا يؤثر على سلامة الحكماء
المسألة .

والله اعلم

لهم

ة

مسة

فيه)

بأنه

: ينبغي

بجاء

يفهم

، حتى

س

أب عليه

بجاء

هذا . . . ولعل مراد الامام النووي رحمه الله بقوله

ما يكون بين مجتهد ومجتهد ، وذلك لأن المجتهد

يحتسب على العمى الذي لا يعرف الحكم . وفي هذا

لأحد أن ينكر على غيره العمل بمذهبه فإنه لا انكار

وعلى المحتسب أن يوثق السلامة أو ينصح برفق

المحتسب عليه عن طريق استفهام رقيق أو استحسان

من قول الامام أحمد : لا ينبغي للفقير أن يحمل النا

قال : من أراد أن يشرب هذا النبيذ يتبع فيه شرب

أساس أن النبيذ مختلف في كونه من الغمر أم لا .

وموجز ماسين يتبلور في نقطتين :

الأولى : أن ما لا يختلف فيه مما هو معلوم من الدين

بكل وسيلة ممكنة .

الثانية : أن المسائل الخلافية يندب الاحتساب على

والخروج من الخلاف .

(١٣١) الآداب الشرعية ج ١ ص ١٨٦

(١٢٢) المرجع السابق ص ١٨٧

ثالثاً

التثبت من كون مرتكب المنكر يعترف أ

- ان طريقة الاحتساب على معتاد المنكر وهو يعلم
 أن ما يقدم عليه من قبيل المنكر ، أو يعلم أنه منكر ولو
 لو عرفه وأدراك لرجع الى الطريق السوى .
 وكان البحث في هذه الجزئية ضروري ، لما يترتب
 على فعل بدعة دون أن يعلم أنها بدعة ، وانما هو
 واللين حتى يعدل عن طريق الابتداع الى سنة الا
 وهذا يختلف عن المبتدع نفسه الذي يستخدم ال
 ومن هنا أباح الامام أحمد تزويج المبتدع ان كان
 والداعية لا يصح تزويجه . (١٣٣)
 ويقابل جهل فاعل المنكر بأنه منكر، أو جهله بدر
 فعل منكر، وان لم يكن في الواقع منكراً - وصورة ذلك
 أن يعلم المحتسب أن زجاجات الخمر ملوثة بال
 على أنها خمر ، فانه يحتسب عليه . وب
 فانه ليظهر لنا واضحا أن وجوب انكار المنكر أو
 و" وقوعه " " والعلم به " ووجوده ظاهرا " .
 وكأنى بالبحث في جوانب التثبت قد وضع أيدينا
 - وهي وان كانت قد فهمت من جوانب التثبت الثلاث
 رؤوس الشروط تنميا للفائدة . وهي :
 الشرط الأول : كونه منكرا أى محذور الوقوع في الشرع
 يأخذ شكل المخالفة وان لم يكن معصية
 يبيح له الفطر ، كما أن المراد بالمنكر ما
 (١٣٣) المغنى لابن قدامة : ج ٦ ص ٨٦

كون	الشرط الثاني : أن يكون المنكر موجوداً في الحال ،
عليه	الحسبة عليه بالابلاغ عنه ، ومن استعد
بقبح	بوعظه وارشاده .
بقبح	الشرط الثالث : أن يكون المنكر ظاهراً من غير تجسس
بالضرورة	ذلك بشيء من التفصيل المفيد ان شاء الله
بسبب	الشرط الرابع : أن يكون المنكر متفقاً على انكاره .
بسبب	فعلاً أو تركاً . أما المختلف فيه من بعض
بصفة	فيها . وقد سبق بحث ذلك أيضاً . (٢٤)
بصفة	لكن هذه شروط المنكر "الموجب للتعزير"
بصفة	عامية .. وهل هناك فرق بين
بصفة	سبب في جواب ذلك بعد صفتين تقر

أنظر :

(١٢٤) احياء علوم الدين ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ج

مقاومة المنكر

تمهيد :

قرار

المنكر بكل صوره وألوانه يهد كيان المجتمع الاسلامي فيه ، بعد أن يعتدى على شرع الله بالتفريط في الا ولذلك كان على المسلمين داخل المجتمع الاسلامي فكل واحد في المجتمع الاسلامي على شفرة من شفرات ونظرا لخطورة المنكر وما يترتب على التصدي له . على فقهه ، وفقه مقاومته ، حتى يقدرُوا موضع أقدامهم من خطوات مقاومة المنكر .

ة

وا

وة

ا

فالا احتساب فرض على المسلمين ، ولكن قد يعرض في بعض الأحيان .

أمره

وقد جاء في " قواعد الأحكام : " فان علم الأمر بالم ونهيه لا يجديان ولا يفيدان شيئا ، أو غلب على ظنه الاستحباب ، لأنه وسيلة والوسائل تسقط بسقوط المق وسلم يدخل المسجد الحرام وفيه الانصاب والاوثان السلف . لا ينكرون على الفسقة والظلمة مع علمهم أنه

ى

ه

ك كان

وقد لا يقف الأمر عند عدم الجدوى ، ولكن يتعدا المحتسب جلب المصلحة ، وما ذلك الا للجهل بفقهِ وللامام ابن القيم رحمه الله في هذا المقام مقالات المحتسبين، حتى لا يحفظوا^{شيئا} وتغيب عنهم أشياء، فينتج المصالح ما لا يرضى عنه الله ورسوله .

أراد

ل

ع

وفي فصل من "اعلام الموقعين" تحت عنوان :

يقول : " هذا فصل عظيم النفع جدا ، وقع بسبب الـ
أوجب من الحرج والمشقة وتكليف مالا سليل اليه . .
الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي
كلها وحكمة كلها ، وكل مسألة خرجت عن العدل ا
وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العب
ثم يقول : " ان النبي صلى الله عليه وسلم شرع ا
ليحصل بانكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله ، ف
انكر منه ، وأبغض الى الله ورسوله ، فانه لا يسوغ
ومن يتصفح حالة الاحتساب والمحتسبين ، يتبين
في بعض المجتمعات الاسلامية انما جاءت من جراء ا
التطبيق . . كما قرأ ابن القيم ، ولو كان المحتسب
لما حدث من ذلك شيئا ، وقد سبق ذكر لموقف :
على يد امام من ابرز أئمة الاحتساب .

فقد ذكر ابن القيم ان شيخ الاسلام ابن تيمية م
التتار وهم يشربون الخمر ، فأنكر بعض تلامذته وحا
ابن تيمية عليهم انكارهم - لأنه نظر الى النتائج بذ
حرم الله الخمر؛ لأنها تصد الناس عن ذكر الله وعن
الخمر عن قتل النفوس ، وسبب الذرية ، وأخذ الأ
هذا : رقد رأيت من فقه الاحتساب أن أفرق بي
المنكر " . . واذا وفقنا الله لتوضيح الفرق بينهما ،
حالة يجب فيها التغيير وحالة يجب فيها الانكار .

(١٣٦) اعلام الموقعين ج ٣ ص ١٤

(١٣٧) نفس المرجع ص ١٥ (بتصرف)

(١٣٨) المرجع السابق ص ١٦

الفرق بين : النهي عن المنكر وتغييره

لفرق عنده

رحم الله " صاحب المفردات " فكم شفى غلة الباء
بين التفسير والنهي بما يسهم فى بيان ما أريده ان :
" والتفسير " عنده يقال من وجهين :
أحدهما : لتغيير صورة الشئ دون ذاته ،
والثانى : لتبديله بغيره .

(١٤٠)

سب
بره ،

والمعنىان مقصودان فى تغيير المنكر (٣٩)
" الانكار " يستعمل فيما ينكر باللسان ، وسبب
وفى معنى " النهى " يقول " النهى " الزجر عن الشئ
وما كان بالقول ، فلا فرق بين أن يكون بلفظ " افعل
أى يمل : طلب الفعل وطلب الكف . (أمرا ونها
وقد يتسامع فى استعمال احدى الكلمتين مكان
اذا اجتمعت افتترقت ، واذا افتترقت اجتمعت ، كما فى
. . وغير ذلك . وهو باب جليل القدر فى فقه الل
كبير يسمى : (الفروق فى اللفظة) .

سات

فشية

بكتاب

نكر

قال

صلى

فان

نسى

والذى حملنى أولا على هذه الوقفة كى أفرد بين
هو الفيرة على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
الشيخ ابن العربى الاندلسى فى أحكام القرآن وهو
الله عليه وسلم المشهور : " من رأى منكم منكرا فليغير
" ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " من ر
لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعه

(١٣٩) المفردات فى غريب القرآن ع ٢٦٨

(١٤٠) نفس المرجع ع ٥٦٥

(١٤١) نفس المرجع ع ٥٠٧

لفعل

الحديث من غريب الفقه أن النبي صلى الله عليه وسأ
وهو تغيير المنكر باليد ، وإنما تبدأ باللسان ، والد
ولأدرؤ كيف يقال ان فى حديث رسول الله صلى
بمراتب الاحتساب ؟ وهو صلى الله عليه وسلم لا ينطق
كما هو معلوم من الدين بالضرورة .

ما يخل

حسب -

ت

حديث

فكان من الحتم والحالة هذه أن أفق لأفرد بين :
أن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من رأى
محكم فى باب تغيير المنكر .

فى

ة

قصة

هـ

والذى حملنى ثانياً على التفريق بين تغيير المنكر
حاجة الى هذا التفريق ليعرف المحتسب مكان حسب
أو يعرف هل هى من الواجب على الأفراد أم هى من
ويوجز الفرق بين التغيير والنهى ، فى أن التغيير
لا يجدى معها الكلام . فلا وسيلة لدرء المنكر الا ال
فهو فيما عدا ذلك ، ولكل مراتبه .

مراتب تغيير المنكر

—————

وامراتب تغيير المنكر هي ما ذكرها الرسول صلى الله
 مسلم : أن أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصل
 الصلاة قبل الخطبة فقال قد تراء ما هنالك ، فقال أب
 أما إذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله صلى
 منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم
 ونس الحديث ورد عن أبي سعيد في حالة وقوع ال
 عندما تعذر التغيير باليد .

فمراتب التغيير حيث يرتكب المنكر هي :

١- التغيير باليسد :

وعى واضحة جلية في صورة دفع الصائل على الن
 حالة لزم لم يتخذ معه اجراء عملي باليد تشل حركته
 من استعمال اليد . والحالة هذه - لمن استنط
 ومثل حالة التلبس بالشرب . . الى آخر الامثلة ان
 وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم واضح وصارم ومو
 بالفاء الدالة على الفورية، لا تترك مجالاً للتواني .
 التغيير باليد الا اذا لم يستطعها المحتسب . . و
 هذا . . وليس معنى التغيير باليد مقصوراً على
 فيما أرى - ولكن المراد - والله أعلم - هو مطلق اج
 أن يحول بين المنكر وبين متعاطيه . كمن مجلسه
 الكهرياشي ، أو طرد الباب بقوة ترهب العابثين وتخ
 غير مشروعة - أو في الأخذ على يد المسلم نصرة له
 تسقط منه آلة العدوان . . وصور ذلك كثيرة .

الم
لصائل
...
ع
سن
ة ان
الحديث
عسور
فساد،
يدحض
س
فليس
ي يظهر
سدل
سدث

وتظل صور الاجراءات العملية عن طريق اليد تت
يدفع المعتذر الاله . وهذا ما صرح به شيخ الاسلام
از لم ندفع الا بالقتل قتل (١٤٤) كم

٢- التغيير باللسان :

وتلأء، هي المرتبة الثانية من مراتب التغيير المنص
وليس المراد بالتغيير عن طريق اللسان مجرد الوعد
التليس بفعل المنكر - ولكن المراد - والله أعلم -
طريق اللسان كي يحول بين المنكر وبين وقوعه، أو إتسا
وللسان أنشطة كثيرة : التهديد بالسلطة أو الف
كف عن ارتكاب جريمته ، أو الاستغاثة بالفير والاس
من مسئول في الهاتف ، أو الاعلان عن يزاوول الدعو
حقيقته وينفضوا عنه .

ويلاحظ باللسان التغيير بالقلم كالرد على من يرو
... لأن من يكتب في هذا المجال متليس بالمنكر.
به الحق، فليفحم بالرد العزم، والحجة القاطعة، حتى
الأقل يظهر خبثه المقراء . وهذا بلا شك اجراء عم
٣- التغيير بالقلب :

وعندما يرتبط التغيير بالقلب فلا بد من اجراء عم
المراد من التغيير بالقلب السلبية والسمت ، ولكنه ا
واضحا على لون المحتسب وشككه وسلوكه ، وترك الم
على بشاعة ما يحدث كأن " يحوقل " أو "يرجع" بصوت
عل هذا يحول بين المنكر ومتعاطيه في حال وقوع

—

وهذه هي الإجراءات العملية التي تظهر من منه
الك عليه وسلم في ^{حديث} تفسير المنكر الذي نحن بصدده .

لا ينطبق

وهي مرتبة ترتيبيا يتلاوم مع التلبس بالمنكر - وذلك

ة

عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ، وما على المسلم

ا

وسلامة العواقب ، في حدود قول العلیم الخبير " لا

•X•X•X•X•X•X•X•X•X

مراتب النهي عن المنكر

ل

س

سب أو

د

دفع منه

النهي عن المنكر أعم وأشمل ، غير أن المراد به وقوع المنكر أو بعد الانتهاء من وقوعه . ويكون إلى الأجراء العملية التي سبقت في مراتب تغيير المنكر علم تمهيدا للمنكر يخشى من وقوعه ، وكان ذلك المنكر الشريعة أو كان ذلك المنكر الجسيم قد وقع بالفعل ؛ وإنما هو النهي والانتكار باحدى المراتب الآتية .

وللنهي عن المنكر مراتب حدد معالمها أمران :

الأول : ما يستنتج من النصوص الواردة في الكتاب وال

الثاني : التفريق بين مراتب التغيير ومراتب النهي

وقد أجملت هذه المراتب في ست هي :

- ريننا

سراك

بث .

تناعنا

أولا - الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الح

المستقيم واخفاء لسبل الشيطان المتفرقة ا

العلاوة أو بتضييع الوقت في لعب النرد مث

ثانيا - المجادلة بالتي هي أحسن ، لمنع عرف عنه

بأخلاق وسلوك لا تتفق مع الاسلام والمجتم

وعلى المحتسب أن يدعم كلامه بثلاثة اشياء

١- القدوة الحسنة .

٢- تقديم الأدلة والبراهين على صحة ما؛

٣- تقديم البدائل التي تشغل الفراغ بال

يعود بالخير على المجتمع الاسلامي .

وأى شئ

- ثالثاً : الوعيد بالعقوبة من الله في الدنيا والآخرة ولا هجر ، ووصفهم بما يليق بهم ، من اهتدوا ونواعيه - وأن الاصرار على الصغيرة كما بالله إلى غير ذلك من الواجبات وجاء في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن علياً رضي الله عنه مربيهم يلعبون بالتي أنتم لها عاكفون ؟ . والله لأن يا له من أن يمسخها . . ثم قال : والله -
- رابعاً - العنف والتهديد برفع الأمر إلى المسئولين مقارفة المنكرات ، وتسمية هذه المنكرات محاولات الستر عليه .
- ولئن كان من حق المسلم على المسلم ، الثبات كما عبر الشيخ عز الدين بن عبد السلام فإن التشهير جائز في حق من اعتاد وقد قيل للإمام أحمد مرزنا يقوم وقد اذ . . فقال أبو عبد الله : ألم تتكلموا في قال : كان يفجيني أن تكلموا لعل يشهدون . (١٤٧)
- خامساً : رفع الأمر للمسؤولين فعلاً بشرطين :
 ١- ألا ينال المحتسب أذى غير عادى
 ٢- أن يطلب على ظنه أن السلطة ستحاه
 سئل امام السنة عن الرجل يرى منه ال
 للسلطان ؟ قال : ان علمت أنه يقيم
- (١٤٥) أبو بكر الخلال - الأمر بالمعروف والنهي عن
 (١٤٦) أنظر قواعد الاحكام ج ١ ص ١٥٨
 (١٤٧) أبو بكر الخلال مرجع سابق عن ١١٣

محتسب	سادسا : الغضب بالقلب - وهو باب جليل القدر
صلات	بالسلبية وإن ملأ الحزن قلبه ولكنه غنة
يحتى	التي تربط المسلم بمرتكب المنكر وابلغها
فضل	يشعر . بالمقاطعة التي تعزله عن مجتة
	ايقاظه وعظيم تنبيهه .
ع	ومقاطعة أهل المنكر سلاح فعال نفذ
ل	الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك ،
م	المجتمع الاسلامى درسنا ذات نتائج تمت
ثم	المخالفين حتى ضاقت عليهم الأرض بما
	تابوا وأتابوا فتاب الله عليهم .
	يقول الامام ابو بكر الجصاص فى الانكا
	معناه : المقاطعة الفورية لمجلس فيه .
اتنا	وهذا يؤخذ من قول الله تعالى " واذ
	فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غير
كار	ثم يعلق على الآية بقوله " فأمر الله نب
تسرك	عليهم ، واطهار الكراهه لما يكون منه
فروا	النكير ، دلالة الرضا بفعلهم ونظيره قو
انسوا	من بنى اسرائيل على لسان داود وعبي
لى	يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
	الذين ظلموا فتمسكم النار. (١٤٩)

ومن جليل فقه الانكار بالقلب ، أنه هو الاصل وا
يقدم على تغيير المنكر أو النهي عنه بأى مرتبة من
بقلبه وحاك المنكر في صدره أولاً .
• وفي ذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " فأما ال
في فعله ، ومن لم يفعله فليس بمؤمن كما قال النبي
ذلك من الايمان حبة خردل (١٥٠)
• وفي موضع آخر يقول : " فأما حب القلب وبغض
تكون جازمة ، لا يوجب نقص ذلك الا نقص الايمان .
ومتى كانت ارادة القلب وكراهته كاملة تامة ، وفعل
يعطى ثواب الفاعل الكامل (١٥١)

تنبيه :-

ان ما سبق من مراتب النهي عن المنكر في حسي
لم يكن من بينها : استعمال اليد كما في التغيير
ان ليس من حق المحتسب أن يغير باليد في ا
القول فليس تمت منكر يغيره . كما أن الاحتساب
المنكر .
وانما أمر هذا وذاك للسلطة وليس للأفراد ، وان
كل متبوع ما حب أمر فيشمل ذلك :
الحكام أو من ينوب عنهم ، والعلماء ، وذوى ال
فلهؤلاء ونحوهم الحق في استعمال اليد في حا
الانتهاه منه : زجراً وتعزيراً . أما آحاد الناس فلا

(١٥٠) الحسبة في الاسلام ص ٦٢

(١٥١) المرجع السابق ص ٦٧

وبعد ..

يحدث
 حاج
 حرب
 سد

فإن سفارمة المنكرات والاحتساب على فاعلي
 داخل المجتمع الاسلامي ولكن الم
 المجتمع الاسلامي قد تكون أشد
 لذلآء، بوجوب على المحتسبين أن يكونوا
 من خيار المجتمع الاسلامي والذي يد
 علينا وما "يفسد علينا رما أكبر هذ

والمنكرات الوافدة هي مبحث
 ان شاء الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب الأول

الحبة تسمى المجتمع بـ

تمهيد

الفصل الأول :

بـ
د

الفصل الثاني :

بـ

الفصل الثالث :

بـ

على دين ابراهيم عليه السلام وتروى كتب السير أن عمرو بن لحي كان رجلا على أمر عظيم فيهم من المعروف والحرص على أمور الدين، حتى أحبه الناس وادبوا له " وصار ملك مكة وولاية البيت في يده ، وطنوا أنه من أكابر العلماء وأفاضل الأولياء ، ثم انه سافر الى الشام فرآهم يعبدون الأوثان، فاستحسن ذلك وانه حقا فرجع الى مكة وقدم معه " بهيل" وجعله في بوف الكعبة، ودعا أهل مكة الى الشرك فأجابوه فما زالوا على ذلك حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم (١)

ويقال المجتمع الاسلامي في عصر صدر الاسلام - وهو خير قرن - على المحجة البيضاء ، وحتى حدثت الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وبنفتح الاريق أمام الشرور ويفد على المجتمع الاسلامي من يتربصون لاقباده ، وأحدثوا الفتن التي تفرق المجتمع الاسلامي على أثرها الى أحزاب وشيع ، وقد تحرك الاممدا المحتسبون قدر الاستداعة ، وكان امام المحتسبين هو : الامام على رضى الله عنه عندما رأى أفكار التشيع تفد وتنتشر في بعض من يلتفون حوله ويتأهرون بحبه ، وقد نفذ فيهم رضى الله عنه القتل سياسة، عندما تأكد من خاتم على العقيدة، وعلى المجتمع الاسلامي " فحرق منهم طائفة ، وابل قتل بعضهم، فثروا من سيفه البتار - ثم احتسب بلسانه عندما وقف على منبر الكوفة مبالا زعمهم القائل بتفضيلهم على بن ابي طالب والمغالة في هذا الأمر - فقال رضى الله عنه - وقد أسمع من حضر - : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ... وبذلك أجاب ابنه محمد بن الحنفية " (٢)

(١) انار : مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم للشيخ عبد الله بن محمد

بن عبد الوهاب ص ١٧ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٨١ ط دار النكر والسيرة

النبوية لأبي الحسن الندوي ص ٨٤ ط قار

منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٤ الناشر مكتبة الرياض

(٢)

وعاد المجتمع الإسلامي الى نزاهته وفطرته السليمة، بعد أن لفتا خيث -
التصنيع ، ولما يقتر عليه تماما، اذ آل في أضعفة من لفظهم المجتمع الإسلامي
الذي يبلغ أوج سلامته، في عهد خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز -
رنبى الله عنه حيث كان الانصراف التام الى المحافظة على السنة تدوينها وسلوكها
، اعتقادا وتابيقا .

ويعيد عصر هارون الرشيد برز في المجتمع الإسلامي مفسدة الاعتزال مع
ما وفد من الفلسفات الأجنبية .

وفتح الباب على مصراعيه في عهد الخليفة المأمون للأفكار الوافدة عن
أريق الفلسفة فأفسدت في الأمة الإسلامية ايما افساد .

”أرف، مما كتب في هذا المضمار“

وعنا اقتاف ساورا مما جاء في كتاب ”المواصم من القوامم “ في هذا
المدد لما فيه من فائدة ان شاء الله :

يقول القاضي ابو بكر بن العربي مصورا ما حدث في عهد المأمون والواثق
” وهذا المأمون كان يقول بخلق القرآن ، وكذلك الواثق .

وأهروا بدعتهم ، وصارت مسألة معلومة ٠٠٠ كما مكنوا من قراءة كتب الفلاسفة
وعنا يعلق الشيخ محب الدين الخايب في الهامش قائلا: ان قصة المسلمين مع
الفلسفة اليونانية قصة مليئة بالفواجع والنكبات والغريب - والغريب جدا
أنه لا يزال الكثير من مثقفينا يعتقد أن سبب نهضة المسلمين يعود الى هذه
الفلسفة مع أنها كانت من أعلم أسباب فزاعهم وبعدهم عن دينهم وضياع مجدهم .

وتفصيل ذلك - كما رواه العلامة الشيخ محمد السفارين:- " قال العلماء ان المؤمن لما **هاون** بعض ملوك النصارى - لأنه صاحب جزيرة قبرص - طلب منه خزائن كتب اليونان وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يابهر عليه أحد ، فجمع الملك خواصه من ذوى الرأي واستشارهم فى ذلك فكلهم أشاروا بعدم تجهيزها اليه الا واحداً ، فانه قال : جيزها اليهم ، فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية الا أفسدتها ، وأوقعت بين علمائها (٣)

والنص غنى عن التوضيح فقد ذكر المقدمات الوافدة، والنتائج المفجعة ولا ريب كما يقول الاستاذ أنور الجندى أن فكرة الاعتزال جاءت أصلاً من الفلسفات الهندية واليونانية والفكر الوثنى القديم (٤)

وأمكن للمعتزلة أن يستولوا على الخليفة وأن يفرضوا مذهب الاعتزال بالقوة وأتوا ببديعة خلق القرآن التى تحمل عواصفها ولهيب نارها الامام المحتسب احمد بن حنبل ٠٠٠٠ وقدر ما يستأينه من مراتب الاحتساب حتى كلف الله الفضة ، وقد سلمت السنة ، فكانت محنته منحة وانتصاراً ، رضى الله عنه وأرضاه (٥)

وما أن انتصف القرن السابع حتى وفدت الأعاصير المدمرة على العالم الاسلامى وكانت المؤامرة الكبرى التى استهدفت العقيدة والأرض، والتى اندفعت لاتباقى ولا نذر، متمثلة فى هجمات التتار ٠٠٠ ووجد ورثة التديع والاعتزال والفلسفة الغرصة سائحة فذبحوا سمومهم وحاولوا النيل من العقيدة فكانت ضرباتهم أشد

(٣) القواصم من القواصم تابعة دار المعرفة ص ١٩٣، ١٩٤ وهامش ص ١٩٤ للشيخ

محب الدين الخايب نقلاً عن اوامع الثوار البهية وسواجع الاسرار الأثرية

للشيخ محمد السنارينى

(٤) المؤامرة على الاسلام - أنور الجندى ص ٢١ - ابعة دار الاعتصام

(٥) انار: ذكر محنة الامام احمد ابى عبد الله حنبل بن اسحاق بن حنبل تحقيق

د / محمد نفس ابعة أولى

فتكا بالأمسة من أسلحة التتار وتخريبهم .

ووفى المحتسب الببال ابن تيمية يقود جفا فل الجيوشند التتار ، كما
يقود أهل السنة فى وجه المعنزلة والفلسفة وأهل البدع والخرافات على اختلاف
مللمهم ونحلهم .

وقد مارس كل مراتب الحسبة وكان قادرا عليها، فغير بيده وبلسانه وقلمه
وما ألفه من رجال وكتب وأسوة حسنة ..
وكم ناله الأذى وهو فى طريق الجهاد فما طعف وما استكان حتى لقي ربه
مجايدا شهيدا منتصرا رضى الله عنه وأرضاه .

والت الحرب سجلا بين الببال الوافد والحق الثابت . والحاقدون على
الاسلام لا يهدأ لهم بال اذا رأوا على اهر الأرض مجتمعا اسلاميا يسير على نهج
السلف بعيدا عن الأمليل والأبائيل .

ولقد هالهم أمر انتشار الدعوة على يد امامها الشيخ محمد بن عبد الوهاب،
والقادة من آل سعود، وعلى رأسهم الامام محمد بن سعود .. فنشر الاعداء حول
الدعوة **السماعات** والأكاذيب

ولما لم تجد تأمرت قوى الاحقاد على السلام مع حكومة محمد على لضرب الدولة
السلفية فى شبه الجزيرة العربية، ولكن الله رد كيدهم ولم يافروا بمرادهم .
والمسألة ليست مسألة تاريخ منى، أو اتجاهات اندرست أو عداً هداً ..
ولكنها الهجمات النارية من البدع والأمليل الوافدة التى تصدر الينا من
الصليبية الحاكمة ، والشيعوية الملحدة ، واليهودية الأشد عداوة .

وأعداؤنا فى يقااة تامة ولهم أساليبهم الماكرة ، وهى مباشرة وخفية
تأتى فى ألوان شتى وصور متنوعة ، نراها ماثلة فى سلوك غير المسلمين ، ومن
تبعهم من المنحرفين ، كما نراها فى الكلمة المابوعة والمسموعة والصور
المداعة المسمومة والسلوك الموجه الى غير ذلك .

ومذا الغزو المذام والمسلح بالحدق والخبث والامكانات ووسائل التضليل
المتنوعة ، يتخذ ميا دينه فى البيت والشارع ودور العلم .

فاذا أخذنا بأسباب الوقاية ، وحصنا أنفسنا بعقيدة أهل السنة والجماعة ،
وكانا فى حالة يقااة للأساليب الخفية والظاهرة ، وقضينا على ما تسرب فور اكتشافه ،
نجونا . ورددنا كيد الأعداء فى نحورهم .

أما اذا سكتنا " فقدنا أسباب النصر على العدو وتعرضنا للوباء الذى
خلل العدو لنصره فأصابنا الفتنة منا مقتلا " ولا عاصم اليوم من أمر الله الا من
رحم "

هذا : وان الوسيلة المنادة لتخايط العدو هى الحسبة " والحسبة هنا
أعد ضرورة وعلى المجتمع الإسلامى بكل مستوياته أن يعرفوا أساليب أعدائهم ،
" والمؤمن كيس فدان " وأن يكونوا فى يقااة تامة تعمر قلوبهم العقيدة
والاخلاص وفى أيديهم ما استلأعوا من قوة ، وعلى أسنتهم وأقلامهم كلمة الحق
لا يخافون لومة الأثم .

وهنا يبرز دور الحسبة التنفيذية وما لها من صلاحيات في الضرب على يد العابثين والمفترين والمتسللين بالأفكار الوافدة .

والمسئول الأول أمام الله عن الاحتساب وفاعليته في مواجهة المفسد الوافدة بكل صورها وفي كل ميادينها هم العلماء، وإذا كان الغرض بحسب القدرة ففرز الحسبة متعين عليهم حيث لا قدرة لغيرهم على فقه الشريعة وفقه الاحتساب .

بل هم الذين يستأمنون البيان والتوضيح لأولى الأمر من الحكام عن مدى الضر الذي يصيب المجتمع الاسلامي من المفسد الوافدة .

.....

وفي الصناعات التالية ان شاء الله بيان لمداخل المنكر الوافد على المجتمع الاسلامي .

وقد دخل فعلا عن ارق الاشخاص "والاعلام" و"التعليم" تأين واجب المحتسبين نحو عقيدتهم ومجتمعهم كذا، "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون" (٦)

الفصل الأول :

الحجة على غير المسلمين
دا قبل المبعث بموسى .

- تمهيد
- تعريف بغير مسلميه :
- ٢ - الذميه .
- ٥ - المتأمنه .

- الاعتقاد عليهم فيما يأتي :
- ٢ - متابعتهم سلوكهم .
- ٥ - الاخذ بأبيهم
أو إبلاغهم عند فتراتهم .

- دعوتهم إلى الإسلام :
- ٢ - توفيقهم بالإسلام
وبإزالة الشكوك .
- ٥ - إقدرة الحسنة .

الفصل الأول

الاحتساب على غير المسلمين داخل المجتمع الاسلامى

تمهيد : _____

لقد تشابكت حاجات الأمم والشعوب حتى أصبحنا لا نجد مجتمعا يعيثر بممزل عن دول العالم ٠٠٠ وأصبح من المألوف أن ينتم الخارع الواحد جنسيات متعددة على اختلاف عقائدهم وميولهم .

والمجتمع الاسلامى كثيره من المجتمعات أصبح يموج بغير المسلمين من المذيعين فيه، أو ممن تستدعى الاروف وجودهم وحياتهم داخل المجتمع الاسلامى .
ولاشك أن اغير المسلمين فى المجتمع الاسلامى تصرفات لا تتفق مع ما للمجتمع الاسلامى من سمات وأهداف . وما تأخذ فى نثار المسلمين شكل المنكرات الستى تتعدى شررها فعل من يمارسها .

وما يحدث من هؤلاء اما أن تكون :

- ١- منكرات أفراد لا تهدف الى فساد المجتمع الاسلامى او هدم بنائه .
- ٢- وقد يكون فاعل المنكر قد هدف الى نشره ، كما قد يكون - والحالة هذه - مجندا لخدمة غرض معين لجهة من الجهات المخالفة لشرب الاسلام " ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر " (٧)

التعريف بنفي المسلمين

—————

غير المسلمين بدهاة : هم الذين لا يدينون بدين الاسلام والمراد به هنا الانقياد الى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين - والمرسلين من عنده جل وعلا : " ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وتوفي الآخرة من الخاسرين . " (٩)

لذلك كان تقسيم الناس في الاسلام ليس على أساس من الجنس أو اللون أو المساحة الجغرافية .

لكن الناس في الشريعة الاسلامية ينقسمون بحسب العقيدة التي

قسيمين :-

- ١- من قبل الاسلام فهو مسلم .
 - ٢- ومن لم يقبله فهو غير ذلك (أ)
- وغير المسلمين داخل المجتمع الاسلامي أحد صنفين :-

الأول : صنف يعيش مع المسلمين بصفة مستمرة وهم الذميون .
الثاني : صنف يعيش مع المسلمين بصفة مؤقتة يأتي لمهمة ثم يرجع الى بلاده وموآله وهم المستأمنون .

(٩) سورة آل عمران : الآية ٨٥

(أ) اذار أحكام الذميين والمستأمنين د / هبد الكريم زيدان طثانية

أولاً: أهل الذمة

—————

الذمة في اللغة : العهد والأمان

والمقصود بالذميين غير المسلمين الذين يوافق الحاكم المسلم لهم على الإقامة داخل دارهم، التي استولى عليها المسلمون وصارت داخله في دار الاسلام (١٠)

ومقياس دار الاسلام كما قال الامام السرخسي (١١) : اسم للموضع الذي يكون تحت يد المسلمين وعلامته أن يأمن فيه المسلمون (١٢)
والذمة عقد يصبح غير المسلم بمقتضاه في عهد المسلمين وأمانهم بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الملة (١٣)

والهدف من بذل الجزية ليست الحاجة الى المال كما يدعى غير المنصفين، فعقد الذمة في أساسه له أهداف سامية جسمها العلماء في أقوالهم وكتبهم الفقهية . كقول الامام الشوكاني : "عقد القمة لكي يتراءى الحربى القتال مع احتمال دخوله في الاسلام عن طريق المخالطة للمسلمين واطاعه على شريعة الاسلام وليس المقصود من عقد الذمة تحصيل المال" (١٤)

أما التزام احكام الملة فتشمل الخضوع للشرعية الاسلامية في الأحكام التي تتعلق بالعلاقات العامة والأمن ونحو ذلك كما تشمل السلوك الملائم للمجتمع الاسلامي قولاً وعملاً ومظهراً .

(١٠) انار مادة "ذمم" بالقاموس المحيط ج ٤ ص ١١٥

(١١) الامام محمد بن احمد بن أبى سهيل ابو بكر السرخسي أمدى كتابه الميسوط وهو في السجن وتوفى عام ٤٩٠ هـ

(١٢) شرح السير الكبير ج ٣ ص ٨٠

(١٣) كتاب الفتنع للشيخ البيهوتى ج ٣ ص ٩٢ مابغة انصار السنة سنة ١٣٦٦ هـ

ومن هذا الشرط وما يهدف اليه يدخل المحتسب لمزاولة مهمته
مراقباً لدى التزام بعقد الذمة، الذي يضمن حفظ الشريعة الاسلامية والمجتمع
الاسلامى، بهم فى ديارهم بالاقليات غير المسلمة، الغرب الاسلام والمجتمعات الاسلامية
كما حدث فى الاندلس ولبنان وما يُنوى حدوثه فى السودان... والامثلة كثيرة .
ففى بيوت تلك الاقليات تحاكي المؤامرات وتستعمل أجهزة الارسال
والاستقبال الى العدو ومنه ، وتمتد محاول الهدم والتدمير وعلى المسلمين
أن يكونوا عيوناً للملأة فى مراقبة كل حركة مشبوهة أو كلمة ضارة ، أو مخالفة
التزامهم بأحكام الملة ، فان حدث منهم ما يخل ، فلا عهد لهم ولا أمان ولا -
إقامة ، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضى الله عنه
مع اليهود - يقول صاحب المقنع رحمه الله : " واذا امتنع الذمى من بسذل
الجزية، أو التزام احكام الملة انتقض عهده ، واذا تعدى على مسلم أو تجسس
أو آوى جاسوساً ، أو ذكر الله أو كتابه أو رسوله بسوء - زاد صاحب الحاشية
وكذلك اذا فتن مسلماً فى دينه ، أو أصاب مسلمة باسم نكاح، ينتقض عهده بذلك " .
(١٥)

هذا : وعلى المحتسبين ضرورة الامام بأحكام أهل الذمة وملائمتها مع
أساليب العصر ، حسب ما تقتضيه مباحة المجتمع الاسلامى .
وعليهم اليقظة لأهداف العدو ومراميه ، وأنه لن يكف كيده ومؤامراته
ما دمتنا مسلمين " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يتبع ملتهم .

(١٥) المقنع لابن قدامه ص ٥٢٣ / ٥٢٤ ح ١

(٢) سقطه النسخة : من العبث أو التأمير أو التجسس ،
ولم استعانه أهمل الإسلام بهم - - - - -

ثانيا : المستأمنون

—————

المستأمن (بكسر الميم) : من «الب الأمان» ، وأساس التعامل معه في قول الله تعالى : " وان أحد من المشركين استجارا فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه " (١٦)

والمستأمن (بفتح الميم) من دخل في الأمان بالفعل وهو أجنبي عن دار السلام وعن المجتمع السلامي ، اذ هو من دار الحرب ، وان دخل دار السلام قبا ما ن مؤقت ، منح له لقضاء حاجته ثم يعود الى وانه - فالمستأمن لم يصر من أهل دارنا كما يقول الامام السرخسي (١٧)

عندا ويمكن أن يأخذ العاملون في البلاد الاسلامية ممن يأتون من ديار الكفر - حكم المستأمنين ، وتوقيع عقد العمل معهم عن طريق السفارات (النائبة عن ولي الأمر في ذلك) هو بمثابة عقد أمان مؤقت - ولئن دعت الحاجة الى عمالتهم فهم يوجدون بحسب الحاجة .

وبناء على ما سبق يمكن ملاحظة النقاط التالية :-

- * أن في الشريعة الاسلامية حلال لكل ما يجد في حياتنا .
- * أن توقيع العقد مع الساملين الاجانب هو عقد الأمان في بلادنا ، الا ما ورد الشرع بتحريم الدخول فيه من الأماكن .

(١٦) سورة التوبة : ٦ وانظر مادة (أ م ن) في القاموس والمختار

(١٧) انظر : شرح السير الكبير ، ج ١ ص ٢٠٧

* أن الإمامة للمستأمن مؤقتة محددة
 * وأنهم جاؤوا نتيجة للحاجة . . . ويكون تحركهم واقامتهم يتبعان تلك الحاجة
 واذن فهم تحت الرقابة وكل مسلم يمارس الاحتساب عليهم بريقة الكيس
 الا ان بحيث يحافظ على شرع الله ، وعلى المجتمع الاسلامى من الفساد فى
 حدود :

① لا تؤذى المستأمن

② ولا تنزى بحاجتنا

③ ولا يُعتدى فيها على اختصاصات السلافة

وعلى المسلم ان وجد من المستأمن ما يريب ولا يستأبع معالجته، أن يحتسب
 عن اريق ابلاغ السلافة بما رأى أو علم . ولئن كنا نحتال مع الذميين خوفا
 من احداث ما يضر المجتمع الاسلامى فى عقيدته وسلوكه - رغم أنهم يقيمون بيننا
 ولهم ما لنا وعليهم ما علينا، ولهم الأهل والولد والأولاد - أقول اذا كنا
 نحتال معهم، فالاحتياط يكون مع المستأمنين من باب أولى ،
 فالذميون يحرصون على البقاء والمستأمنون اقامتهم مؤقتة لذا
 دعنا الحاجة الى مزيد من الحذر والحيطه .

وعلينا ألا نحسن الان كثيرا بالأجانب فى بلادنا، فالواقع يقف أمامنا
 واضح المعالم حيث جاءوا الى بلادنا سائحين أو عاملين . فجاءوا معهم بالسلوك
 المشين، والأعمال الفاضحة، والمجلات المفرضة، والأشرطة الداعرة: مرئية ومسموعة

مشوا شبه عرايا لهدف ، ولبس رجالهم الذهب في صدورهم وأعناقهم بتخطيط ،
حتى يتشبه بهم الجيلة والمنحرفون .

ونساؤهم خرجن يتجولن في كل مكان داعيات للثارة والفتنة ، وشباب الأمة
وفتيانها هم أكثر الناس محبة للتقليد . وكم أصاب العدو أهدافه في شباب
الأمة حتى عمّت البلوى ، وتحولت المجتمعات الإسلامية في كثير من بلاد الأمة
الإسلامية إلى مجتمعات لا إسلامية ، فكانوا من الذين نسوا الله فأفسدهم أنفسهم .
وحقت الكلمة على بعضهم فضاغوا ونيعوا ، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له .
ومن هنا كان الاحتساب على غير المسلمين من أهم ضرورات الحسبة لما في
ذلك من وقوع مفسد^{الكلمة} واغدة ، تقصف بالمجتمعات الإسلامية ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

فالاحتساب الاحتساب على كل لفتة تضر بشرع الله من قريب أو من بعيد .
والحذر الحذر من كل ما يصدر عن غير المسلمين أو من يتشبه بهم من
التالين المضلين .

أما بعد

فان الاحتساب ليس مقصورا على الملاحظة والتتبع ، ولكنه يشمل الالتزام
والأمانة الحسنة . كما يشمل اشاعة الحلال ونشر الدعوة بين غير المسلمين
فتلك دعوة الانبياء والرسول ، وهي مهمة المحتسبين جميعا .

دعوة غير المسلمين
الى الاسلام - داخل المجتمع الاسلامي

ان اقتصر دور المحتسب على المراقبة والمتابعة كان الى الشراة أقرب
منه الى الدعاة

نايس هدف المحتسب حفا شرع الله داخل المجتمع الاسلامي فقط - ولكن
تدفعه الأسمى أيضا تكثير سواد المسلمين ونمو المجتمع الاسلامي حتى يشمل
البشر تحقيا لعموم رسالته صلى الله عليه وسلم .

قال المسلمون مكلفون بالنبليغ ، وفي القرآن لدعوة أهل الكتاب والمشركين
وعباد الأوثان - ما لا يحصى من الآيات . قال الله تعالى : " ولا تجادلوا أهل
الكتاب الا باسى هي أحسن " (١٨) وقال : " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجاهد لهم بالتي هي أحسن " (١٩)

وقد جاء في الجواب الصحيح : " ومن الناس من يقول ان آيات المجادلة
والمحاجة للكفار منسوخات بآيات السيف وهذا غلط . ثم يقرر شيخ الاسلام
أن من كان من أهل الذمة والمستأمن ، لا يجاهد بالقتال وانما داخل فيمن أمرهم
الله بدعوته ، ومجاولته بالتي هي أحسن " (٢٠)

واذا وضعنا أنفسنا أمام مسئولياتنا فهل فنمنا بها وأدينا الواجب نحو
دعوة ^{غير} المسلمين داخل المجتمع الاسلامي ، أو أننا مقصرون .

(١٨) سورة العنكبوت : الآية ٤٦

(١٩) سورة النحل : الآية ١٢٥

(٢٠) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : شيخ الاسلام ابن تيمية

وإذا كانت فريضة التبليغ تلزمتنا بالنسبة للمشركين وهم في ديارهم،
فما موقفتنا أمام الله، وقد جاؤوا إلى بلاد الإسلام من كل مكان، وأقاموا بيننا
ساعاتٍ أو ساعاتين بل وذيمنين يسكنون دار السلام.

إن دور المحتسبين لا يقف عند المتابعة والمراقبة لكشف المفاسد
الوافدة، ولكن عليهم واجباتهم، لا تبرأ الذمة إلا بأدائه، ولا تلقى الله بقلب
سليم وقد فرانا فيه، ذلكم هو دعوة هؤلاء الذميين والمستأمنين إلى الله.

وذلك :

* بإزالة الشبهات

* وبيان محاسن السلام

* والمجادلة بالتي هي أحسن

كما أمرت في القرآن الكريم .

وفي كتاب الله ما يغنى ويثمن، إن أحسن المحتسبون عرضه وبسائه، وبيان
محاسنه، وصدق الله العليم حيث نبه نبيه إلى أقوم الدارق في جهاد الدعوة لغير
المسلمين بقوله تعالى : « فلا تلعب الكافرين وجاهدكم به جهادا كبيرا » (٢١)
أن بالقرآن الكريم وما فيه .

دور العلماء

وعامة المتحسبين لا يستطيعون الاضطلاع بمهمة الدعوة لغير المسلمين
وعنا يأتي دور العلماء فهم القادرون - دون غيرهم - على الجهاد بالقرآن

وبيان محاسن السلام ، وتوضيح الشبهات ومعركة الداخل والمنافذ بالحكمة
والموعظة الحسنة، ورسم خلة الدعوة لمن دونهم ممن يريدون الاسهام فى الاحتساب،
ولعل من المفيد افراد عنوان لوسائل الاحتساب لدعوة غير المسلمين داخل
المدىح السلامى.

وسائل الاحتساب لدعوة غير المسلمين داخل المجتمع الاسلامي

—————

حدثنا تاريخ الاسلام عن شعوب فتحت، وأفراد أسلموا بدون قتال، ولكن عن طريق القدوة الحسنة بتأبيق المسلمين العملي للدين، فكانوا أمثلة حية للسلوك الاسلامي، وصفحة مشرفة النبلاء تلفت الأنظار بكل جميل، ثم كان دور الدعوة والاقناع بالحكمة والموعظة الحسنة، فدخل الناس في دين الله أفواجا .

وعصرنا الطاهر بما يكتفه من ظروف وملابسات وأعمال واتصالات - جعلت غير المسلمين يكثر في بلاد المسلمين - يحتاج الى نخبة من علماء المسلمين المخلصين الذكيا، لوضع منهج ملائم متكامل للحببة على غير المسلمين داخل المجتمع الاسلامي، بكل ما في الحسبة من جوانب الاصلاح والتقويم، كي يؤتى الاحتساب ثماره كما كان من قبل .

ومن المفيد ان شاء الله أن تراعى النواحي التالية:-

أولاً: عرض الاسلام عمليا: حيث يكون المحتسب كالكتاب المفتوح يقرأ فيه غير المسلمين، السلوك السوي، والصفات الحميدة وكل ما يأمر به الاسلام من قول وعمل: وقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلقه القرآن «أى كان في كل ما يصدر عنه منقادا لما جاء في القرآن الكريم .

وهنا أعيدهما سبق أن نقلته عن الإمام الشوكاني أن من أهداف عقد الذمة احتمال دعواه الذمى فى الإسلام ، عن أريق مخالفة للمسلمين ، وإلغائه على شريعة الإسلام ولا يمكن اطلاع غير المسلمين على شريعة الإسلام وسقط مسلمين ابتمعدوا عن تآبيق الإسلام .

ولقد نذر التجار الداعون الإسلام فى مبه الفارة الهندية وغير ما فى ملى انحاء الأرض - عن أريق صفات ايبة جذبت الأثار اليمهم ، وحببت الناس فيهم ، وجمالتهم على اعتناق الإسلام ، يآوال الدكتور حسين مؤنس فى كتابه « الإسلام الناتج » . وأعدت الأثار فى المصور الجغرافى الأرى ما فتحنااه بجهدنا ، وما فتح الإسلام بنفسه بالحكمة والموعظة الحسنة فخدمت نفسى الأنى وجدت أن الإسلام فتح بنفسه أعاف ما فتحنا ، وأن دعوة الحق فى تاريخنا كانت أمضى من كل سلاح » (٢٢)

فأوسع مناقش الدعوة وأوفناها بالفرض - كما يرى الدكتور مؤنس - كانت فى الشؤة الحسنة ، فى أن يكون المسلم اليا فدى على أهل الكفر ، من أهمل الدين المعتين ، والخلق القويم ، وليس من الضرورى أن يكون ساقها فى العلم متبحرا فيه ، ولكن خلقه الكريم وحسن معاملته ، وسمته وتماونه مع غيره ، تحبب الناس فيه ، وفى دينه ، فلا يزالون فى اعجاب به ، حتى تهتدى أفئدتهم إلى ما يؤمن به ، لى يكون امثله » (٢٣)

والخلاصة أن داعية الإسلام الأكبر هو الإسلام نفسه . . . فقد تآمنت عقيدته وقرينته من الفناضل ما يجعل الناس يجرمون أمد الحرض أن ياخذوا فيه » (٢٤)

ومن الجدير بالذكر في مدى اسهام الخلق الحسن في النصر والغلبة ، ما
 قالته السيدة خديجة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم عندما
 جاء يرتجف بعد بدء الوحي: "والله ما يخزيك الله أبدا ، انا لتصل الرحم
 وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق" (٢٥)
 وقد ادركت بذارتها النقية - رضي الله عنها - أن من تحلى بهذه الصفات
 لا بد أن ينصره الله تعالى.

ولنا في رسول الله أسوة حسنة؛ فلننتحل بخلق الاسلام حتى يكتب الله
 لدعوته النصر على أيدينا، وأوبى لمن شرفه الله بالدعوة اليه، وهدى الناس على يديه .
ثانياً: الاتصال المباشر : وبينها وبين الوسيلة السابقة تكامل وتناسق، فمن
 يتوجه بالدعوة ينبغي أن يكون قدوة حسنة، يوافق عمله قوله "وسيلة الاتصال
 المباشر هي أقوم أنواع الاتصال . كما يصرح علماء الاتصال في وسائل الاعلام . (٢)

وقد كانت الثورة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تتعلم الاسلام
 وتتفقه في الدين ، ويمهدون أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد تضرب
 لهم خيمة في فناء المسجد ، فيسمعون القرآن ويرون المسلمين وهم يسلمون -
 ويسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يجول في خاطرهم، ببساطة وصراحة .
 ويجيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في بلاغة وحكمة " (٢٦)

والقول هو الأساس في الاحتساب على غير المسلمين داخل المجتمع الإسلامي،
 تنطق بذلك أي الكتاب الكريم : " وجادلهم به جادا كبيرا " ولا تجادلوا أهل

(٢٥) نص كلام السيدة خديجة في ص ٥٦ من مختصر السيرة للامام الشيخ عبد الله

الكتاب الا بالتي هي أحسن" (٢٦) "وان أحد من المشركين استجاره فأجره حتى
يسمع كلام الله ثم أبلنه مأمنه". (ب)

وعلى العلماء في كل قرية أو مصر مسئولية - اعانهم الله عليها، ونجاهم
من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، ان هم قاموا بها، وهي دعوة غير المسلمين الى
السلام.

والصحة القائمة عليهم فلا عذر لهم، وعدم معرفة لغة غير المسلمين ليست
حجة لهم في هذه الأيام، لأن لديهم المقدرة عن طريق الاحتساب أيانا، على جلب
من يوصل كلمة الحق الى هؤلاء ممن يعرفون اللغات. قال شيخ الاسلام في الجواب
الصريح في معنى قول الله تعالى: فأجره حتى يسمع كلام الله " قد علم أن -
المراد أن يسمعه سمعا يتمكن منه من فهم معناه اذ المقصود لا يكون بمجرد
سمع لفظ لا يتمكن معه من فهم المعنى، فلو كان غير عربي لوجب أن يترجم
له ما تقرب به عليه الحجة، ولو كان عربيا وفي القرآن الفاظ غريبة ليست
من لغته (ج) ووجب أن نبين له معناه، ولو سمع اللفظ كما يسمعه كثير من الناس ولم
يفقه المعنى، والى منا أن نفسره ونبين له معناه فعلينا ذلك (٢٧)

**وبناسبة التماس المباشر وجهد العلماء أتساءل، لما ذل لا يدعى الذين عاموا
في بلاد غير المسلمين وعرفوا لغات أهلها وطبائعهم، لما ذل لا يجتهدون لخدمة
الدعوة، واختيار الشلوب الملائم لكل فرد أو جماعة، بعد التعرف على سيولهم
وحاجاتهم، والتمهل الذي يدخل منه لدعوته/ إلا ان دعوة هؤلاء الذين لديهم
القدرة على التماس المباشر من حسبة العلماء القاصي**

— من حنينة القتلاء التي أصبحت متعينة عليهم . لأن هؤلاء وسيلة الاتصال ،
وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ولئن كان بعد شيا بـالمسلمين إذا ذهبوا
إلى بلاد الغرب تأثروا باخلاقهم ، أما أن للبعد أثر أن يكونوا فعاة هداة
حسبة لله ؟!

وأما أن لنا أن يتأثر بمخالاتنا الجانب فيسلموا لله رب العالمين .
ليكون التأثير سلباً بيننا وبينهم — ان لم يكن التأثير كله لصالح الاسلام
ان السلام نور الله (وهو دين الفطرة السليمة يراه كل من خلى بينه
وبين غارته ، التي أفسدتها الشهوات والتهيبات وغير المسلمين تربوا على
كره السلام ، ووهت لهم صورته ، فإنا جلى لهم نعرفوه على حقيقته ، وخلقى بينهم
وبين اعماقهم التي فارهم الله عليها ، دخلوا في دين الله أفواجا .

وفى التاريخ سوابق عجيبة وعواهد لبا ونوح الشمس على قوة الاسلام
وملاءمته للفطرة ، وانه فى كل الأرواق يحتاج لمن اتباعد الى اخاص فى الدعوة ،
وبذل ما يستأج فى بيبل اداثها . وسوف يدخل الناس فى دين الله أفواجا ،
لا فرق فى ذلك بين دار الحرب ودار السلام ، وسواء كان المسلمون فى حالة نصر
أو هزيمة — جاء فى كتاب رجال الدعوة والفر فى السلام للباحث الاسلامى
الشيخ ابو الحسن الندوى عند الكلام عن انتشار السلام وساء التتار بعد أن —
اكتسحوا العالم الاسلامى وقهروه " ويتحقق على يد دعاة السلام ما لم يتحقق
بالسنة والرماح .

وبدا الاسم يتسرب فى نفوس اعدائه وبأخذ بمزامع قلوبهم .. ان خسوع
الشعب الذى قهر المسلمين أمام الاسلام من أغرب الوقائع والحدث فى التاريخ .

ويرجع الفضل في ذلك الى نشاط الدعوة من المسلمين الذين كانوا يلاقون من الصعاب أعداداً للمناهضة منافسين تبيين: هما اليهودية والمسيحية، وكان ديانة تنافس الأخرى لتكسب قلوب أولئك الفاتحين الغشاة (٢٨)

ولما أسلم بركة خان أحد حكام التتار هو وأهله، ووفدوا على سيف الدين بيبرس في مصر، بلغ الاهتمام بهم أقصاه، من ناحية التأكيد على قيمة الدين في نفوسهم، وتعليمهم تعاليم الشريعة الإسلامية ٠٠٠ وجاء في كتاب الندوي في التذليل على هذا « أنه كان لكل أمير وأميرة في بلاد بركة خان اسامه ومؤذن خاص وأن الاتالي كانوا يحفظون القرآن في المدارس، وكان من أثر هذه العلاقات الودية التي امت بين بيبرس وبركة خان أن كثير الماقدون من رجال التبيلسة الذهبية على مصر حيث اتخذوا الاسلام لهم ديناً : (٢٩)

وكان اسلام التتار خيرا وبركة على الاسلام والمسلمين فلم يكن دخولهم مجرد كثرة عددية « بل برز فيهم كما يقول المرجع السابق : عدد كبير من العلماء الشهاب والمجاهدين والداة، وأدوا دورهم الثمين في حماية حسي الاسلام في اروق دةيقة ولخالات عصبية من التاريخ » (٣٠)

ان اسلام التتار على هذا النحو وفي هذه الاروف ليحعل المحتسبين داخل المجتمع الاسلامي الآن أكثر حرجا امام واجيبهم، نحو الاحتساب على غير المسلمين داخل مجتمعهم بكل وسيلة ممكنة ومفيدة .

(٢٨) رجال الفكر بالدعوة ص ٣٠٦

(٢٩) المرجع السابق ص ٣١٠

ثالثاً : الاتصال غير المباشر : وثالثة وسائل الاحتساب اذا لم يمكن الاتصال المباشر، هي الاتصال غير المباشر، عن طريق الاذاعة أو الصحافة أو اخراج الكتب الملائمة، والكتابة وسيلة من لم يستطع الاتصال المباشر هي قديمة في تاريخ الدعوة الى الله، منذ كتب الرسول صلى الله عليه وسلم الى الملوك والأمراء في داخل أرض العرب وخارجها، واقتدى الخلفاء والقواد والائمة والملماء والدعاة بصفة عامة .

وفي هذا الشأن ناحية عامة يجب التنبيه عليها، أملتيا على حركة التأليف في هذا العصر وما تفرغ منه من كتب في الغزو الفكري وجهود المبشرين - أنبه عليها حتى لا تنفيح اليهود من غير كبير فائدة

انني لا أنكر على المؤلفين جهودهم - ولا يالغت هذه المكانة وهي نافعة ان ماء الله اذا كتبت بنية خالصة لوجه الله، لكنني ستبيحهم عذرا اذا قامت : إنّ البعض مؤلفون وليسوا دعاة، وجزاهم الله غير أنهم يفتحون أعين الدعاة على موا ان الغار، وشرائط يدخل منها الاعداء علينا، وان كان الكثير منها مكررا ومعادا . ولو وجهوا جهودهم الى الدعوة فعلا بالتركيز على العقيدة، وملاءمتها للشائسة وبلغة سليمة سهلة، تنزيل العبيات وتوضيح الحماض في رسائل منيرة مبسطة مترجمة . ثم متابعة أثرها بين غير المسلمين او فعلوا ذلك لكان أجدي .

ان سلبيا ان الاحتساب في دعوة غير المسلمين دائر المجتمع الشافعي كثيرة عنهم :

١- اعمال الاتصال المباشر رغم امكانه ومسهلته لدر من اعتبار الدعوة بها دا " وجاهدتم به جدا كثيرا " ان الى بيبياريد بالحمة والموعظة الحسنة ويا نلهم يا نبي مني أحسن " والتماء ر تعود على أهل الكتاب، والحاش على الاتصال

المباشر واضح في كتاب الله .

٢- التركيز على الجانب الذارى أى أن المعنيين بقضايا العالم الإسلامى -

قصروا اهتمامهم على جانب الكلام فى معالم الاحيان فتد كتبوا وحاضروا كثيرا فى المؤتمرات على العالم الإسلامى والفرارات عليه، وكيفية مهـر المستشرقون واعداء السلام بصفة عامة فى التخاطب والتنفيذ .

ان التوفيق عند هذا الحد من الجهد الذارى يصيب الدعوة بكارثتين:

الكارثة الاولى : "اهمال التربية العقدية" وكان عليهم التركيز على

التوحيد وكيفية استجابة الفارة له ثم الانطلاق بعد هذه الركيزة الى ما بعدها من الاهداف الاسلامية .

الكارثة الثانية : تفريغ مفهوم الدعوة الاسلامية فى كلام، دون الانتفاع

بخلاف الاهداء وأحداث التاريخ ومحاربتهم بنفس سلاحهم . أقول ذلك لأنه

يندب على الأهم الأغلب فى عالمنا الإسلامى/وأنا أكتب رسالة عامة فلا

ينقص ذلك من قدر جهود مشكورة تبذل بتخاطب وفاسلية لنصر السلام، بين غير

السلاميين فى ديارهم أو ديارنا، من دواك ومؤسسات تهتم بالدعوة التى

الله وتغدى على الدعوة بسنماء .

٣- وثالث السلبيات: تفرق الدعوة، واختلاف نزعاتهم واهوائهم فى تحديد

وسائل الدعوة فبدلاً من التواصى بالمعق والعبير والاشهاد على كلمة سواء

على أساس من الاعتصام بحبيل الله .

بدلاً من هذا تعددت المذاهب واختلقت الفرق حتى وصلت المسألة الى

نخطة بينهم البعض لدرجة تعرفت سير الدعوة، والوارب أن يوحدوا جهودهم

على سوا الربيم المستقيم، بدءاً بأعرفنا المبرون، وأذكر المذكر . مقدمين

الأهم على المهم من غير اجمال ولا تعدد .

الآن الاحتساب بصفة عامة، وعلى غير المسلمين بصفة خاصة، يحتاج إلى
تضافر الجهود كما يحتاج إلى تخليد وانح المعالم، وثابت الخاوات حتى يثمر
العمل وتفيد الحركة ويظهر الأثر بشرط لا يد منه: وهو الاخلاص في القول والعمل
حسبة لله .

أما هواة الظهور، والاكثفاء بالمحاضرات والابوعات من غير حركة تتقدم
بالدعوة، وتفيد المسلمين وغير المسلمين، فاعتقد ان هذه قمة السلبية وأن -
ماريقتهم هذه لا تفيد غيرهم في شيء وان لبسوا ثوب الحماسة وأخذوا شكل الدعاة .

فلنأخذ حذرنا :

وفى ختام هذا المبحث أنبه على مدى خاورة غير المسلمين —
داخل المجتمع السلمي : ان بعض الدول تركت لهم العيل على الغارب ولم
تحاسبهم على مذآراقهم ما دامت غير منلة بالأسن، وجعلوا أن مزاولة المنكر
اعتداء على المجتمع السلمي بأسره، وأمنه وسلوكه يتكوينه فتلأعن التتداء
على سرع الله .

وبعض الدول رادت الالين بلة وجمعت بين العستين، بين تركهم وما يفعلون ،
وبين التمهيد لهم والاعتداء استقبالهم وتنقلاتهم، وتديئة كل وسائل المنكرات
لهم، بل أنشئت وزارات السياحة بالدرجة الأولى لالأسهر على راحة هؤلاء العابثين
المنرضين، وأحالتهم بالعناية والرعاية، وهم يسكرون ويعربدون، ويعبثون بكل
القيم والمثل، باسم التقدم والتحرر وتنديع الحركة السياحية — ولو أدى —
ذل إلى نيل الدين والمجتمع/ وهذا ما حدث ويتحدث حتى صارت بعض المجتمعات
السلامية نهب الاليس وإشاعة الفساد، ولقد كانت دولة ما تفتخر بانها الدولة
السياحية الأولى في الشرق فألت إلى التمزق وهي في الاريق إلى الزوال من
خرياة الدنيا إذا لم يتداركها الله برحمته ، وهذا المصير ينتار دولا كثيرة
في عالنا الالامي العجيب .

ونرجو الله جلت قدرته أن ينصر دينه وان ينمو ويزدهر ويزيد عدد
الداخلين فيه على يد مخلصين يهبون " حبة لله" للمحافظة على الشريعة
وتربية الناس على العقيدة والدعوة إلى الله على بصيرة إنه قريب مجيب (٣١)

(٣١) انار كتاب : في الدعوة إلى الاسلام بين غير المسلمين — تأليف المستشار

محمد عزت، دار الدعوة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١٠٠

وبعد، فإن دور الاحتساب لا ينتهي عندما يعلن أحد الذميين أو
 المتأمنين أنه قد أسلم، بل إن تعهده يصبح أشد ضرورة من نا يتين :

الأولى: أن نتخوله بالمراجعة وبيان سزيد من زوايا السلام، وجوانب الكتاب والسنة
 حتى نحصنه من الردة، أو السير خلف آراء منحرفة، أو نخلة بخيلة

الثانية: الخوف من التزييف والخداع، وأن يكون قد أعلن إسلامه في ظروف بعيدة
 عن الفهم والتمتع، أو تقية ومداراة، وذلك يحتاج إلى مداومة الاتصال،
 والبوالة، والملاحظة للتأنيق والسلوك .

حسبة أولى الأمر على الذميين والمستأمنين

ان ماسبق الكلام عليه ما ينبغي أن تكون عليه الحسبة ، هو : حسبة الأفسراد
وقد ترقى الى حسبة العلماء . . على الذميين والمستأمنين - وهي حسبة فعالة ومفيدة
وذات نتائج مرضية ، ان أخلص عامة المسلمين ، ومن ورائهم جهود العلماء العاملين .
إذا أضيف الى ذلك مساندة الحكام ، ورغبتهم في نشر الاحتساب ، والقيام علمياً
بنشر الدعوة ومؤازرة الدعاة ، فالبشرى والنعمى والنتائج الباهرة ان شاء الله .
ولقد علمنا القرآن الكريم كيف ندعو أهل الكتاب ونجاد لهم بالتي هي أحسن ،
ونوجههم الى ما فيه خيرهم فى الدنيا والآخرة . ولقد دلت الرسول صلى الله عليه وسلم
والخلفاء الراشدون من بعده ، فلم يعد يميزنا - والحمد لله - العلم ولا التطبيق .
وإذا تصفحنا التاريخ ، وجدنا كثيراً من الحكام والامراء والقواد ، اتجهوا نحو هذا العمل
العظيم ، فأثمرت جهودهم ، وأسلم على أيديهم الكثيرون من أهل الذمة بصفة خاصة ،
والمتصلون بهم من غير المسلمين بصفة عامة .
وقد ألمنا بطرف من حملة الظاهر بيبرس بالتتار وأثره فى نشر الدعوة ونموها .
وسأختار أيضاً هذه المرة الخليفة الراشد ، عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، كمونج يحتذى
فى الدعوة الى الله بين الذميين ، من قبل أولى الأمر .
وقد اخترته رضى الله عنه للأسباب هنا : أنه رضى الله عنه ، جعل مهمة الحسبة
على الذميين ودعوتهم الى الاسلام ، فون كل الاعتبارات ، عتى الشؤون الاقتصادية ، السنى
كان يعتبرها من سبقه فى المرتبة الأولى من الاهتمام .
فقد بعث رضى الله عنه ، برسائل الى العمال ، يحثهم فيها على دعوة أهل الذمة
الى الاسلام ، لأن ذلك غاية بعثة الرسل ، وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم .
(٣٢)

(٣٢) أنظر رجال الدعوة والفكر ص ٥٠ ، وسيرة عمر بن عبد العزيز ص ٧٨

(٤) سلا صد التاسع : التى حرت فى « حسبة الراعى على الرعية » ويضاف الى
هذه الأسباب ص . . .

وأثمرت دعوة الذميين الى الاسلام ، فدخلوا في دين الله أفواجا، حتى صار ذلك مما يشغل القائمين على بيت المال ، حيث قلّ دخل الجزية ، وهى من أعظم موارد بيت المال .

فشكا بعض العمال لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، بأن مايجبى من الجزية قد تضاعف ، فان اسلم أهل الذمة جميعا سقطت عنهم الجزية ، وخسرت مالية الدولة الاسلامية خسارة باهظة .

فلما بلغت الشكوى ، عجب لمفهوم هو " لا القوم ، وكيف ترسب فى أذهانهم هـذا الأمر . وأجاب بهدوء وثقة، تزلزل هذا الدخن فى الرؤوس ، وكتب الى من شكاه تلك الكلمات الخالدة :

" ان الله جل ثناؤه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا الى الاسلام ، ولم يبعثه جابيا (٣٣)

وقد كان هذا دبره رضى الله عنه : كلما تعارضت أى مصلحة مع المصلحة الشرعية ، فانه يرجح المصلحة الشرعية من غير تردد ، ومن رجع جانب الشرع رجحت كفته فى الدنيا والآخرة ، ومن ضيع المصلحة الشرعية فى سبيل عرض من أعراض الدنيا، أليس الله شوب الذل والصفار فى الدنيا والآخرة .

وقد كتب رضى الله عنه الى عامله على اليمن عروة بن محمد يقول : " أما بعد : فانك كتبت التى تذكر أنك قدمت اليمن ، فوجدت على أهلها ضريبة من الخراج مضروبه ، ثابتة فى أعماقهم كالجزية ، يؤءونها على كل حال ، ان أخصبوا أو أجذبوا ، وحيوا أو ماتوا . فسبحان الله رب العالمين ، ثم سبحان الله رب العالمين ، ثم سبحان الله رب العالمين (٣٤)

.. اذا أتاك كئيبى هذا ، فدع ماتتكر من الجاغل، الى ما تعرفه من الحق ، ثم اثتشف الحزف ساعمل به بالفا بى وبك ، وان أحاط بمعج أنفسنا ، وان لم ترفع القى من جميع اليمن الا حفنة من كتم ، فقد علم الله أتى بها سرور ان كانت موافقة للحق والسلام (٣٥)

فانما رقت الله أروى الأمر من الحكام فى توحبه الدعوة الى الاسلام وسط غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى من ذميين ومستأمنين ، فان الوسائل على أيدىهم متكررة وتتجاح

والجنى يدنو ويقطف، عن طريق الاتصالات وأجهزة الاعلام . وما دام العمل حسبة لله فسوف يثمر ان شاء الله .

ولأثره، المقام قبل التنويه بشيء ضرورى وهو : ان الحسبة فرض عين على أصحاب الولايات كل فى دائرة ولايته . ألا يكون أرباب العمل مسئولين عن دعوة من يعطون تحت أيد ييهم من ذميين ومستأمنين ؟ . .

وهذا المعنى يتفق مع ما قرره الرسول صلى الله عليه وسلم من واجبات تناط بأصحاب الولايات فقد روى الامام مسلم عن عبد الله بن عمران النبى صلى الله عليه وسلم قال " ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " فالامير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنه والعبيد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته (٣٧)

الفصل الثاني :

إهتمامنا على الإعلام

- تمهيد :
- التعرف بالإعلام .
- الإعلام قديما وحديثا .
- إعلام الأعداء .
- موقف المسلم .
- أهداف الإعلام في المجتمع الإسلامي ...
- المسائل الإعلامية وأثرها ...
- ما ينبغي أن تكون عليه .
- الحواجز ..
- تكليف إهتمامنا على الإعلام .
- توصيات ..

الفصل الثاني

الحسيبة على الاعلام

تمهيد :

لست بصدد البحث عن نشأة الاعلام ، والمتغيرات الكثيرة التي تطرأ على أشكاله وألوانه .

ولكنني بصدد الاحتساب على ما قد تقدمه وسائل من الاعلام من مواد قد تكون مجلبة للمفسدة في المعتقد ، أو السلوك أو تكوين المجتمع الاسلامي واستمرار نموه ورقية . نتيجة لما قد يدس فيها من فكر وافتد .

وما كان الاعداء ليمدروا لنا الخير ان أخذنا عنهم ، ما لم تكن عين المسلم بصيرة اولهم فراسة المؤمنين ، كي يميزوا بين الفت والسمين ، وعوامل البناء ، ومعاول الهدم ، حتى لا يختلط عليهم الأمر .

وسواء قدمت الأفكار السامة عن سوء نية أو عن غير قصد ، فلم يعد لنا عذر بعد أن رصد عشرات المؤلفين حركة الاعلام ، وألفوا في ذلك كتباً كثيرة ، ما بين مترجم أو مستنبط من وقائع التاريخ المعاصر والحقائق البارزة الموثقة .^(١)

فمن أراد شهادة على ما يتسرب عن طريق الاعلام من الافكار الوافدة فيخل ذلك بالعقيدة والساوك والقيم والاهداف السامية فليقرأ المراجع في هذا المضمار ، ليعرف كيف تمت المؤامرة على العالم الاسلامي ، وكيف نفذت الفارة عليهم في جميع أقطاره ، ثم كيف كان الاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي ، وكيف كان الغزو الفكري الذي سخ كل شيء فأصبحنا أثراً بعد عين وصارت حصوننا مهدمة من داخلها .

(١) من هذه التأليف :

- (١) الفارة على العالم الاسلامي - ترجمة محب الدين الخطيب .
- (٢) المؤامرة على الاسلام - أنور الجندي
- (٣) حصوننا مهدمة من داخلها - د / محمد محمد حسين وله أيضاً: الاسلام والحضارة الغربية
- (٤) نحو التربية الاسلامية - أبو الحسن الندوي
- (٥) التبشير والاستعمار في البلاد العربية - مصطفى هالدي وعمر فروخ - وغير هذه الكتب كثير وكثير .

وكي المؤلفين الذين دارت مؤلفاتهم حول هذه الافكار والنتائج، أكدوا بأدلة دافعة، وبمراعيين ساطعة، دور اليهودية والصليبية والشيعوية في افساد الاعلام، بالذکر الوافد والتخليط المدمر داخل المجتمعات الاسلامية، وهوؤلاء المؤلفون الذين يستشهد بهم على هذه الدعوى، وصلوا بكثرتهم وسلامة معتقدتهم، واخلاصهم وغيرتهم، وجدد راساتهم، ما يجعلني أقرر، أنهم جمع يوء من توطؤهم على المبالغة أو البعد عن الحقائق .
 اذ لك نأني سأبدأ من حيث انتروا - لأنني بصدد البحث في الاحتساب على الوسائل الاعلامية .

والاحتساب انما يتأكم اذا ظهر المنكر بأى طريق من طرقه الصريحه أو الملتوية أو حيث يتوقع ذلك .
 فدور المحتسب، ان :

- (١) سد الذرائع حتى لا يجد المنكر منفذا .
- (٢) التحذير من التفريط أو فتح الشغرات للمنكر عن طريق النصح والترجيه .
- (٣) تغيير المنكر اذا رآه المحتسب يمارس ويتوالى ، حسب الامكانات المستطاعة بهذرو فطنة .

وذلك لأن الاحتساب على وسائل الاعلام ليست كلمة تقال، يراد منها تغيير المنكر بمجرد ايقانه، ولكن التغيير هنا : قد يستدعى اقتراح البدائل ، وتقد يميها في حدود الاعتدال الذي يفى بالمطلوب من غير إسراف ولا تفتير .

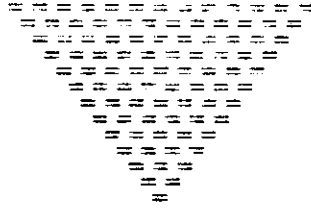
وشرط الاعتدال هنا وارء، حيث لا يطلب من المحتسبين تقديم عشرين ساعة من البحث الاذاعي في كل يوم وليلة . أو عشر ساعات (قد تزيد) من البحث في التلفاز، أو ملأ أربع عشرة منحة في جريدة يومية، لأن هذه المدة أو هذا القدر من الاعلام منكر يجب الاحتساب عليه لما فيه من الاسراف وتضييع وقت العبادة والعمل .

ويعمل . . .

تموضن الاحتساب على وسائل الاعلام موضوع جم الفوائد لكه متعدد الجوانب مترامى

الأطراف . كمبر الشماب والمنعافات، والنقاط التى سأتناولها ان شاء الله هى :

- * التعريف بالاعلام
- * الاعلام قديما وحديثا .
- * اعلام الاعداء وآثاره .
- * موقف المسلمين من اعلام الاعداء .
- * أهداف الاعلام فى المجتمع الاسلامى .
- * الوسائل الاعلامية وأثرها .
- * تكيف الاحتساب على أجهزة الاعلام .



التعريف بالاعلام

—————

الاعلام مصطاح عربي قديم . يعنى ابراز الشئ وشيوعه بطرق متعددة .
ومن يطالع مادة علم فى المعاجم العربية يجد أنها تفيد : الكلمة ، والصورة ، كما تفيد
الاعلان .

وتلك سمات الاعلام فى الاستعمال المتداول الآن . جاء فى لسان العرب : أعلم
الغارس : جعل لنفسه علامة قال الاخطل :
ما زال فينا رباط الخيل معلمة

(٣٨) وفى كيب رباط اللوم والمعيار

(٣٩) وفى المعجم الوسيط : أعلم نفسه وفرسه : أى جعل له علامة فى الحرب

ويبدو أن استعمال كلمة الاعلام أخذت معنى الاعلان فقد جاء فى المعجم الوسيط :
" الاعلان : اظهار الشئ بالشرعه ، والعلانية خلاف السر ، وأعلمه : أظهره
(٤٠)
وجهره

ومن الكلمات التى تفيد معرفتها فى هذا الباب كلمة " أذاع " ومعنى ذاع : انتشر
والمذياح " : من لا يكتم سرا ، وأذاع سره : أفشاه (٤١)

وفى تفسير قول الله تعالى : " وانذا جاءهم أمر من الأمن أو الغوف أذاعوا به " (٤٢)
يقول الامام القرطبي : أذاعوا به : أى أفشوه وأظهروه وتحدثوا به قبل أن يقفوا على
حقيقته . (٤٤)

وفى تفسير زاد المستير يقول ابن الجوزى : " أذعوا به قال ابن قتيبه : أشاعوه :
وسبب النزول على قوايين :

(١) أن النبى صلى الله عليه وسلم لما اعتزل نساءه دخل عمر المسجد فرأى الناس

يتحدثون . . فنزلت الآية

(٣٨) اللسان طبعة بيروت مجلد ١٢ مادة علم م

(٣٩) الوسيط طبعة ثانية ح ٢ مادة علم م

(٤٠) المرجع السابق مادة علم ن (٤١) القاموس المحيط ج ٢ مادة ذاع

(٤٢) سورة النساء : ٨٣

(٤٤) تفسير القظيم ج ٢ ص ٢٩١ طبعة دار الكتاب العربى .

(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث سرية فخلبت أو غلبت تحدثوا بذلك وأنشوه ولم يصبروا حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو المتحدث - فنزلت (٤٥)

ومن الكلمات التي تأتي بمعنى الاعلام (الأذان) يقال : أذانه : علم به قال تعالى " فأذنوا بحرب من الله " : أى كونوا على علم به ، وأذن تأذينا : أكثر الاعلام . (٤٦)

والأذان في الشرع : اعلام بسوقت الصلاة ، والأمل في الأذان الاعلام ، قال تعالى : " وأذن في الناس " ، " وأذن من الله ورسوله " أى إعلام (٤٧)

نعود الى تفسير كلمة الاعلام لخبر من فسرهما فمس قرأت لهم وهو صاحب المفردات ، حيث يقول رحمه الله " أعلمته وعلمته في الأمل واحد الا أن الاعلام : اختس بما كان بأخبار سريع . والتعليم : اختس بما يكون بتكرير وتكثير ، حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم .. ثم قال : قال بعضهم : التعليم تنبيه النفس لتصور المعاني ، والتعلم : تنبيه النفس لتصور ذلك وربما استعمل في معنى الاعلام ، اذا كان فيه تكرير (٤٨)

وأن المستعبد لكلام الاصفيهانى لا يفرق بين التعليم والاعلام كثيرا .

• ولما كان للتعليم الآن سمات معينة ، وبرامج مميزة ، ومراحل معروفة ، أمكن أن أقدر

أن الاعلام يشمل كل وسيط قافى ترعيه يصل من طرف الى طرف .

والمفكرين لا يزالون يختلفون حول تعريف دقيق لمفهوم الاعلام في العصر الحديث .

" وقد جاء التعريف الذي قدمه العلامة الالمانى " اوتوجروت " معبرا تعبيرا موجزا وشاملا

بمعنى الاعلام حيث قال : " الاعلام هو التغيير الموضوعى لعقلية الجمهور ، وروحه وميوله

واتجاهه في نفس الوقت . " ورغم ما أحيط بهذا التعريف من اعجاب مؤلف كتاب " الاعلام (٤٩)

الاسلامى " فان تعبير " اوتوجروت " يقبل على حذرونى حدود التحفظ ، الا اذا أردنا

بالجمهور : المجتمع الاسلامى الملتزم بالشرعية الاسلامية . حتى صار هواه تبعاً لما جاء

به النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤٥) تفسير الامام ابن الجوزى (زاد المسير) ج ٢ ص ١٤٦

(٤٦) المفردات في غريب القرآن ص ٣٤٣

(٤٧) القاموس المحيط ج ٤ مادة أذن

(٤٨) المغنى لابن قدامة ج ١ ص ٤٦٢

(٤٩) الاعلام الاسلامى : د / محيى الدين عبد الحليم - استاذ الاعلام المساعد

وقد استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم وسيلة الاعلام عن طريق الشعر خيرا استعمال وكانت أشد على الكفار من وقع السهام وضرب السيوف، وقد لقب حسان بن ثابت رضي الله عنه بشاعر الرسول، وكان الرسول يعرف موهبته ويرعاها، كما كان يعين لحسان ولغيره المصدر والمرجع، اذا التبس عليهم نسب، أو يوم من أيام العرب. وما عليهم الا أن يسألوا أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

وكم انتدب الرسول صلى الله عليه وسلم حساناً رضي الله عنه لهذه المهمة وكم أحسن حسان بمكانته، فسروفرح. روى الامام مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اهجوا قريشا فانه أشد عليها من رشق بالنبل" فأرسل الرسول ابن رواحة فقال اهجهم فهجائهم، فلم يرض. فأرسل الى كعب بن مالك، ثم أرسل الى حسان بن ثابت. فلما دخل عليه قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبيه. ثم أدلج لسانه فجعل يحركه: والذي بعثك بالحق لأقرينهم بلساني فرى الأديم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاتعجل فإن أبا بكر أعظم قريشاً بنسبها، وإن لم يفيهم نسباً حتى يلخس لك نسبي" فأتاه حسان ثم رجع فقال: يارسول الله قد لخص لي نسيك، والذي بعثك بالحق لاستكأ منهم كما تسل الشعرة من العجين.

قالت عائشة: فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان "إن روح القدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله" (٥٤)
وقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "هاجاهم حسان فشنى واشتقى" (٥٥)

(٥٢) قال العلماء شبه لسانه بالذئب - وأدلج لسانه أي أخرجه وحركه - كالفارس يلوح بسيفه ويضرب به الهواء استعداداً للمعركة. واللسان سيف حسان وأمثاله.

(٥٣) لعل لخص هنا بمعنى خلص - وقد تكون بمعناها الحقيقي. أي حتى يوجزل لسك نسبي لتكون على معرفة به.

(٥٤) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٩٣٦ طبعة رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوى والارشاد.

(٥٥) نفس المرجع السابق - وشفى: أي شفى المؤمنین، واشتقى هو بما ناله من أعراض الكفار وما دفع به عن الاسلام والمسلمين.

وإنما كان هذا موقفه صلى الله عليه وسلم مع حسان وغيره من شعراء الدعوة الإسلامية كان على العكس مع شعراء الأعداء ، لدرجة أنه صلى الله عليه وسلم كان يهدر دمه إذا اعتدوا على الإسلام من أي ناحية ، يروي صاحب كتاب مكاييد يهودية : أن اليهود سلطوا شاعرين من شعرائهم ليدء معركة التحدي الظاهرة وهما "أبو عفك" و"كعب بن الأشرف".

أما الأول :

فأخذ يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويحرض على قتاله فتارت ثائرة أحد المؤمنين وهو "سالم بن عمير" ، وغير المنكر بيده ، وترسب به حتى قتله ، ليطفى نار الفتنة ، وكان العهد الذي بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين اليهود يسمح بذلك .

أما الثاني :

وقد لقي نفس المصير وذلك أنه لما زاد شره وخطره على المجتمع الإسلامي ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى بأبن الأشرف ؟ وانتدب لقتله محمد بن سلمة ونخر من الأوس فقتلوه . (٥٦)

ما يؤخذ مما تقدم :

ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في استخدام الشعر كسلاح اعلاى في المعركة بينه وبين الأعداء - وما كان من موقفه صلى الله عليه وسلم من شعراء الأعداء ، يمكن أن نأخذ ما يأتي :

- ١- أن الرسول صلى الله عليه وسلم قاتل الأعداء بمثل سلاحهم وأعد لهم ما يستطيع من قوة للرد والردع ، وبذل في ذلك أقصى درجات الانفجان تشجيعا واستعمالا للمعرفة بمدى خطورة هذا السلاح الاعلامى .

(٥٦) مكاييد يهودية (بتصرف) ص ١١٠ ، وحديث قتل كعب بن الأشرف فسوى صحيح مسلم تحت عنوان : باب قتل كعب بن الأشرف طاغوث اليهود " ونسب مسلم عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لكعب بن الأشرف فإنه قد أذى الله ورسوله " والحديث مطول فليرجع اليه فسوى " المجلد الثالث ص ١٤٢٥ طبعة ادارات البحوث "

١- كما تأخذ مدى حيطة صلى الله عليه وسلم في استعمال هذا السلاح حتى لا يختلط الحابل بالنابل . والمصلحة بالمفسدة ، فإذا كان الأعداء ينالون من الإسلام عن طريق سب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيجب ألا يكون ذلك على لسان شاعره حسان حتى لا يتندروا الأعداء ويشمتوا . فكان لا بد أن يسئل كما تسئل الشجرة من العجيين .

٢- كما تأخذ أنه لا يتهاون مع الأعداء إذا حدث منهم عدوان على العقيدة أو اضعاف لها بطريق مباشر أو غير مباشر . . ولو كانت وسيلة الردع هي القتل . وهل يتهاون مع من يحارب الله ورسوله ؟!

٤- المشاورة والتخطيط للوصول الى الوسيلة التي تشفى الغلة وتريح المسلمين من شر الأعداء ، وقد بدا ذلك واضحا في التخطيط مع حسان في كيفية هجاء قريش . وتخطيط محمد بن سلمه ومن معه رضى الله عنهم في كيفية القضاء على كعب ابن الأشرف هــ ذاً :

ولاننسى أن الإسلام لم يقبل الشعر على إطلاقه ، فحرم منه ما لا يتفق مع أخلاق المسلمين التي جاء بها الإسلام واستعمله بقدر الحاجة التي تجلب المصلحة وتدرأ المفسدة ، وأن الإسلام اتخذ الوسائل الأخرى للإعلام مثل الخطبة والآذان والنداء كما لزم ذلك . كما اتخذ الرماة والكتب . . وما كانت الهجرة للحبشة لتخلو من الغوائد الإعلامية . كل هذا يجب أن يضعه المحنسون أمام أعينهم، وليكن لهم في رسول الله أسوة حسنة ، كما احتسبوا على الإعلام، أو قدموا له شيئا أو رأوا في مواد ما يستهدف الدين واليقيين والشريعة وعلماءها والمجتمع الإسلامي .

اعلام الاعداء وآثاره

أعداء الاسلام لا ينامون ، ولا يعلون التخطيط لضرب الاسلام ، وهدم المجتمع الاسلامي ، ،
فهذا احد فهم الأسمي ، ومن قال بغير ذلك فهو بعيد عن حقيقة الاعداء .

وكأن بأعداء الاسلام يقولون بحقد دفين : اذا كانت المساجد لاتزال تذكر فيها
اسم الله ، وتذكر الناس بربهم رد بينهم - ركس من المدارس والمعاهد تدرس ماتيسر من
المواد الدينية ، واذا كل ادى المسلمين علماء تفقهوا في الدين فصاروا مرجعاً فسي
العقيدة والسلوك .

فاننا أصحاب الفكر الوافد، نطأ، أجهزة الاعلام القوية، الواسعة الانتشار لنهدم مايبني
ونفسد باصلي .

والنتيجة التي يرجونها أن ينشأ جيل مضطرب العقيدة متناقض السلوك ، متمييع
الشخصية . . حتى اذا ماوهنت العقيدة ، وضعف اليقين ، صار الجيل لقمة سائغة
لأعداء الاسلام .

ومن هؤلاء المتبعين الذين فقدوا اليقين ، يبرز عبيد الشهرة والسمعة ، الذين
يتهاقون على المناصب والمال والأموال ، ولن يستمروا على شهرتهم ومجدهم المزعوم
الا بين مجتمع فاسد ، تسود فيه الافكار الوافدة ، فليعملوا على نشرها ، وعلى افساد
المجتمع الاسلامي لأنهم أصحاب المصلحة في ذلك . فأى فرق بينهم وبين الاعداء فسي
ديار الكفر ان ؟ . . لا فرق : وصدق الله العظيم القائل " ومن يتولهم منكم فانه
منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين " (٥٧)

موقف المسلمين من اعلام الأعداء

ليبر في استطاعة المسلمين غلق دور الاعلام العالمية ، ولا تحطيم أجهزة البث التي تنفذ الاسم الموجه عبر موجات الأشير لمختلف الأعمار والبيئات .
وليس من أخلاق المسلمين أن يبترأ ويحزنوا ويفقدوا الأمل . وهم الأعلمون بعقيدتهم وورثتهم والاعتصام بحبل الله .

وعليهم ان أرادوا الغلبة أن يتمسكوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أى ما علمنا اننا اعلام الأعداء ، الا أن نفعل ما فعله الرسول مع اعلام الكفار من اليهود والمشركين .
حيث حاربهم صلى الله عليه وسلم بنفس السلاح . . . ويوم أن نجيد استخدام اعلامنا بذلك ، وتخطيط كما كان يفعل الرسول مع الأعداء ، فسوف نشقى صدور قوم مؤمنين، ونرد كيد الكافرين ، ويصير اعلامنا عليهم أشد من وقع القنابل والقذائف، كما كان شعير حسان وغيره على أعداء الله ورسوله .

فإن عمل الأعداء على الإفساد ، علمنا على الإصلاح ، وإن خلطوا الحابل بالنابل فليكن اعلامنا نقياً على هدى من كتاب الله وسنة رسوله ، حتى يسلم من الشبهات والشبهوات والتجهيل والتضليل . حيث نعرض اسلامنا خالصاً من الشوائب/ ولدن الفطرة طريقه الى القلوب ، ان احسن المسلمون عرضه باخلاص وسلامة نية .
وهذا يجرنا الى ما ينبغي أن يكون عليه اعلامنا نحن معشر المسلمين .



أهداف الاعلام في المجتمع الاسلامى

~~~~~

الواحد أن تتجه أهداف الاعلام في المجتمع الاسلامى الى ما تهدف اليه الشريعة الاسلامية من جلب المصلحة ودرء المفسدة ، فان داهمنا الخطر كان درء المفسد مقدا ما على جلب المصالح . .

المعلم

وذلك، فان على القائمين بأمر الاعلام والمحتسبين على الاعلام بمختلف وسائله/ أن تكون أهداف البرامج والمطبوعات تتجه نحو : الوقاية من المنكرات ، والعلاج بكل الوسائل ، وقرار اعلام الأعداء ، والدعوة الى الله . .

ولامانع من التعليق على أهم هذه الأهداف بايجاز .

أولاً : جانب العقيدة والعمل على سلامتها ، وذلك باخلاص العبودية لله ، والتنبيه السريع الواضح الى أى شائبة تمس التوحيد ، وسد الذرائع المرصلة لشيء من هذه الشوائب .

ثانياً : الحفاظ على الشريعة الاسلامية تطبيقاً وسلوكاً اتباعاً للأوامر والنواهي ، والتركيز على تربية النفس حتى يشب ريقوى : وطاعة الله ورسوله وأولى الأمر ، هدف يسعون اليه دائما .

ثالثاً : اشاعة الحلال وتحبيب الناس فيه ، وازهار بشاعة الحرام وبيان آثاره السيئة على المجتمع ، حتى يبغضه الناس والحث على الأخلاق الفاضلة التى يجب أن يتحلّى بها المسلمون الأفراد والجماعات ، وذلك مثل : الحب فى اللسنة ، والتعاون على البر والتقوى ، والتناصر لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، ونشر محاسن المسلمين، والستر على عيوبهم الى غير ذلك من أهداف المعيشة النبوية .

رابعاً : تنمية روح الاحتساب فقها وتطبيقها حتى يتجدد جهاز الصيانة داخل المجتمع الاسلامي ، الذي يعمل على التذكير بأوامر الله ونواهيها، ويتحراه، للتفجير والنهي ان بدأ انكر أو مهد له ، حتى يصير عرف المجتمع احقاق الحق ، وابطصال الباطل وأفراده لا يخشون في الحق لومة لائم .

خامساً : احياء التراث وبعث اليراح المعطية التي تستعيد نبوغ المسلمين في العلوم التجريبية ، لتعوض بعض مآلات من الاختراع والانتاج . والحضارة الصناعية .

سادساً : الحرر على هاتينغ الناس في معاشهم ومعادهم ، والبعد عما يضيع الوقت بدون فائدة وما قد يؤدى الى الضلال والعيان بالله .

والأمر فى حاجة الى ايضاح مرجز يكون مقياسا لملاحظة المحتسبين فى هذا المصا ر . فما ينفع الناس فى الدنيا والآخرة أن ينصرف الاعلام الى ثلاثة أمور:  
١- التفكير فى آيات الله . . وهذا من شأنه تثبيت العقيدة <sup>(لدى المهتمين)</sup> وإثارة التفكير نحو الخالق لدى غير المسلمين .

٢- التفكير فى كيفية استغلال هذه الايات فى عمارة الأرض .

٣- دراسة تاريخ الامم السابقة لأخذ العظة والعبرة .

ولقد شغل المسلمون بثلاثة الأمور فى العصور الأولى ، فسلمت عقيدتهم وسلم مجتمعهم وادنت شمار حضارتهم فقطف منها المقاصى والدانى .

هذا : والوسائل المؤدية الى تحقيق مقاصد الشريعة الاسلامية كثيرة وممكنة فى حدود : الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشبهات من الأفيد والأصلح تركها اسدا للذرائع ، فمن وقع فى المشبهات وقع فى الحرام كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(مسلمين)

سابعاً : الدعوة الى الاسلام وتوجيه ذلك للجاهل لكي يعلم، ولغير المسلم كي يتعرف على

الاسلام ، وعلى من يوجه البرامج لغير المسلمين :

١- أن يوضح معالم الاسلام وأن يزيل الشبهات التي ألقها الأعداء بدين

الفتنة .

وهو

٢- الدعوة الى التوحيد الملائم لتلك الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، ونبيذ

الشراي الذي لا يتلائم مع العقل أو التفكير السليم .

٣- تقديم الحلول الاسلامية التي تجيب عن أسئلة ملحة في نفوس المشركين .

٤- عرض القدوة الحسنة في رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين

ومن سار على صراط الله المستقيم .

هذا بعض ما ينبغي أن يكون الاعلام عليه في المجتمع الاسلامي، والذي يبيث من

بين ابناء الأمة الوسط وخير أمة أخرجت للناس .

والتأتمون على أمر الاعلام محتسبون لله فيما أسند اليهم من أعمال ، وهم

مستنولون أمام الله ثم أمام مجتمعاتهم عما ولوا عليه .

والمحتسبون حسبة عامة من عامة المسلمين مستريحون ناعمون بما يرون ويسمعون .

أما اذا أسند الأمر الى غير أهله، وقدم للمسلمين كل ما هب ودب من غير تمييز

بين الحلال والحرام ، والسنة والبدعة . وجب على المحتسبين التحرك للبحث

عن المسئول، والاحتساب عليه بكل وسائل الاحتساب الممكنة، بالطرق التي مرت

في الاحتساب على الاجهزة الادارية حتى يحقق الله لهم ما يهدفون اليه من

اصلاح .

\*\*\*\*\*

## الوسائل الاعلامية وأثرها

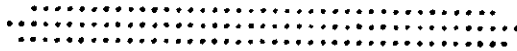
~~~~~

تعددت وسائل الاعلام وكثرت ، وأصبح العقل البشري بما وفقه الله يخترع ما يوسع من دائرة السمع والبصر بالآلات متلاحقة ومخترعات كثيرة .

ومن هنا تعددت وسائل الاعلام وكثرت بمختلف الالوان والاحجام . والاحتساب لا ينصب على الآلة ولكن على ما يُؤدى بواسطة هذه الآلة ، أى أن المحتسب يعتمد على من وراء وسائل الاعلام .

وأشهر الوسائل الاعلامية الآن هي :

- ١- وكالات الأنباء
 - ٢- الاذاعة - وما يلحق بها من أشرطة تسجيل .
 - ٣- الصحافة - وتشمل الجرائد والمجلات
 - ٤- التلفاز - وما يلحق به من جهاز التسجيل للصوت والصورة (الفيديو)
 - ٥- الكتب وما يلحق بها من نشرات ومطبوعات .
- ولينف عند كل وسيلة لبيان ما ينبغي أن تكون عليه في المجتمع الاسلامي والتحذير من الوقوع في أخطاء تشكل منكراً موجباً للاحتساب .



أولاً : وكالات الأنبياء

وهي من مصادر الأخبار العالمية والتي تتصرف فيها بالطريقة التي تروق للمسيطرين عليها .

وعلى مصادر الأخبار هذه أن تلتزم الحيادة والأمانة تجامل أو تحابي . والأول تطير من الأخبار ما يسيء إلى سمعة الإسلام والمسلمين، عن طريق بتر الخبر أو تحريفه، ثم ينتشر عن طريقها إلى كل أجهزة الإعلام في العالم .

كما أن عليها أدباً تحببك عمليات التعميم على ظلم وقع على المسلمين، أو نصر تحقق لهم، لأنها إن فعلت ذلك فقد خانت مهمتها، وأصبحت حليفة لأعداء الإسلام الحاقدين .

ولما كان الزايف المريب أكثر عداوة معظم هذه الوكالات للإسلام والمسلمين .

فالاحتساب عليها يمكن في إنشاء وكالة أنباء إسلامية يتبعها مكاتب في أنحاء العالم لتكون مصدر كل خير صادق مطابق لما حدث، وأن تهتم بقضايا المسلمين وتسهم في الدفاع عما يصيبهم أو تنقل آراءهم واهتماماتهم .

ولو حدث ذلك لصارت وكالة الأنبياء الإسلامية ، من وسائل الإعلام الإسلامي ، والدعوة

إلى الإسلام على مستوى العالم كله .

ولكن كانت وكالات الأنبياء العالمية خارجة عن إرادتنا ، وبعيدة عن نطاق سيطرتنا

فبقية وسائل الإعلام يمكن التحكم فيها والاحتساب عليها بالانكار والتغيير وتقد يــــم

البدائل .



ثانياً : الاذاعة

الكلمة المسموعة أشيع وأسرع تسمعها كل أذن، ويخاطب بها الجاهل والمتعلم والصغير والكبير.

وجاز المذياع لا يحتاج الى جلسة معينة، أو مكان معين، ولقد أخذ أحجاماً وأشكالا حتى دخل كل مكان . ومن هنا صار مصدراً من أهم مصادر التأثير على ربات البيوت ، والتجار والصناع حتى الفلاحين في حقولهم . ومن هنا أيضاً صارت الاذاعة جهازاً له خطره .

• وعلى الاذاعة في المجتمع الاسلامي أن تراعى مقاصد الشريعة الاسلامية التي قامت على مصلحة العباد في الدنيا والآخرة ، فتقدم كل نافع .

وعلى الاذاعة في المجتمع الاسلامي ألا تهتم بالموسيقى العابثة والأغنية الماجنة والندس الهابط وأخبار التافهين والتافهات من أهل الغف وندجوم السينما والمسرح .

وعلى الاذاعة أن تقتصد في ساعات البث حتى لا تضطر الى الحشو والافحام ، وتصير المسألة طلب الكسب ولو عن طريق التضليل والتجهيل والمعاصي .

ان بعض المجتمعات الاسلامية لها أكثر من محطة اذاعية، كل محطة تبث ما يقرب من عشرين ساعة معظمها هراءً ومنكرات ، وعلى من يتابع أن يضع أوقات العبادة والعمل .

أما أشرطة التسجيل فهي خير زبكرة ان استعملت في تحفيظ القرآن وتجويده . واسترجاع

المادة العلمية بصوت استاذها، التأكيد الفهم، وتذكير بالمشافه . ونحو ذلك، من مظان الفائدة . لكن الشيطان وأعوانه تدخلوا فأفسدوا، وفاحت المنكرات من محلات التسجيل زبيح الاشرطة الملونة بموسيقى الرقص الشرقية والغربية . والأغاني التي منعت من بعض ^{الفريين} الاذاعات لانحطاط مادتها وأهداها . وقد سهل الأمر على الهواة فبيعت الاشرطة في كل مكان، وبأرخص الأسعار، حتى أوشكت منكراتها أن تعم .

فان انحدر مستوى الاذاعة الى مهوى التضليل وإشاعة المنكرات ، وتضييع الوقت بدون فائدة - وإذا انحدر مستوى الأشرطة لدرجة جعلتها وسيلة لتسجيل المنوعات . وجب الاحتساب على مواطن الخلل، أصبحت منكرات ^{لأنها} ظاهرة الضرر، وتدخل في حدود التفسير بالمرتبة الممكنة وهي اللسان، ممن يفقهون الاحتساب . وعلى الحسبة التنفيذية أن تتدخل

لتفقد هذه المنكرات ، فليس لآحاد الناس في ذلك الأمر باع طويل .

ثالثاً : الصحافة

تقدمت وسائل الطبع، وطرق النقل، لدرجة جعلت الصحف تجوب الأرض في بضع ساعات، ومن يتابع حركة انتشار الصحف المحلية والعالمية، يجد العاملين في هذا المجال كأنهم أعضاء في خلية نحل، لا يملون الحركة الدائبة السريعة . حتى تستلج الدكاكين والأرصفة بكل جديد طازج في كل صباح .

والصحافة كوسيلة اعلامية من أخطر الوسائل التي يناط بها نشر الأفكار وغزو المجتمعات، فالكلمة السموعة في الاذاعة قد تتلاشى وتنسى، والصورة في التلفاز محلية وعابرة . لكن الصحيفة تحفظ بين دفتيها ما تهدف اليه كلمة وصورة لسنوات وأجيال . . وأقسام المحفوظات في كل مؤسسة صحفية، تحتفظ بالانتاج الصحفي منذ بداية العهد بالصحافة حتى الآن .

فالكلمة الهادئة، والصورة الداعرة والسؤال المفرض، والاجابة المشبوهة، وغير ذلك، تجد حياتها واستمرارها في أخطر وسيلة اعلامية وهي الصحافة التي تغزو كل مكان .

لقد أدرك الموجهون للصحافة أن الصورة لها أكبر الأثر في الاثارة فلعب بها الشيطان كورقة رابحة، أصبحت عنصر التشويق والتسويق، فعرضوا مسابقات الجمال للعيون والقوام والسيفان، وعرض الأزياء والحفلات المشتركة بين رجال ونساء.. والنساء شبه عرايا . . واهتم السيارون على المجاز بصورة الغلاف فجاءوا بما شيرة للفرائز - لدرجة أن كثيراً من ضفاف القراءة يشترون المجلة لصورة الغلاف وبعض الصور الأخرى .

من أعداء التحديه من أفكار منحلة تكبها أقلام هابطة . . وإعلانات مصورة عن الخسور ^{الإسلامية} والدخال والملاهي، سواء في الصحف المحلية لبعض الدول/أو في العدد الهائل من الجرائد والمجلات الأجنبية، التي ترد البنا من دول الشر والغرب - والتي تعكس سلوكاً شعوياً منحلة وأفكاراً هدامة تخل بالعقيدة والعمل .

ولاننسى للمصحافة تاريخها الأسود فى التخطيط المدمر للقيم والأخلاق فى المجتمع
الاسلامى ، ونشر ما يدعوا الى التفرد والتبعية .

فماذا تأخذ وماذا ندع وقد ازدهر السنون بما تنتجه المطابع كل يوم . واذا أصبحت
المصحافة خنجرًا مسمرًا يطعن جسم المجتمع الاسلامى . واذا وجدنا الصحافة لا تتم
الا بتوافقه الأمر ، ووجدناها معول^{هدم} وام تعد اداة بناء .
وجب الاحتساب . والاحتساب يهدى الى أمرين :

الأول : الأخذ على اليد التى تستبيح حرمة الله ، وتعتمد على عقيدة المجتمع
ووحده وشخصيته الاسلامية .

الثانى : الأخذ على يد من يدخل الصحف الأجنبية الهدامة العثيرة للشهوات
والشبهات .

رابعاً : التلفاز

وهو جهاز يعرض الصوت والصورة معا فأصبح من الخطورة بمكان، اذا لم يُستعمل بحذر، وبعد تفكير .

لأن التلفاز بهذه العميقة العملية قد يتوجه الى الخير فيبني، وقد يتوجه الى الشر فيهدم ، موضعا الطرق والاساليب . .

فمن الممكن أن يقدم هذا الجهاز للناس البرامج النافعة، التي تحافظ على مقاصد الشريعة الاسلامية، خاصة ما يحتاج منها الى الحركة والسفر والانتقال من مكان الى مكان .

فأركان الاسلام على الرجة الأكل، كالحلأ والوضوء والهج والجهاد وغير ذلك

يمكن أن تعرف في التلفاز.

والسير في الأرض لأخذ العظة والعبرة تستطيع أن تعرف عن طريق التلفاز . ومعرفة العادات والتقاليد النافعة والتي تؤدي الى الخير والصلاح، والثقافة الهادفة يمكن أن نراها على هذه الشاشة الصغيرة كما يسونها .

والكثير النافع في أدمغة المخلمين ، ان أراد المسئولون عن أجهزة الاعلام ذلك . أما اذا دخلت يد الشياطين لتدير هذا الجهاز، فسيعرض الشر بألوانه، والفساد بفتنه ، وسرى الصور العارية، والرقن الفاضح، والمسلسلات التجارية الهابطة، والتمشيطات التي تشجع على التسبب، وتحت على التمرد، وتعلم الناس الكذب والتجح بأسم الحرية . وردد النشء - ولا حول ولا قوة الا بالله - ما جاء على السنة نجوم الفس والمجون ، بدلا مما يُحفظ من كلام الله ورسوله وما يردده علماء الشريعة، وأساتذة الاختراع والبناء .

ولا يفوتني ونحن بصدد الكلام عن التلفاز أن أنه على^① شيء مما يقدم على أنه خير . وعلى^② أمر سيكون له آثار سيئة عندما يحدث .

أما الأمر الأول : فقد حسب من يقدم برامج الاطفال أنه كما قدم ساعات أكثر كان

ذلك أحسن وأنفع لعقول الاطفال وثقافتهم .

وهذا كلام غير صحيح فتقديم القليل الهادئ الهادف ، خير ألف مرة من العرض المشير السريع الذي لم يكل ما هب ودب .

وسا يقدمه التلفزيون فيهدم ولا يبنى، ولا يورث^{الأ} سلوكا مشينا على طريقة التحصيل هو :

أن يقدم للأطفال مسلسلات غير مترجمة تتوفر فيها :

١- السرعة التي لا تلاحق حتى تشمل القدرة على التركيز.

٢- الأحداث الخرافية البعيدة عن خيال الطفل .

٣- اللغة الأجنبية التي لا يفهمها الأطفال فلا يسمعون سوى ضوضاء وجلبة .

والخاطر الخطير في هذا الأمر أنه يعود الطفل على أن يسمع ويرى من غير فهم

ولا تركيز ، وهذا سينعكس عليه عندما يجلس في المدرسة ليتلقى العلم .

ألا فليكن ذلك وما يشابهه في جمعية المحاسبين عندما يقومون بالاحتساب .

وأما الأمر الثاني : وهو الخوف منه مستقبلا ، والذي سيقضى على البقية الباقية

من الانتفاع ببعض البرامج الدينية وبعض البرامج الجادة، هو اشتراك الدول في البث عن

طريق الأقمار الصناعية/ساعتها - وليس ذلك بعيدا عن الواقع - سيُدار مفتاح المحطات

لروية مسلسل غرابي، أو مباراة لكرة أو حلقة من حلقات الرقص الشرقي أو الغربي، بدلا من

برنامج ديني، أو تجربة معملية أو أي شيء نافع .

وأياها سيتبارى المخربون للاخلال والقيم، في تقديم المفريات والمشوقات حتى يجذب

أكبر عدد ممكن من المشاهدين والمشاهدات وقد حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات.

وسوف يقوم من يجرؤ استفتاءات بين الشبان والشابات للحكم على أحسن البرامج . . .

للحظ من قيمة برنامج^{ها} ورفق قيمة آخر من طريق الاستفتاءات المزيفة المفرضة .

ويافرح من خطط البرامج الهدامة من عبث الشهرة والسمعة وأعداء الدين والقيم

واللغة والتاريخ عندما تنجح برامجهم .

هنا . . . ملحق بالتلفاز جهاز تسجيل الصوت والصورة وهو ما يسمى (بالفيديو)

وكان يصبح ملاصقا للتلفاز.

وهو جهاز يمكن أيضا أن يستغل في استرجاع المواد المعملية التجريبية .

كما يمكن أن يستغل في ^{تعليم} المبارات العقلية مثل : الوضوء وكيف تُسبغ أعضاء المتوضىء ،
والصلاة وكيف ^{تُعرف} أدائها في ثاب وخشوع، والحن وما يقع فيه بعض الحجاج من أخطاء ،
وكيف تصدح هذه الأخطاء واحذر ذلك كثير . . .

كما يمكن أن يسجل عن طريقه : آلاء الله ونعمه وعجائب صنعه في البر والبحر والجو، وما في
الأفلاك والكواكب للتدليل على دقة الصنع وعظمة الخالق جل وعلا، وغير ذلك كثير مما يلفت النظر .

لكم استغل في مفاصد لا حصر لها، وانتهيار لا يعلم مداه الا الله، لدرجة أن من فسق
قلبه بعض غيرة على الشريعة ومستقبل المجتمع الاسلامي، يصاب بهم وخيبة أمل عندما يسمع
ببعض ما يقدمه الفيديو من سم يسرى في شرايين الأمة .

ولقد عمت البلوى حتى شملت الأطفال والشباب والكبار أحيانا .
ولا شك في أن المراسم المخططة لهدم المجتمعات الاسلامية قد بيتت أمرها على غزو
العالم الاسلامي بهذا الجهاز العجيب .

ومن تتبع حطة العدو ووجدها تسير في الخط الآتي بالنسبة لنشر الفيديو

١- طرح هذا الجهاز على أنه سلعة نادرة وضاغفرا سعره . وانا كانت السلعة باهظة

التكاليف آثار الأغبيا، وشدت بهم اليها فتسابقوا على شرائها، وسرت حمى المطالبة

به . . لأن الساب هو الأغنى والأكبر تمدنا في عرف المتأفبين .

وكان سعره ان ذلك في خارج العالم الاسلامي أرخص بكثير فكان شراؤه مع هواة

السفر أكبر من شرائه من الداخل . وهذا جزء من الخطة .

٢- لما شاع وسط الأثرياء تطلعت اليه الطبقة المتوسطة، وتمناه كل فقير .

وزريت الشركات على الحديد وهو ساخن ، فأخذت تخفض من سعره، حتى وصل

الى ثلث ثمنه أو أقل . . فتزاحم الناس على شرائه حتى لا يفوتهم ركب المدينة

الحديثة .

شروط

والأهم : أنه قد صاحب حتى شراء الأجهزة طرح كميات هائلة من أفلام الجنس ، وصنوف الرقن العارز ، والدمنا ، المصور في عمه وفجر ، والسهرات الصاخبة . والحافلة بكل ما يفضبه الله ويثله صدر الشيطان ، ويحقى هدف الاعداء في الافساد المحقق ، للشباب والثبات ، بل لكل من في بيتهم هذا الجهاز ، وأصبحت كمة فيديو في العالم الاسلامي : تعنى الرذيلة على أخسر ما تكون وأفضح ما وصلت اليه شركات التجارة بعقول المسلمين . وتبادل هواة العبث والبيع غرائب الفضائح وأحط الأفلام الجنسية وكما قبح الفيلم زاد الاقبال عليه والتلهف على اقتنائه .

رقد لزم عند هؤلاء الضائعين أن يكون بجوار كل فيديو مكتبة تجمع النادر مما يتتبع به كل تافه على أقرانه ، من هواة العبث وهو يحكى لهم كيف استطاع الحصول على النادر والممنوع . وانتشرت محلات التسجيل وبيع الأفلام في كل مكان ، وقد عمت البلوى فشملت المجتمعات الاسلامية حتى الفقيرة منها ولا حول ولا قوة الا بالله .

خامساً : الكتب

تمهيد :
متممة

رحم الله زمانا تورء فيه العلماء عن الكتابة والتأليف فلم يكتبوا الا على حذر ، والنص
نصب أعينهم لا يحيدون عنه ولا يزيفون - خشية الوقوع في القول بالرأى أو الانزلاق السى
البدعة .

وجاء زمان تسابن^{فيه} الناس الى التأليف وتبارزا في عدد الكتب التى تنسب اليهم ، ولو
أدى ذلك الى الخلط أو التكرار .

والاحتساب هنا يشمل نوعين من الكتب :

النوع الأول : كتب تعاليم العقيدة الاسلامية أو تفل بمقصد من مقاصدها .

النوع الثانى : كتب ضحالة المضمون عديدة الفائدة ولكنها تكبر وتتكرر .

النوع الأول

لما طلب الخليفة المأمون خريئة كتب الفلسفة من حاكم قبرص رأى القساوسة ألا تعطى
الفلسفة للمسلمين اكن واحداً منهم انفرء برأى " وقد انتصر " وقال لصاحب قبرص : " جهزها
اليهم فما دخلت هذه المعلوم على دولة شرعية الا افسدتها وأوقعت بين علماءها^(٥٨)
وعندى قول الخبيث ، فقد فتحت الشفرة التى دخل منها ابليس وبدأ الابتعاد عن
الشريعة منذ دخلت الفلسفة حتى الآن ولا بين الجوزو فى تلييس ابليس كلام مفيد فى هذا
الصدى فقد قال : " ان ابليس اما تمكن من الاغبياء ورطهم فى التقليد ، وساقهم سـوق
الجهائم ، ثم رآء خلقاً يهيم نوع من ذكاء وفطنة فاستهواهم على قدر تمكنه منهم ، فمنهم من
قبَّح عنده الجمود وأمره بالنظر ثم استفور كلام من هؤلاء بفس ، فمنهم من أراه أن الوقوف
مع طواغر الشريعة عجز فساقهم الى مذهب الفلاسفة ، ولم يزل بهؤلاء حتى أخرجهم
من الاسلام . ومن هؤلاء من حسن له الآّ يعتقد الا ما أدركه حواسه . . . ومنهم من
نفره ابليس عن التقليد وحسن له الخور فى علم الكلام والنظر فى أوضاع الفلاسفة ، ليحسن

بزعت من غمار السموم ، وقد تنوعت أحوال المتكلمين وأفضى الكلام بأكثرهم الى الشكوك (٥٩)
 وقد وجد هـرءلاء وهوءلاء في كل عصر وأكثروا من التاليف ، أضف الى هوءلاء من ألفوا
 في مقالات التلافة أو هوس المتصوفة وكتب البدع والخرافات ثم ما يؤلف في هذه الأيام
 مما يشكك خطرا على العقيدة والأخلاق، وما يشير الشهوات والشبهات ويلحق بتلك الكتب
 الهدامة المجالات بما فيها من مقالات وصور وكل ما خالف السنة .

وقد أشيع الامام ابن القيم توضيح الحكم في هذه الكتب وكيفية الاحتساب عليهم ،
 وأول جملة كتبها في هذا الصدد : " لاضمان في تحريين الكتب المنحلة واتلافها " ثم يقول
 " وكل هذه الكتب المتضمنة لمخالفة السنة : غير مأذون فيها ، بل مأذون في محققها
 واتلافها ، وما على الأمة أشرم منها ، وقد حزن الصحابة جميع المصاحف المخالفة
 لمصاحف عثمان ، لما خافوا على الأمة من الاختلاف ، فكيف لزرأوا هذه الكتب التي أوقعت
 الخلاف والتفرق بين الأمة . ؟ .

وقد روى أبو بكر الخلال عن امام أهل السنة قوله : أهلكهم وضع الكتب . تركوا آثار
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على الكلام . (٦٠)

وينقل ابن القيم رأى الامام أحمد في حكم الكتب فقال : " وانما كره أحمد ذلك ومنع
 منه لما فيه من الاشتغال به ، والاعراض عن القرآن والسنة والذب عنهما ، وأما كتب
 ابطال الآراء والمذاهب المخالفة لهما فلا بأس ، وقد تكون واجبة أو مستحبة ومباحة
 بحسب اقتضاء الحال والله أعلم .

ثم يعقب الامام ابن القيم على هذا الكلام بقوله : والمقصود : أن هذه الكتب المشتبهة
 على الكذب والبدعة يجب اتلافها واعدامها وهى أولى بذلك من اتلاف آلات اللهــــــــــــــــو
 والممازيف واتلاف آنية الخمر ، فان ضررها أعظم من ضرر هذه ولاضمان فيها (٦١)

(٥٩) تليين ابليس ص ٨٢

(٦٠) الطرق الحكيمية فى السياسة الشرعية ص ٢٧٥ طبعة الأمير سمود بن عبدالعزير

(٦١) المرجح السابق ص ٢٧٧

لكن اتلات الكتب ليس لآحاد الناشر وإنما هي لأهل ولاية الحسبة التنفيذية ، أو أجهزة الرقابة على المطبوعات .
وما على المحاسبين حسبة عامة (خاصة من يكتشف في الكتب زيفاً أو زيفاً) أن يبلغ بذلك الجهات المختصة .
حيث تكون المحاسبة المؤلف ثم لمن أذن بالبيع ثم للناشر ثم للمطبعة .
فإن كان الكتاب أو أية مطبوعات قد دخلت من جهة ما ، فالحسبة والمحاسبة تقع على من سهل دخولها أو سمح بتدخالها .

النوع الثاني من الكتب

~~~~~

والنوع الثاني من الكتب المحتسب عليها كتب لا ضرر فيها غالباً ، ولكنها كثرت وتتابعنت نتيجة لسهولة الطباعة والنشر . فلامانع والحالة هذه أن أفكاراً معينة لمؤلف ما تتكرر في كتب كثيرة له ، مع شيء من التعبير الشكلي .  
والاحتساب على مثل هذه الكتب ينصب على إرشاد المؤلف إلى هذا التكرار الذي يوهى إلى نتيجة هي : أن التأليف لم يرد به وجه الله ، ولا فائدة القارىء .  
ومن الممكن للحسبة التنفيذية أن تصدر أوامرها المنظمة لشل هذه الأمور .

•XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX•

## تكييف الاحتساب على أجهزة الاعلام

قد أشرت فيما سبق الى كل جهاز من أجهزة الاعلام على حدة ، سبينا ما ينبغي أن يقدمه للمجتمع الاسلامي . وما يخاف من تقديمه ، مما يخل بالعقيدة والأخلاق وذاتية المجتمع الاسلامي .

ثم عقب بالاحتساب عندما نرى من هذه الوسائل ما لا يتفق مع الشريعة الاسلامية من قريب أو بعيد .

أما تحت هذا العنوان وهو تكييف الاحتساب على الاعلام فإنني أقرر ما يجعل موضوع الاحتساب هنا أكثر تحديداً ، حتى لا يذهب الكلام أدراج الرياح <sup>(وحتى)</sup> ليكون الاحتساب أقرب الى العمل منه الى مجرد الكلام النظري ، فأقول وبالله التوفيق :

ان منكرات الاعلام التي تقدم للمجتمع الاسلامي من خلال أجهزته متى وقعت ، فإنها لا تصدر من شخص معين يعتمد اليه المحتسبون . ولكن الأمر يدخل في دائرة جهاز تنفيذي له ادارته والمسؤولون عنه أمام أولى الأمر .

وإذلت فان الحسبة هنا تحتاج الى توجيه العلماء أولاً بتشخيص المنكر وبيان حكمه والحكم على فاعله . وما ينبغي أن تكون عليه المادة المقدمة في حدود جلب المصالح ودرء المفاسد .

والحسبة " ثانياً " تحتاج الى تنفيذ المسؤولين من أولى الأمر ، بالأخذ على يدي المتساهلين بطريقة رادعة تعدل السار وتمنع الفساد من المجتمع الاسلامي .

وهذا هو الاحتساب العملي المفيد وهو أولى من ندوات تندد وتنفس لتشخيص داء الافكار الواغدة التي تقدم عبر أجهزة الاعلام ، أو تثبت الأدلة والبراهين <sup>عليها</sup> ما وراء ذلك من خطط أعداء الاسلام لتدمير المجتمعات الاسلامية ويقف الأمر الى هذا الحد .

انني لأؤمن من قيمة الندوات والمناظرات ، لأنها تظهر الحقائق وتعين على معرفة الفاسدة ، ولكن الاقتصار على ذلك يفرغ مشاكل المسلمين وأدواءهم في أشراطه ونشواته

وَأَذِنَ فَمَا لخطوة الثانية لا بد منها وهي رفع الأمر لأولى الأمر ، شفوفا بكل ما يسوءه و  
الى رَأب الصدق وإصلاح الخلل .

هذا : وليس كل من علم بسوء الحكمة أو محترم الجانب فتقبل حسبه ، لأنه قد يفقد  
في نفسه سلامة النية وسر الهدى فتبوء حسبه بالفشل . أو قد يجهلون فقه الاحتساب  
ويخطئون الطريق إليه ، فتبوء حسبتهم بالفشل أيضا .

لذلك لا بد من أن يتفرغ في المحتسب وخاصة العلماء أو كثر كبيرة من أهمها :

١- تقوى الله :  
وتقوى الله اجراء على من شأنه أن يضع المحتسب أمام مسؤوليته ، حيث يقول في الله  
لا يخشى في الحن لومة لائم .  
وتقوى الله تحصن المحتسب ضد الخوف ، والاكتفاء بغضب القلب وهو قادر على  
مرتبة أعلى .

٢- الاخلاص :  
أي اخلاص العمل لله ، وما يخزن من القلب مقصودا به وجه الله ، لا بد أن يكون  
له أشرف مال دخل لا في قول الله تعالى " ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم  
ولقد أخذنا المحتسبون العمل لله من أمثال الامام أحمد والعز بن عبد السلام  
وشيوخ الاسلام ابن تيمية وامام الدعوة محمد بن عبد الوهاب وغيرهم كثر .  
فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا أو استكانوا ولا خافوا من الجيوش  
أو السجون .

٣- أن يتحرى الصواب في حسبه بمعنى أنه ان غلب على ظنه أن حسبه ستؤتى  
شارعا إن باشر الاحتساب بنفسه فعل . والا انتقل الى رفع الامر لمن يستطيع  
التفكير من أولى الأمر .

وفي ختام الاحتساب على وسائل الاعلام اتوجه الى الله بالدعاء ثم الى القائمين  
على وسائل الاعلام في المجتمعات الاسلامية أن يتقوا الله فيما تحت أيديهم  
من مسئوليات خطيرة هم مسئولون عنها ولا محالة أمام الله ثم أمام مجتمعهم  
وضمائرهم .

وأن يظفروا نصب أعينهم :

- ١- ألا يجملوا من اعلام المسلمين خصما للمسلمين .
  - ٢- ألا يقعوا فى التناقض المؤدى الى الوقوع فى الفتن .
  - ٣- ألا يشيروا الشهوات والشبهات بين المسلمين .
  - ٤- أن يلتزموا بما يريح السلاة والمحتسبين .
  - ٥- أن يجملوا نصب أعينهم قول الله تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان " وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه "
  - ٦- أن يعلموا أن الدين النصيحة فليذلوا النصيح من غير تقصير ولا يتقبلوا النصيح بصدور رعب/فالحكمة غالبة المؤمن بأخذها أنى وجدها .
  - ٧- وسابع التوصيات أن يهتف المسئولون عن الاعلام على أنفسهم وعلى الناس ، وعلى السلطة المنفذة ، وعلى المحتسبين - وذلك بالتخفيف من ساعات البث فى الاذاعة والتلفاز وعدد الصفحات فى الجرائد والمجلات .
- حتى تكون لديهم فرصة الانتقاء ، وتقديم النافع المفيد ، وحتى لا يضطرون الى مجرد ملء الفراغ ، فيؤدى ذلك الى التساهل . فيعمر على المسلمين ما يخل برسالة الاعلام فى المجتمع الاسلامى . وما يشكك فى أمانة من حشداً وخطباً فأضر بالعقيدة والخلق والسلوك وقيم المجتمع الاسلامى .
- ولعل مرسى البث المتواصل لم يبرزأبه الا المجتمعات الاسلامية . فالمجتمعات الواعية قد حافظت على مستوى المواد التى أرتضتها ، فى أقل ساعات ممكنة ، حرصاً على مواعيد عملهم وراحاتهم ، والمجتمعات الاسلامية بكل أسف ضيعت مواعيد العبادة والراحة والعمل . ولم تتنازل عن بث عشرين ساعة فى المتوسط بالنسبة للاذاعة وما بين ١٠ : ١٤ ساعات فى برامج التلفاز وما بين ١٠ : ١٤ صفحة فى الجريدة الواحدة عدد المجلات والملاحق .

رفع الله الجسيع لما يحبه ربنا ويرضاه من القول والعمل حتى تتحقق مقاصد الشريعة

الاسلامية فى المجتمع الامسى .

## الفصل الثالث

### الاهتمام على التعليم

—

- تمهيد :
- الهدف من التعليم في الإسلام
- ما يجب عليه في مجال التعليم الحالي
- أولاً : ما يخل بالعقيدة - أمثلة
- ثانياً : .. بالأفكار والسلوك - أمثلة
- ثالثاً : .. بالتأخر في الإسلام - ..
- المتسبب من التعليم .
- الاهتمام على تعليم المرأة .
- ثمرة الاهتمام على التعليم .

—

وكانت أول آيات تنزلت على خاتم الأنبياء والمرسلين قول الحق تبارك وتعالى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" (٦٥)

وجاء في تفسير ابن كثير "ان من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به ابو البرية آدم علي الملائكة" (٦٦)

وينقل صاحب تفسير أنواء البيان عن شيخ الاسلام ابن تيمية: أن هذه السورة وأمثالها من السور، فيها العجائب وذلك لما جاء فيها من التأسيس لافتتاحية تلك الرسالة العائمة بالعلم، ولا نستطيع ايفاءها حقها عجزا وقصورا" (٦٧)

لذلك كان العلماء ورثة الأنبياء "ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا الى الجنة" (٦٨)

#### يعرف

ولورثة الأنبياء فضل على غيرهم لا يعرفه الا من كان له عقل الاقدار ، ليضع الأمور في نصابها "قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الأبواب" (٦٩)

وأولو الأبواب هم أصحاب العقول ، وعار على صاحب العقل أن يقلد أو يتبع الهوى "وقبيح بمن أعطى شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة" (٧٠)

(٦٥) سورة العلق : من ١ : ٥ (٦٦) ج ٤ ص ٤٠٧

(٦٧) تفسير أنواء البيان ص ٣٤٤ ج ٩ (٦٨) صحيح البخاري ج ٢٥

ط استانبول (٦٩) سورة الزمر : ٩ (٧٠) تلبيس بايس ص ٨١ ط ١٣٩٦ هـ

فان مشى العالم فى نور العلم أحس بسعادة لا يشعر بها غيره " فان فى العلم بالاشياء لذة لا توازيها لذة ، ان هو نوع من الاستيلاء على المعلوم والحوز له ، ومحبة الاستيلاء قد جبلت عليها النفوس " (٧١)

وان الحديث عن فضل العلم الصحيح وأثره فى تحقيق السمو والرقى حديث يحتاج الى مجلدات وقد كتب فيه الكثير .

وأما المقصود الاشارة الى فضله والبدء به قبل القول والعمل لأن العمل على علم ، خير من العمل على جهل أو تقليد .

ومن هنا نجد أنه وان تنزلت الآيات القرآنية الاولى فى العلم ، فالآيات الثانية تفزلت بالعمل فى قوله تعالى : " يا أيها المدثر ، قم فأندر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر " (٧٢)

وذلك دال غاية الدلالة على الرباط الوثيق بين العلم والعمل وأهمية العلم للعمل الصالح المقبول .

يقول الامام أبو حنيفة " واعلم أن العمل تبع المعلم ..... والعلم مع العمل اليسير أنفع من الجهل مع العمل الكثير " (٧٣)

لكن ما العلم النافع الذى يؤهل للعمل المثر . وما الذين يزين العلم ويجعله جاليا لرضا الله وصلاح الدين والدنيا .

(٧١) الموافقات للشاطبي ص ٦٧ طبعة أولى

(٧٢) أول سورة المدثر .

(٧٣) العالم والمتعلم ؛ للامام ابى حنيفة ص ٣٢ تحقيق محمد رواس قلعة جى

مكتبة الهدى - حلب

المهدف من العلم  
فى الاسلام

أول أهداف العلم فى الاسلام : "الاهتداء الى الله" فإذا اهتدى المسلم الى ربه انقشعت عنه ظلمات الجهل وأحس بنور الايمان يملاء قلبه فأبصر الطريق السوى وأطمئن بحب الله وتقواه ومراقبته " انما يخشى الله من عباده العلماء " سورة ناز : ٢٨

وذلك عن طريق النار فى خلق السموات والأرض والتأمل فى صنوع خلق وهو اللذائف البير .

" ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الاباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم يتفكرون فى خلق السموات الأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ، فإنا عذاب النار (٧٤)

ويستلزم هذا تحقيق العبادة لله ، بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند ربه ، والذي يساير قول الله تبارك وتعالى فى **حكمة** الخلق " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " (٧٥)

وكل علم **الوصول** الى اخلاق العبودية لله لا فائدة منه ولا جدوى "فن يرد الله به خيرا يفتمه فى الدين" كما أنبر بذلك هاتم النبيين - والمرسلين (٧٦) . ومن فقه دين الله عبداً الله بكل علم بعلمه ، وعبده تعالى بما يتبع العلم من الاخاض فى العمل ، وهذا طريق النجاة من عذاب الله .

(٧٤) سورة آل عمران : ١٩٠ : ١٩١

(٧٥) سورة النازيات : ٥٦

(٧٦) صحيح البخارى ج ١ ص ٢٦ ذابغة استانبول وصحيح مسلم المجلد الثانى

ص ٧١ ذابغة ادارات البحوث



ثاني أهداف العلم : الامام بما يفى بمقاصد الشريعة الاسلامية، التي بنيت على مصالح العباد، من ضروريات ، وحاجيات وتحسينات، وكل علم يحقق مصلحة من مصالح العباد ويصيب مقصدا من مقاصد الشريعة الاسلامية ، هو علم يثاب صاحبه، وطلبه عمل شرعي، قال الامام الشاطبي : كل علم لا يفيد عملا فليس من الشرع ما يدل على استحسانه " ويعلق الشيخ عبد الله دراز على هذه العبارة بقوله : كالللسفة الذرية الصرفة<sup>(٦٦)</sup> أما الهندسة والكيمياء والادب والكهرباء وغيرها فليست داخله في كلام الامام الشاطبي ، لأنها علوم يتوقف عليها مقاصد الشرع من الضروريات والحاجيات والتحسينات وهي وسيلة الى التعبد أيضا ، لأن التعبد: هو تصرف العبد في شئون دنياه وآخرته ، بما يقيم مصالحهما، بحيث يجرى في ذلك على ما تبنى ما رسمه له مولاه ، لامة تبنى هواه (٧٧) لهذا كان الاحتساب لازما على من أخل بأهداف العلم، أو أضاف اليه ما يؤدي الى تنويره أو المساس بعرفه وشرق أهله .

ثالث أهداف العلم : المحافظة على ما يؤلف لقلوب ويجمع شمل الأمة ويقضي على معاول الفرقة والتشتت، ومن أهم وسائل ذلك : الامتثال لأوامر الأمر ، والسمع والطاعة في المنشط والمكروه، والابتناع الأمر أهله ، ناذ دعم العلم ذلك في نفوس المسلمين، على أنه تلبية لأمر الله كان من شأنه استقرار المجتمع الاسلامي وأمنه، وانصافه الى ما ينفع ويؤدي الى الخير .

(٧٧) الموافقات ١ ص ٦١

(٦٦) محبته دراز: سه علماء الأزهر - وهو مشهور بحب العلم والاستغفال به ، دلتا دياره، وقد صعد كتاب "الموافقات" دلتا حاشيته .

ورابع أهداف العلم: نشره ، ومن كتم العلم باء بالخسران روى الترمذى عن  
 أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 من سئل علما يعلمه فكتمه ، ألجم بلجام من نار " أ " وروى قول لعمر  
 بن الخطاب رضى الله عنه " لا ينبغي لمن عنده شيء من العلم أن يضيع  
 نفسه " ( ب ) وقول عمر رضى الله عنه يدل على مدى ما فى كتمان  
 العلم من ضرر واضح فى الدنيا والآخرة ، لدرجة أن الكتمان يضيع  
 صاحبه .

أما من تعلم العلم فعلمه فهذا أسى ما يسعى اليه الاسلام ويريد  
 من اتباعه ، وقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم لمن قام بمهمة  
 ابلاغ العلم وتعليمه فقال صلى الله عليه وسلم " نبّر الله أمرا  
 سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع " ( ح )

( أ ) سنن الترمذى رقم ٢٦٥١

( ب ) جامع الاصول ج ١ ص ١٤

( ح ) سنن الترمذى رقم ٢٦٥٩

ما يتسبب عليه

فى مجال التعليم

التعليم فى بلاد المسلمين بخير اذا كان بمنأى عن المقاسد التى  
تخل باعلم وأهدافه وتسيء الى أهله **ورواده** .

وقد وقع ذلك فيما يتعلمه أبناء المسلمين بما أصبح يشكله خيرا  
مدمرا للعقيدة الاسامية والخلق والقيم داخل المجتمع الاسلامى، وانا سررت  
أمثاله لهذه الظواهر المملأت مؤثفات لأنها مما لا يحصى الا بكلفة ، الدرجة  
تجعل الغيور يتوارى : ابد من تغيير شامل فى السالم التعليمى ، والمنهج ،  
والكتب ، والمدرس .

واكون مانع من ذكر بعض الأمثلة [بشرط ألزم به نفسى] : الا انكر

اسم الكتاب الذى توجد فيه المفسدة لسببين :

- ١- ان الكتابيا عامة وهى فى الكتب التى تدرس فى المجتمعات الاسلامية  
كلها تقريبا .
- ٢- ان الاشارة الى كتاب معين قد تصيب البحث بالاثميمة، والرسالة عامة ،  
وقد منفتت الأمثلة "فهو سرد مذموم تقريبا :

أولا: ما يعادى بالعقيدة الاسلامية:

ولها صور كثيرة كالفلسفة التى تخصص لها أقسام فى الكليات -  
والجامعات التى أصر المشتغلون بها على الخوض فى ذات الله  
وليس كمثابه شئ ولا تدركه الابصار - كما بدأوا منذ اعتفلسوا  
بالفلسفة فى رحلة الى مناطق مجهولة ، تسمى بها وراء الابيصة .

حيث لا يجدون هادياً وبالرغم من أنهم لم يصدوا الا الضلال والبعد عن طرية، الإيمان ، إلا أنهم يصرون على هذا التخريف المخل بالعقيدة الاسلامية " والجنون فنون " لكن الأخط من الجنون أن يدرس هذا في جامعات المسلمين .

يقول العلامة ابن خلدون بعد نظر طويل في الفلسفة : " فهذا العلم كما رأيت غير واف بمقاصدهم، التي قدموا عليها، مع ما فيه من مخالفة الشرائع (٧٨) ولقد صدق حدس قسيس خبيث أشار بدفع الفلسفة الى المسلمين قائلاً: ان هذه العلوم - الفلسفية - ما دخلت أمة شرعية الا أفسدتها (٧٩)

ومن صور الاخلال بالعقيدة: ما يدرس في علم الاجتماع في المدارس والجامعات، أن الدين مجرد ظاهرة من لواهر المجتمع ثملاً فراغاً في نفس الفرد، وهو قابل للتطور مع التطور الاجتماعي، ومتطلبات العقل البشري؛

ومن صور الاخلال بالعقيدة الاسلامية ما يدرس بطريق أو بآخر من نظرية النشوء والارتقاء ، وأن الانسان تطور من الخلية ، الى الحيوانات الزاحفة، الى الحيوانات الثديية، الى القرد ثم الى الانسان، وغير ذلك مما يهدم عقيدة المسلم في الخلق، كأن يُدرس أن الحصان تكون من قاذورات تعفنت ، ثم أخذ يأخذ أمكالا متتابعة، حتى وصل الى ما هو عليه الآن وكتب المخرفسون، وصدق الله العليم القائل جلّت قدرته " ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون " (٨٠) سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومالا يعلمون " (٨١) سبحانه الذي أحسن كل شيء خلقه .

(٧٨) مقدمة ابن خلدون ص ٥١٩

(٧٩) انوار العراسم من القواصم : ص ١٩٤

(٨٠) سورة النازيات : ٤

(٨١) سورة يس : ٣٦

والمثلية كالتوجه في مجال ما يخل بالعقيدة الإسلامية.

ثانياً: ما يخل بأخلاق المسلم وسلوكه وعلاقاته.

ومن صور ذلك:

ما يدرس في علم الاجتماع من ان الجريمة شيء طبيعي بالنسبة للإنسان في المجتمع الإنساني ، بل الجريمة ضرورة من ضرورات المجتمع .  
ومهما يكن من رد على نازية: أن الأديان أرضية أو الجريمة ضرورة ..<sup>(١)</sup>  
فإن النازية ورثها مما يثير الشبهات خاصة في نفس تلميذ في سن المراهقة .

ومن النظريات العجيبة التي لازالت تدرس في عالمنا الإسلامي ، نازية " فرويد " في الجنس والتي يرجع فيها كل تصرفات الإنسان وعلاقاته ، الى الدافع الجنسي ... حتى العلاقة بين الأخوة ، وبين الابن وأمه ... ورغم تسفل النازية ، وخاورة هدفها إلا أن الرد عليها جاء ضعيفاً مختصراً ، لا يكفي لتعديل ما تقرره النازية العجيبة في النفوس ، والرد الضعيف من أقوى المثبتات المردود عليه .

ومما يؤثر على ألبعة المجتمع - ما ينادون به في علم الاجتماع :

من ضرورة تحديد النسل وذلك لما يخافه صاحب هذه النازية من

الانفجار السكاني وعدم وجود الغذاء الكافي

ونازية في علم النفس تقرر ان الانفعالات وراثية فلا سبيل للسي

التعديل فيها " وهذه النازية وسابقتها غير مردود عليهما بالمرّة "

(١) هذا البراءة لا يرتق إلا مستوى النظريات .. لبعدها السحر منه المصقول . كالتنظريات

وبمناسبة التاريخ الذي يدرس داخل مجتمعات اسلامية نرى التركيز فيه كماً وكيفاً على التاريخ الأوربي والثورة الفرنسية ونايبيون ..... وما يقال عن الحارة الاسلامية صفحات قليلة مشوهة، حيث يغرس المؤرخون في رءوس الناضجة، أن الحارة الاسلامية لم ترجد الا بعد أن تعرف المسلمون على ما كتب ارساوا وأفاباون، وأن الذين حملوا لواء الحارة الاسلامية هم المعتزلة والفلسفة، والخلاصة عندهم أن الحارة الاسلامية هي الفلسفة النارية.

ونير ذلك كثير من مختلف المواد الدراسية، ولو أحصينا ما في الجغرافيا والاقتصاد، وادب اللغة العربية، واللغة العربية نفسها، لزال المقال مع نبي المقام. وماذا نأخذ وماذا ندع من أمثلة المناسد في الكتب الدراسية التي تُدرس الأبناء لنا! لقد ترك بارس البستاني يكتب عن فتوحات المسلمين ليهوه ههنا الاسلام والمسلمين. ونقلوا نصا لعباس محمود العقاد في تمجيد الممر حتى قال عنه: ان مو الاوحى يوحى "ماذا نأخذ وماذا ندع" ١١٥!

انني ما أمرت الابناء فح سريعة يثبت فيها مدى الخلل في المواد الدراسية مما يوجب الاحتساب لايافة تلك المنكرات التي اوشكت ان تعم، فاذا تركنا المواد جانباً، وأخذنا جانب المؤلفين، وجدنا اختيارهم سيئاً للغاية ما بين عشوائي يعوز اختياره التأني وبين متعمد مدام.

فالْمؤلفون للتاريخ واللغة والاجتماع وعلم النفس وغير ذلك<sup>س</sup> العلوم والرياضيات غالباً يكونون من تلامذة المستشرقين او من الصليبيين، أو

أو المترجمين المأرورين والافلاماذا يكتب ببارس البستانى عن بعض فتوحات  
المسلمين كى ينفث فيها سم طليبيته . وكيف يتفق مع الجامعة  
الأمريكية فى بيروت على تأليف الصليبيين واليهود ببا كتب الرياضيات  
والكيمياء والفرياء والاحياء والجيولوجيا والكلام فى هذا يطول .

■ فاذا أردنا تسليط الأنوار الكاشفة على نام التعليم فى المجتمع  
الاسلامى رأينا العجب ، ولرأينا لكثير من الدول ذاتية وبخصية، حيث تخطط  
لتعليم ابنائها، ما يحقق لها النهوض عقديا وخلقيا ونتاجا، الا الدول  
الاسلامية - فانها **أطمانت** لاعدائها فقادوهم الى مواطن الهلكة، وسرا ديب  
الذياع، بعيدا عن ركائز الايمان والاخلاق والقيم، ومقاصد الشريعة الاسلامية .  
ولا حول ولا قوة الا بالله .

ولقد بدأ ذلك يوم ان بدأت ازدهاجية التعليم، فبعد أن كان التعليم  
يرتكز على الدين الاسلامى فى أكثر بلاد المسلمين أفاخ علينا الاستعمار بمكره  
وخائه، وأنشأ للمسلمين ما يسمى بالتعليم المدنى ( أو العلمانى) فى مقابل  
التعليم الدينى، مستعيضا بذلك عن أساليب التبشير الصريح .

والاستعمار فى هذا المجال كان ولا يزال يقاتلنا فى جبهتين حتى  
نعاهده السلاح والرقاب والعصير .

فقاتلنا بالسلم الناقع الذم، نتعاطاه فى التعليم، كما قاتلنا  
فى جبهة التعليم الدينى حيث يريد الاجهاز عليه، سواء فى المراد الدينيسية  
التي تدرس فى دور التعليم المدنى أو فى مقر دور التعليم الدينى .

أما المواد الدينية التي تدرس في المدارس في كثير من البلاد الإسلامية، فقد أريد بها أن يضيق عليها: بالتأليف السطحي، والاهمال الدراسي .  
فحصها مهمة لا تعانها إدارة المدرسة أهمية، ولا يلتفت لها الموجهون .  
ولا يهتم بها المدرسون، ولا يقبل عليها الدلائب، لأنها في النهاية لا تنضم للمجموع الموصول إلى الجامعة، كما أنها بعيدة عن اشباع حاجاتهم واهتماماتهم .

أما التمهيد لضرب التعليم الإسلامي في الأزهر وغيره من المراكز الدينية ، فالاستعمار يطاول غزوها بشمى العارق ومنها :

تصوير من يتعلم تعليماً دينياً على أنه جامد رجعي ، ينظر إلى المرء ومن يتعلم تعليماً علمانياً : متناور متالم إلى المستقبل، وجعلوا الأول خاصة بالوعاء والتدريس واحتقره، في راتبه وجاهه ومكانته والثاني محترم مرموق، تفتح امامه أبواب المناصب والجاه وغير ذلك من المفارقات (٨٢)

وانسحبت تلك الذارة على التصرفات والسلوك، وقد دعمها الأعداء بما يُنشر في وسائل الإعلام، وما يُرى في المسرحيات والأفلام، من السخرية بعلماء الدين وانعكاس الناس على سماتهم وأقوالهم وأفعالهم .

ولم يكتف الأعداء بذلك ولكنهم خطوا لصرع المراكز الدينية والاجهزة عليها لتصبح مجرد لاقتات ، واذا اردنا مثالا سريعا لذلك فالعنا بعض ما نشره أحد الأعداء وهو اللورد لويديا المندوب السامي البريطاني في مصر في كتابه : " مصر منذ عهد كرمز " قال : " ان التعليم الوطني عندما قدم الانجليز إلى مصر كان في قبضة الأزهر الشديد **التمسك بالدين** فلو أمكن تلووير

(٨٢) انار وسائل مقاومة الغزو الفكري / د/ حسان محمد حسان ص ١٦٣ من



الأزهر عن طريق حركة تتبعث من دالته هو لكن أنت هذه خاوة جليلة الخليل  
(٨٢)

وكان يُعالِجُ العداء الدائب منذ ذلك الأمل المدمر . وقام المخلصون  
السيادهم المستميرين ، وعلى رأسهم طه حسين، كي يذاذوا بالغاء الأزهر، وكان  
الأمر مدبراً بليلاً.

ولقد عاشت هذه الفترة، وسمعت هذا **النعا** المؤذن بالخراب، فبعسد  
ما تمت المؤامرة الدنيئة على القضاء الشرعى فى مصر حتى ألقى سنة ١٩٥٢ م  
كتبه حسين اثنتى عشرة مقالة ماولة فى جريدة الشعب تحت عنوان " الخطوة  
الثانية الغاء الأزهر " ثم سكت نصابه، فى فترة هدوء سبقت العاصفة وصدر -  
مرسوم يقضى بتأوير الأزهر . وكان كلمة التاوير هى البديل للالغاء وتحققت  
أمنية العداء وانماج الأزهر حتى صار الآن فى حاجة ماسة للإصلاح كي يعسود  
الى سالف أمره علماً ومدفاً .

وكما نأرنا الى التعليم من أى زاوية فى عالنا الإسلامى وجدناه  
يسير فى اتجاهات لا تؤدى الى الهدف الذى أرادته الله ورسوله للمجتمع الإسلامى  
بل هو مدمر للانفاد العلم فى السلام تخايلاً وتنفيذاً سيواً من جهة المسواد أو  
من جهة الأداء أو من جهة السلم التعليمى وطرق تنابيقه

فما ذكرته رفاذ من مستنقع البلاء الذى أصيب به التعليم فى  
العالم الإسلامى ومن ثم وجب الختساب  
فمن للعلم يندذه ، وإبنائنا يجنبهم المزالق ، ثم من للشريعة  
يحقق مقاصدها مخلصاً ؟

## المحتسبون على التعليم

—————

العامّة غير مكافئين باحتساب على التعليم، لذلك تمين على العالمين بعبء الصداقة الصليبية، العارفين ما ينفع المجتمع الاسلامي أو يضره، أن يكونوا أمناء، وفي يقظة تامة لما يُدرس في دور التعليم .

والوقاية خير من العلاج، لذلك وجب الاحتساب أولاً على من بيدهم أمر التحايا والتنفيذ في مؤسسات التعليم، بمعنى أن المسلمين المخطئين والمنفذين لبرامج التعليم على ثغرة من ثغرات الاسلام فلا يؤتمن من قبلهم .

والواجب عليهم في أول الأمر أن يضعوا أمام أعينهم الاهداف ثم ينعوا الاسباب، الوسائل المؤدية لتحصيل العلم، والموصلة لأغراضه، والناهضة به الى ما يحقق للمجتمع الاسلامي الفوز بالدنيا والآخرة . ومن لب مهمة هؤلاء المسؤولين، أن ينعوا المناهج في يد مؤلفين أمناء، مشهود لهم بسلامة المعتقد، وفتة العلم وحسن العمل .

ولذا كانت المرحلة الثانية من الاحتساب واجبة على المهتغلين بتأليف الكتب والذين يختارون الكتب المؤلفة، والواجب عليهم أن يكونوا على حذر في أمرين :

الأمر الأول : اليقظة وهم يد العون المنهج، ويستوعبون دقائقه، خشية أن يكون قد فلتت من المخدلين ما يضر بأهداف التعليم في الاسلام، أو يفتح ثغرة للانحراف بالمجتمع الاسلامي من أي ناحية، بل عليهم الاحتساب على شيء في المنهج لا يحقق فائدة للدنيا أو الآخرة .

الأمر الثاني : أن يعالجوا موضوعات المنهج الهادف بطريقة سليمة بأسلوب ملائم ونقلاً تاملاً وعلى اللجنة المختارة للتأليف، أن تتيح فترة التأليف وهي في احتساب دائب بين أفرادها، كل يدلي برأيه، ويناقش طريقة الآخرين في الغلاف وروية واقناع، حتى يخرج الكتاب المقرر إلى يد الدارس وهو يجمع بين سمو الهدف ورقى الأسلوب وعمق التناول .

وليت المخالين والمؤلفين بعد وعيهم لأهداف التعليم في الإسلام كما أراد الله ورسوله ليتهم ينتفعون ويعمقون تسورهم وقدراتهم بأقوال العلماء وأريقتهم في التأليف، وهي تحتاج إلى مؤلف خاص . . . وليستمعوا مثلاً إلى توجيه الإمام الغزالي « خذوا من العلم ليه ولا تكثروا من ملحه واحذروا أغاليه » (٨٤)

فإذا خرج الكتاب إلى يد الدارس فأول الواعين لما فيه هو المدرس ، لأنه قائد الدائب في حلبة العلم ، والمدرس هنا يمثل الموجه لأنه لم يخرج من الميدان إلا في بعض داريات ، تجعل حسبه أكد من غيره .

وعلى المدرس أن يتبع نصب عينيه أمرين هاميين أيضاً :

الأمر الأول : ملاحظة أخطاء المنهج أو التأليف بحيث لو وجد ما ينسب أهداف التعليم في الإسلام نبه على ذلك فوراً ، ورفع الأمر للمستولين حسب الأمانة المتبعة ، وأن يعطى أمر الاحتساب من الامتتام والمتابعة الحميم الملائم لخار الضرر ، وهو لا يزال على احتسابه بالحكمة والدارق الاستداعة حتى يصل احتسابه إلى من يناقش ويتشهم ويرأب الصدع .

وثاني الأمرين اللذين تناط بهما حصة المدرس هو الأداء الناجح الذي يراعى فيه بعد تقويم اللد وطلب التوفيق منه تعالى:

- ١- فهم المادة العلمية وتوسيع مداركه وآفاقه فيها، بالمواصلة على التراءة في مجالات خاصة وعامة .
- ٢- حسن العرض وبسط الموضوع بالارضية الملائمة للمرحلة التي يدرسها .
- ٣- ربط المادة العلمية بهدفها الاسلامي والاجتماعي المحقق لمهمة التعاليم في المجتمع الاسلامي .
- ٤- المحافظة على اللغة العربية الفصحى بأسلوب سهل ميسر يرتقى بالمستوى اللغوي للدارسين .
- ٥- تنبيه الطالب الى أخطاءه في فكرة أو شفرة قد مرت أثناء التأليف ، على أن يكون ذلك بأسلوب هادئ لا يعتمد الى التجريح ولكن السبي الفائدة .
- ٦- أن يتوجه ذلك بالتدوة المألحة، حتى يقتدى به أبناؤه الدارسون ، وعلى المدرسين فيما بينهم التناصح والتشاور، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يتزاموا بالحق والصبر، وعليهم التنبيه على أخطاء المهنة إذا حدث شيء يخل بأمانة التعليم وكيان العلم .
- وإذا من قبيل الحسبة العامة والواجبة على كل مسلم وهي أوجب على الممتركين في مهنة واحدة، حيث يكون الخلل واضحا امام الجميع .

أما الحسبة التنفيذية فهي مؤسسة من مؤسسات التعليم فهي قرينة عين على الإدارة المباشرة، والتي تضع في اعتبارها دائما وأبدا أنها مسئولة أمام الله . ثم أمام الإدارة الأعلى منها عن العلم والعمل والأداء والسلوك بما يحقق أهداف العام في السلام، ويخرج أعتاء صالحين في جسم المجتمع الإسلامي .

هذا وعلى المحتسبين على اختلاف أبقايتهم ومناصبهم، أن يقوموا على قلب رجل واحد احتسابا على التعليم بهدف إصلاحه . لأن التعليم ليس بنيانا من السهل هدمه وبناء غيره، ولكنه أخطر وسيلة لتغيير الأمم والشعوب، حيث يعتمد الدافل الفتن، والتهاب المتفتح، بغرس العقائد والأفكار، حسبما تريد له خاذا التعليم، وسرعان ما تنتقل الأمم بعد فترة إلى المتقدم والرقى، أو إلى التأخر والتميع ونقدان الشخصية، ومن هب على شيء شاب عليه .

ومن النتائج المعاصرة، والتي يعاني منها المجتمع الإسلامي وتجبر عليه الشر والتقهر " وجود طبقة منخرطة في العقائد والأفكار والسياسة والأخلاق، أحسن أحوالها أن تكون مذبذبة بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية، والأفهي في أكثر الأحيان تنسلخ من كل ما يدين به مجتمعا وأمتها وبلائها (٨٥) لذلك كان من الخاورة بمكان، أن يخرج كتاب إلى يد الدارسين وفيه خلل قد يكون سببا في خلخلة العقيدة، ونياح الفائدة مما ينعكس آثاره على المجتمع .

(٨٥) نزار أبو الحسن النووي: أهمية نالام التربوية والتعليم في القطار الإسلامية وأثره في اتجاهاتها وقيادتها وهذا بحث ألقى في المهرجان التعليمي لندوة العلماء في فوال ١٣٩٥ .

وعلى المحاسبين المعاصرين في مجال التعليم، وأهمهم المدرسون، أن يبحثوا فيما بينهم، ما أمكن عليهم، وأن يتيقنوا من الخاطئ والصواب، وأن يرجعوا في ذلك <sup>إلى</sup> العلماء والفقهاء، وإلى من يرده التنفيذ لإيقاف الما بشي من نبي التعليم - على أن يكونوا مستعدين لحل المشكلة إن وُكلت إليهم .

وحل المشكلة - كما يراه الشيخ أبو الحسن الندوي في بحثه السابق - أنه ليس إلا أن يصاغ هذا الدالام التعليمي صوغاً جديداً يلائم عقيدة الأمة المسلمة، ومقومات حياتها، وأهدافها وحاجاتها، ويخرج من جميع موادها روح المادية والتمرد على الله، والثورة على القيم الخلقية والروحية، وعبادة الجسم والمادة ويبرز فيه روح التقوى ~~و~~ والالتزام بالدين، وتقدير الآخرة والعفاف على الثمانية كلها . . . . . وأن ننكر امامة الغرب وسيادته، وأن نجعل علومه وتاريخه موضوع الفحص والدراسة" (٨٦)

□ هنا: وتعليم المرأة في المجتمعات الإسلامية يسير بنفس المناهج التي يدرسها الرجال والتي سبقت الامامة بما ينبغي ان تكون عليه، وقد <sup>عرصت</sup> بعض أخطائه وشذوئاته الاتساق عليه .

غير أنه لا بد من وقفة خاصة بتعليم البنات، لا يكرر فيها ما فاسد . والذي يحتم هذه الوقفة هو الفرق العُلقي والعُلقي بين الرجل والمرأة وذلك لبيان ما ينبغي أن تتعلمه المرأة كي تقوم بدورها الذي يحقق أهداف العلم في المجتمع الإسلامي .

## الاحتساب على تعاليم المرأة

تمهيد :

أحذر  
انني استمع بعز الحكاء الذي رأى امرأة تتعلم الكتابة فقال :  
أفنى تسقى سما ... وانعد قائلًا : ما للنساء وللكتابة والعمالة والخطابة .  
ذا لنا ولهن منا أن يبتن على جنابة . (٨٧)

كما أنني استمع من يفتح لها الابواب على مصراعيها لتتعلم كل  
ما سب وبسواء ما يصلح لمهيتها وابيحتها وحياتها أم لا يصلح، كما يحدث  
الآن في تعليم المرأة في معالم المجتمعات الاسلامية

ما ينبغي ان تتعلمه المرأة :

وكون المرأة بالية بالعلم مثل الرجل يركن القلع فيه ولكن ينبغي  
الاحكام فيما ينبغي أن تتعلمه .

وهذه هي النقطة التي يبدأ منها الكلام على تعليم المرأة وما ينبغي  
أن يعهد اليه المسؤولون عن التخطيط والتنفيذ ■ لذلك كان على المسترليسن

عن تعليم المرأة أن يعلموا أن المرأة في المنهج الإسلامى هي : أمة الله التى يجب أن تعلم، وتعمل ما يصلح أمر دينها . ودنياها . وآزرتها، وأنها الزوجة التى يجب أن تحسن تبعلها لزوجها، لتكون السكن وجالبة المودة بالرحمة .. وهى الأم التى تحمل وتلد وترضع وتربى أولادها على العقيدة والفضيلة .

ثم عليها ما استلذت أن تكون الدالية، والمرضة، والحائكة، والمديرة .  
كى تكفى بيتها ما يحتاج اليه من الضروريات والحاجيات والتحسينات بالنسبة  
أسرة هى الراعية فيها والمسئولة عن رعيته .

ولمعرفة ما يصلح لها أمر دينها ودنياها على هذا النحو علوم وفنون  
جديرة بالدراسة والتحصيل .

تلك هى المجالات التى ينصب تعليم المرأة العام عليها، فإذا أرادت  
المزيد، وكان لديها استعدادات خاصة، ونبوغ واضح فى اتجاه يخدم المجتمع  
الإنسانى، فلا مانع أن تدخل معاهد متخصصة؛ كى تعمل طبيبة، أو مدرسة، أو ممرضة...  
أو نحو ذلك، كما يُحتاج إليه فى رعاية النساء، من مجالات تكون المرأة فيها  
أولى من الرجل.

وكل ميسر لما خُلق وأهل لآلتان، فإذا تزودت المرأة بالتقوى والعام النافع  
واتجهت به نحو بيتها، بمن فيه وما فيه، من رعاية دائمة، وتوجيهات واعية..

وتزود الرجل بالعقيدة وعلم مقاصد الشريعة الإسلامية، ثم اتجه بكل إمكاناته  
واستعداداته للعمل والإنتاج خارج البيت . ←



- كان ذلك هو النوع الطبيعي الذي يكفله للمجتمع الإسلامي حياة الرفاهية  
والقُدْرَم، والبعد عن الممكَلات وتضييق الوقت والجهد في البحث عن الحل، ولعل  
هذا مفهوم في قول الله تعالى " فلا يخرجكما من الجنة فتشقى " <sup>(١)</sup> حيث قُصِر  
النسر على آدم فقط في فعل " تشقى " وكأن السعي في طلب الرزق من مَناسِب  
الرجل، ولا غرر فيها مناصاً قواماً الرجل وسيارته " الرجال قوامون على النساء  
بما فضل الله بعنهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم " (ب) •  
وبذلك يكون الاحتساب قائماً على تكامل الاختصاصات في المجتمع الإسلامي  
والذي سيكون من ثمراته :

- ١- بناء مجتمع إسلامي صلب ياتزم بالشرعة قولاً وعملاً .
- ٢- أخذ العلم النافع الذي تنبني عليه فائدة عملية، تفي بمقتضى الشرعة  
الإسلامية، في حدود كل ميسر لما خلق له -  
فيأخذ الرجل ما يتفق وطبيعته التي خلقه الله عليها والتي تؤهله  
أن يكون راعياً ومسئولاً عن رعيته •  
وتأخذ المرأة ما يتفق مع الفطرة التي فطرها الله عليها والذي  
يؤهلها أن تكون في بيتها راعية ومسئولة عن رعيته • وتحت يدها  
أغلى ما في الأمة وهو النشء فلتتق الله فيما استرعاه الله فيه،  
وليتق الله المسئولون عن تعليم المرأة، ولينداروا إلى منافعها وكتبها

(ب) سورة النساء : ٣٤

(١) سورة ص : ١١٧

٣- الاستمرار في تعام الحلال وسنا ومتمه وحارس هذا الاستمرار هو الاحتساب  
 في المجتمع الاسلامى وعلى وجه الخصوص فى وسط المتعلمين وفى  
 مؤسسات التعليم .

٤- العودة الى ما كان عليه علماءنا من العلماء الحضارى العزيز ،  
 بدلا من الأخذ الذليل.

” ولله العزة وارسوله وللمؤمنين ”

الخاتمة :

تمهيد . . .

اصلاح أمر المجتمع الاسلامى مسئولية المسلمين جميعا ، سواء من ناحية بناء المجتمع على ما أحل الله ، أم بمقاومة المنكرات ، وهى أسباب الهدم والافساد . . . ان ظهور المنكر ليس شيئا مخيفا ، لأن هذا هو واقع الحياة التى خلقها الله بحكمته وتقديره جل وعلا - ولكن المخيف أن يُسكت عن المنكر ولا يجد من يدفعه . . . وثمت يفلب المنكر ، ويصبح لاتباعه الصولة .

فالمنكر فى المجتمع الاسلامى ليس ثوبا يلبسه المجتمع ، ولكنه بقع من الوسخ تصيب اللون الابيض النقى ، فيهب المجتمع ، كى يظهر ثوبه من الأدران فورا نتيجة اليقظة والحرص لدى أفرادها ، ويا قبيح ما يلبسون ، ان تركوا الأدران تتراكم على ثوبهم الأبيض الجميل .

ومن هنا يبرز ما لمقاومة المنكر وأصحابه من فوائد ، تعود على حيوية المجتمع الاسلامى وعلاجه . . . قاله سبحانه وتعالى " أجرى عاداته ، وطرده سنته بترتيب بعض مخلوقاته على بعض ، لتعريف العباد عند وجود الاسباب ما يترتب عليها من خير فيطلبوه عند وقوعها ووجودها ، وما رتب عليها من شر فيجتنبوه عند قياسها وتحققها (١) .

وصدق الله العظيم حيث يقول : " ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على المؤمنين " (٢) يقول صاحب كتاب التسهيل فى علوم التنزيل : من الله على العباد بد فى بعضهم ببعض ، وقرئ : " دفاع " بالالف . (٣) ونتيجة فساد الأرض ستكون " باستيلاء الكفرة والفجار ، وأهل الشر والفساد " (٤)

ومادام اصلاح المجتمع مسئولية المسلمين ، والاحتساب ضرورة لحيوية المجتمع الاسلامى وبقاء الخير فيه ، فليس هناك من شرط فى المحتسب يعوقه عن الاحتساب ، فالحسب مفروضة على المسلمين ، حتى لو كان المحتسب فاسقا ، أو خشنا أو مشهرا بمن يحتسب عليه

(١) قواعد الاحكام للعز بن عبد السلام ج ١ ص ١٧

(٢) سورة البقرة : آية ٢٥١

(٣) كتاب التسهيل فى علوم التنزيل - للإمام الفرنائى ج ١ ص ٢٥٧

أو غير عالم . . . الى آخر ما يمكن أن يشترطه المسترطون ، قال الامام ابن حزم  
الاندلسي " فمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وعصى مع ذلك ، فوالله لاضاع لسه  
ما أسلف من خير ، ولا ضاع عنه ما أسلف من شر ، وليوضعن كل ما عمله يوم القيامة فسي  
ميزان يرجحه ذرة . . . فمن رام أن يصد عن هذا السبيل بالاعتراض الذي قدمنا  
فهو صاد عن سبيل الله ، داعية من داعي النار ناطق بلسان الشيطان<sup>(٥)</sup> .  
وانن فالذي ينهى عن المنكر ويفلظ في نهيه ، أو ينهى عن المنكر ويفعله لا يقال  
له لا تحتسب ، أو حسبتك لا تصح . . واكن يقال له : حسبتك لا تأتي بالنتيجة المرجوة  
منها ولكي تصيب الهدى وتثمر حسبتك ان شاء الله ، عليك أن تتحلى بآداب الحسبة .

\*\*\*\*\*

(٥) رسائل ابن حزم الاندلسي : تحقيق الدكتور احسان عباس الدجائز على جائزة الملك  
فيصل عام ١٤٠٠ هـ - ٣ - ص ١٧٩ ، طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر

## آداب الاحتساب

لقد كثرت الكلام ، وقلَّ العمل ، وتعددت المقدمات والوسائل ، ولكن عقت النتائج وماتت ، ولم يعد العيب في فاعلي المنكرات فقط ، بل في طريقة المحتسبين . حتى أصبح المحتسبون في حاجة ماسة الى من يجدد لهم أمر الاحتساب ، وأن يرجعوا الى تاريخ المحتسبين للاعتبار والتأسي .

لقد وقف الكثيرون لانكار المنكرات وألقوا في ذلك المحاضرات ، والنفوس الكتب والنشرات ، وكتبوا في الجرائد والمجلات ، ولكن بدون فائدة تذكر ، وكان المقاومة ضعيفة أو مشلوبة أمام تيار المنكرات الحارف .

وتستعرض تاريخ الاحتساب فنجد المحتسب الواحد كان يقف أمام الباطل كالطود الشامخ : تشتد الاغصير فلا يهتز ، وتتكالب عليه الأرزاء فيصبر . ويستمر على ذلك سنين طوالاً معتصماً بحبل الله حتى يخرج منتصراً للحق ، هازماً للباطل ، وهذا هو هدفه الأسمى .

والمثل أوثق من ضوء الشمس فيمن اتقوا الله واعتصموا به فهدوا الى صراط مستقيم ، وأخلصوا النية لله ، واتقوا الله فعملهم الله ، وفقهوا أمر الاحتساب وكانوا قدوة حسنة حيث عملوا بما علموا ، ومن أجل ذلك ثبتوا فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين \* (٤) من أمثال :

أحمد بن حنبل ، وعز الدين بن عبد السلام ، وشيخ الاسلام ابن تيمية وغيرهم وغيرهم من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فعملهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً (٥) .

هذا ، وقد ذكر الكثير من آداب الاحتساب أثناء ما تقدم من بحوث في مجلدات الاحتساب . ولكنني سأجملها موجزة في خاتمة الرسالة عمل في ذكرها

في حيز جامع ما يؤدو الى فائدة ان شاء الله .

وما هي ذي أهم ما يليق بالاحتساب أن يتحلى به ويجري عليه :

١- تقوى الله :

والتقوى صفة حزب الله وأوليائه : " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون  
(٩)

الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا والآخرة " .  
(١٠)

والتقوى هي المعاصم من الجهل ، والمحصلة للعلم " وأتقوا الله ويعلمكم الله " كما أنها المعاصم من الزلل ، والحارس من الشيطان والفتن ، حيث الصلة بالله مستمرة ومراقبته لا تنقطع . وفي القرآن الكريم آيات التقوى ، نسأل الله أن نتفهم بعضها في القول والعمل .

٢- إخلاق النية والعمل لله :

وهذا مناط التأثير . فما كان لله دام واتصل ، وما كان لغيره تنمائل وانقطع ، وإن أحط أنواع النفاق ما رقع في مجال الدعوة إلى الله . . فعبيد السمعة والشهرة عن طريق الدعوة مشركون بالله . وقد روى الامام مسلم عن أبي هريرة حديثاً قد ساء جاء فيه : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه " (٦)

٣- العلم :

والكلام في العلم متعدد دروبه وضروبه . ولكن العلم المتفق عليه ، أن يكون المحتسب عالماً بما يحتسب عليه . . وقد أمر الاسلام بالعلم وحث عليه وعلى المسلم أن يحصل ما استلحاق من العلم بأموال دينه ومقاصد الشريعة الاسلامية ، وخير المحتسبين عند الله وعند الناس من ضم إلى تقوى الله، والاخلاص له تعالى ، علماً بفقہ الاحتساب ومراتبه ، حتى إذا " تساوت الرتب تخير ، وإن تفاوتت استعمل الترجيح عند عرفانه ، والتوقف عند الجهل به " (٧) ولا شك، أن من علم فقه الاحتساب عرف المحتسب عليه ، والمحتسب فيه ، وكيف يحتسب . فأشرفت حسبه ، على النحوالذر أراد الله وجاءنا عن طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم من القول والعمل ولنا في رسول الله اسوة حسنة .

(٩) سورة بقره : ٦٢ (ب) سورة بقره : ٢٨٢

(٦) صحيح مسلم لشرح النووي ج ١٨ المجلد التاسع ص ١١٠ طبعة دار الفكر .

٤- التواصي بالحى والصبر والاعتصام بحبل الله ، بالنسبة للدعاة والمحتسبين بالدرجة الأولى . فكثير من المحتسبين اختلفت طرقهم ، ووسائل حسبتهم ، وهذا يهدد بالبعد عن صراط الله المستقيم - لا قدر الله - .  
فلقد وصل الأمر بالدعاة - وجلهم من المخلصين ان شاء الله - أن خطأ بعضهم بعضاً ، وعاب بعضهم ساوك البعض . لأنهم اختلفوا فى نقطة البدء وترتيب درجات المعروف والمنكر ، فركز فريق على ما يراه الفريق الآخر فرعا لا أصلا .  
وهذا من شأنه تشتيت الجهود ، وإيتاع العامة فى خلاف تتسع دائرته ، وتعزب فائدته ، فليحفظ جميع المحتسبين صورة " العصر " فانها كافية شافية . وليس المراد حفض السطور ولكن وعى القلوب والأفئدة ، والعمل الموصل للفائدة .

#### ٥- اللين والرفق :

واستعمال اللين فى موضعه ، يشرح الصدر ، ويفتح مغاليق القلوب ، ويجعل جنى الحسبة دانياً بمن الله .  
وإذا كان الرفق واللين من آداب الحسبة فهما أيضا يدخلان فى أمر الله تعالى " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وحادلهم بالتي هي أحسن " (٨)  
فليكن المحتسب ماداً بثوفاً كيساً فطناً ، وليعلم أن " من حرم الرفق حرم الخير " كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رض الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " يا عائشة ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على ما سواه " . وعندما رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ان الرفق لا يكون فى شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه " (٩)  
هذا . . . وأقوال العلماء والأئمة لا تكاد تحصر فى هذا الأمر . لكن المقام لا يتسع ولئن كان من آداب الحسبة على عامة الناس الرفق واللين فهى مع أولى الأمر وذوى الهيئات واجبة . وقد سبق ذلك بشىء من التفصيل فى الحسبة على أولى الأمر .

(٨) سورة النحل : آية : ١٢٥  
(٩) الاحاديث الثلاثة : بصحيح مسلم شرح النزوى ج١٦٠ مجلد ٨ ص ١٤٦ طبعة دار الفكر

فعلى المحتسبين أن يكونوا مؤلفين مجتمعين، وليعوا قول الله تعالى لامام المحتسبين  
صلى الله عليه وسلم " ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك " (١٠)

#### ٦- الستر أو التشهير :

والستر على المسلم أمر حث عليه الاسلام ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ،  
فمن آداب الحسبة مع مستورى الحال ، وذوى الهيئات ومن عنده استعداد للتوبة  
النصوح ، كى هو "لاء" وأمثالهم يحث الاسلام على الستر عليهم والاحتساب يوصى  
شماره معهم بالستر . . سواء كان الستر أثناء وقوع المنكر ، أو الستر أثناء الوعظ  
والقاء النصيحة دون ذكر اسماء .

أما التشهير فهو من آداب الحسبة اذا كل الواقع فى المنكر يستهترا مجاهرا وقد  
اشيع هذا الموضوع فى البحث الخاص بالتحسس بأدلته الكافية .

ونسب الى الامام أحمد رضى الله عنه أنه قال " النار فى حاجة الى مداراة ورفق  
فى الأمر بالمعروف بلا غلظة ، الا رجلا مياينا معلنا بالفسق ، فيجب عليه نهيته  
واعلانه . لأنه يقال : ليلن لفاسق حرمة فهذا الاحرمه له (١١)

وقيل للامام أحمد : مررنا بقوم قد أشرفوا من عليّة لهم ، وهم يهنون فقال : ألسم  
تتكلموا فى الموضوع الذى سمعتم ؟ " أو سمعتم فيه القناء " فلما أجابوا بالنفى قال :  
كان يعجبني أن تكلموا : لعل النار كانوا يجتمعون مكانا يشهدون " (١١)

#### ٧- الجبرأة :

والجبرأة فى قول الحسن من أفئتمل أنواع الجهاد ، اذا وضعت فى مكانها . وهى  
شرط من شروط البيعة ، فمن عباد بين الصامت رضى الله عنه قال : باعنا رسول  
الله صلى الله عليه وسلم . . على أن نقول بالحق أينما كنا لانخاف فى الله لومة لائم \*  
رواه مسلم - وفى رواية الامام أحمد " وأن نقيم ألسنتنا بالعدل أينما كنا لانخاف فى  
الله لومة لائم " (١٢)

(١١) أنظر: الأمر بالمعروف والنهي عن

(١٠) سورة آل عمران : ١٥٩

المنكر لأبى بكر الخلال طبعة دار

(١٢) المرجع السابق ص ١١٣

الاعتصام ص ٩٦

(١٣) مسند الامام أحمد ج ٣ ص ٣١٨ طبعة المكتب الاسلامى . وصحيح مسلم فى باب



هذا . . . والجراة لانتنافى مع اللين والرؤى والستر - العهم : الا يسكت المسلم على منكر يرتكب ، أو ممروراً يهدر .

٨- الصبر :

وذكر الصبر بعد التشهير والجراة كالنتيجة بالنسبة للمقدمات . والأمر بالصبر والتواصى بالصبر أمور واضحة منصوص عليها فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ولكن الذر أريد توضيحه فى هذه الوحازة نوع الصبر ودرجة :

- فالصبر أنواع : (١) صبر فى المجادلة والمحاولة بالطرق الموصلة الى الاقناع والزجر .  
 (٢) صبر على الكلام الخشى ، وما عدا ايذاء البدن .  
 (٣) صبر على الضرب أو المجن أو الجوع وما شابه ذلك .

وعلى المحتسب أن يتحمل ما يستطيعه مثله فى المادة . . . وأقول مثله لأن المسلم قد يعتذر بعدم تحمله لأمر قد يحتمل ، لأن الحسبة إن تركت " بلوم لائم أو باغتيا ب فاستق أو شتم أو تعنيفه ، أو سقوط المنزلة فى قلبه ، أو قلب أمثاله ، لم يكن للحسبة وجوب أصلاً ، إذ لا تنفك الحسبة عنه " (١٤)

وقد سئل الامام احمد عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كيف ينبغى أن يأمر قال : يأمر بالرفق والخضوع ثم قال : إن اسمعه ما يكره لا يفضب ، (١٥)

وسواء كان تحمل الصبر والأذى عن طريق الكلام أو عن طريق البدن فان الاحتساب لا يستغنى عنه ، وما يصيب المحتسب هو فى ميزان حسناته ان شاء الله ولن تؤتى الحسبة ثمارها الا بالصبر وتحمل الأذى .

هذا . . . ولبعض التقاعسين المفرطين فهم سقيم فى النصوص يحاولون به تبرير تقاعد هم ، وتركهم فريضة الاحتساب . فمرة يستدلون على تفريطهم بقول الله تعالى :

(١٤) احياء علوم الدين ج ٢ ص ٢٨٤ وانظر صفحات من ١٤٦ وما بعدها من كتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر للسيد جلال الدين العمري طبعة الكويت سنة . . . ١٤٠٠ ففيها نمون تشييع هذا الموضوع .

(١٥) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لابي بكر الخلال ص ١٠٢

" يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم . . . الآية " وقد سبق الكلام على معناها المراد .  
 ومرة يُسأل "مام أهل السنة احمد بن حنبل عن الرجل يأمر بالمعروف بيده فقال  
 ان قوى على ذلك فلا بأس به ، فقيل له أليس قد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 " ليس لمؤمن أن يذل نفسه " بأن يعرضها من البلاء ما لا طاقة له به ؟ قال : ليس  
 هذا من ذلك ، ولكن الذى يتحمل أذى الناس فى سبيل الله عزوجل فقد أعز نفسه  
 ولم يذلها . (١٦)

(٩) القدوة الحسنة :

وهذا يعنى بالدرجة الأولى أن يكون المحتسب قدوة لغيره فى العمل بما يقول  
 حتى لاتضيع حسبه سدى ، بل حتى لا يضيع هيبته الاحتساب وقيمه فى نفوس الناس .  
 ومن تخالف أفعاله أقواله يفقد شخصيته واحترامه بين الآخرين ويصير مادة للسخرية  
 والتهكم ، ومن أسلم نفسه لألسنة الناس فلا يلومن الا نفسه . ومخالفة الأفعال  
 للأقوال صفة من صفات المنافقين ، استحقت أن يعييبها الله على المؤمنين ماداموا  
 مؤمنين قال تعالى : " يأيها الذين آمنوا لم تقولوا ما لاتفعلون ؟ كبر مقتا عند  
 الله أن تقولوا ما لاتفعلون " (١٧)

ونعى الله على بنى اسرائيل ومن هذا حذوهم بقوله : " أتأرون الناس بالير وتنسون  
 أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون " (١٨)

ان القدوة الحسنة قد تكون وحدها لافتة للانظار ، محببة فى المعروف منفرة من المنكر  
 ، ولنا فى رسول الله أسوة حسنة ، وقد سبق الخبر الذى روتة السيدة عائشة  
 رض الله عنها عندما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : كان خلقه  
 القرآن . أو كان قرآنا يتحرى بتطبيقه لما جاء فيه .

وقد تمثل المسلمون بذلك ففتحوا البلاد ، زدان لهم العباد ، وأصبحوا خير أمة

(١٦) الشرح السابق : ص ٩٤

(١٧) سورة الممت : آية : ٣

(أ) سورة البقرة : آية : ٤٤

أخرجت للناس ، وفتح الاسلام عن طريق القدوة الحسنة أضعاف ما فتح المسلمون عن طريق  
الجهاد بالسيف (١٨)

هذا : وهناك من يشترط أن يعمل المحتسب بمقتضى علمه وقوله ، وذلك ما أنكره الاعمية  
المحتسبون يقول الامام ابن حزم : " ففرغ على الناس تعلم الخير والعمل به ، فمن جمع  
الامرين جميعا فقد استوفى الفضلين معا ، ومن علمه ولم يعمل به ، فقد أحسن في التعلم  
وأساء في ترك العمل . (١٩)

وقد صح عن الحسن البصرى رضى الله عنه أنه سمع انسانا يقول : لا يجب أن ينهى عن الشر  
الا من لا يفعله ، قال الحسن البصرى : ودايدليس لو ظفر متألمة ، حتى لا ينهى أحد  
عن منكر ولا يأمر به . (٢٠)

تنبيهان :

الأول : ان ما تقدم في السطور السابقة هو أهم آداب الحسبة ، وهى آداب لها فوائد لها  
وشراتها ، اذا تحلى بها المحتسب ، كما أن الاحتساب لا يتعطل اذا فقد  
بعضها .

وقد ذكرت معظم هذه الآداب على أنها شروط لدى بعض المؤلفين وهم يتحدثون  
عن الحسبة ( وهم انما يريدون الكمال للحسبة والاحتسبين ) - وقد أوضحت  
أن ذلك من الخلوقة بعبارة ، لأنه يقوقع الحسبة فى عدد ضئيل لا يكفى لناهضة  
المنكرات . ورحم الله الحسن البصرى ان قال قبل أسطر قليلة : ودايدليس لو ظفر  
بها .

الثانى : ان الحسبة ولاية عامة كما ثبت بكل أوجه الاثبات ، وهى ولاية من الله لكل المسلمين  
" والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض . . الآية . فأصل الولاية ثابت لكل (٢١)

سواء كانت من الاطى للادنى أو من الأدنى للأعلى وهذا كلام قد سبق بالتفصيل

(١٨) أنظر كتاب الاسلام الفاتح للدكتور حسين مؤنس ( مرجع سابق )

(١٩) رسائل ابن حزم الاندلسى - د / احسان عباس ص ٤١٣ ج ١

(٢٠) المرجع السابق ص ٤١٤

(٢١) مختصر منهاج القاصدين للشيخ بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسى ص ١٢٥

لكن الذي أريد أن أنبه عليه أن الحسبة التنفيذية التي تكون لها مزيدا من  
القدرة واليد، يجوز للمجتمع الاسلامي أن يكون لها، اذا دعت الضرورة لذلك من غير  
تصادم مع السلطة، ليشبث أن الحسبة هي جهاز الصيانة، ووطن النجاة، إن فهم  
المسلمون كيف ينفذون، وكيف يطبقون على شئ نواحي حياتهم الضرورية والحاجية  
والتحسينية وذلك ممكن ومجرب مادام الله من وراء القصد .

ويحكى لنا الطبري في تاريخه ما حدث بعد الفتنة التي حدثت بين الأميين  
والمأمون ابني هارون الرشيد فيقول : " لقد نكب أهل السجون ، وخرجوا ، وقتل  
الناس ، ووثب على أهل الصلاح الدعار والشطار ، فعزل الفاجر ، وذل المؤمن ،  
واختل الصالح ، وساءت حال الناس ( ٢٢ )

ثم يكمل الصورة بعد حوالى ستين صفحة تقريبا فيقول : " وتفجرت بغداد بعد  
فتنة الأميين والمأمون بضروب الفسق وأنواع المجون ، فظهرت طبقة من الناس  
تقطع الطريق ، وتأخذ النساء والغلمان علانية من الطريق فلما رأى الناس  
ذلك ، وما أظهره من الفساد والظلم والبغي ، قام صلحاء كل ريف ودر بفسخ  
بعضهم الى بعض ، واتفقوا على قمعهم ، فقام رجل يقال له خالد الدريوش فدعا  
جيرانه ، وأهل بيته ومحلاته ، أن يعاونوه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
فأجابوه اني ذلك ، وشد على من يليه من الفساق والشطار ، فمنعهم مما كانوا  
يصنعون ثم قام من بعده رجل يقال له سهيل بن سلام الانصارى ، فدعا الناس  
أيضا الى ما دعا اليه خالد ، وزاد عليه العمل بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه  
السلام والسلام ، وعلق مصحفا في عنقه فأتاه خلق كثير فأخذوا يطوفون بيغفون  
وأسواقها وأرياضها ليمنعوا الفساق من ابتزاز الاموال / وكانت هذه الفئة الصالحة  
من الناس يطلق عليها اسم المطوعة " ( ٢٣ )

( ٢٢ ) تاريخ الطبري ج ١٠ ص ١٧٣

( ٢٣ ) المرجع السابق ج ١٠ ص ١٤٢

وفي نهاية المطاف :

أرجو لك أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصا لوجهه ، محتسبا  
 مانثته أثناء البحث عنده جل وعلا .  
 وأضرع اليه تعالى : أن يشرح صدورنا بفيض الايمان به ، وجميلا  
 التوكل عليه ، اللهم احينا بمعرفتك ، وأمتنا على الشهادة فـلى  
 سبيلك .  
 و صلى الله وسلم على خاتم الانبياء والمرسلين ، وعلى صحابته أئمة  
 المحتسبين ومن تبعهم الى يوم الدين .  
 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

\*\*\*\*\*  
 \*\*\*\*\*  
 \*\*\*\*\*  
 \*\*\*\*\*  
 \*\*\*\*\*  
 \*\*\*\*\*  
 \*\*\*\*\*

(( بسم الله الرحمن الرحيم ))

قائمة بأهم المراجع التي ذكرت في هامش الرسالة

| اسم المؤلف                         | اسم الكتاب                 |
|------------------------------------|----------------------------|
| الامام القرطبي                     | ١- الجامع لأحكام القرآن    |
| الامام الطبري                      | ٢- تفسير الطبري            |
| الفخر الرازي                       | ٣- تفسير الرازي            |
| ابو الفدا ابن كثير                 | ٤- تفسير ابن كثير          |
| جلال الدين السيوطي                 | ٥- الدر المنثور            |
| لامام الشافعي                      | ٦- أحكام القرآن            |
| لابي بكر ابن العربي الاندلسي       | ٧- أحكام القرآن            |
| لابي بكر الجصاص                    | ٨- احكام القرآن            |
| محمد جمال القاسمي                  | ٩- محاسن التأويل           |
| لامام الشوكاني                     | ١٠- فتح القدير             |
| لابن الجوزي                        | ١١- زاد المسير             |
| ابو الفضل الطبرسي                  | ١٢- مجمع البيان            |
| محمد رشيد رضا                      | ١٣- تفسير المنار           |
| محمود الالوسي                      | ١٤- روح المعاني            |
| المزمخشري                          | ١٥- الكشاف                 |
| ابن حزم الفرناطي                   | ١٦- التسهيل لعلوم التنزيل  |
| عبد الرحمن السعدي                  | ١٧- تيسير الكريم الرحمن    |
| محمد أمين الشنقيطي                 | ١٨- أضواء البيان           |
| لابن تيمية                         | ١٩- اقتضاء الصراط المستقيم |
| لابن تيمية                         | ٢٠- منهاج السنة النبوية    |
| لابن حزم الاندلسي                  | ٢١- الفصل في الملأ والنحل  |
| سليمان بن عبد الله بن عبد الوهَّاب | ٢٢- تيسير العزيز الحميد    |

| اسم المؤلف             | اسم الكتاب                  |
|------------------------|-----------------------------|
|                        | ٢٣ - الموطأ                 |
|                        | ٢٤ - مسند الامام احمد       |
|                        | ٢٥ - صحيح البخارى           |
|                        | ٢٦ - صحيح مسلم              |
|                        | ٢٧ - صحيح ابن خزيمة         |
|                        | ٢٨ - سنن الترمذى            |
|                        | ٢٩ - سنن ابى دار            |
| محمد السفارينى الحنبلى | ٤٠ - ثلاثيات الامام احمد    |
| الامام النووى          | ٣١ - رياض الصالحين          |
| ابن الاثير             | ٣٢ - جامع الاصول            |
| الامام الشوكانى        | ٣٣ - نيل الاوطار            |
| لابن رجب               | ٣٤ - جامع العلوم والحكم     |
| تعليق رشيد رضا         | ٣٥ - مجموعة الحديث النجدية  |
| محمد الالبانى          | ٣٦ - سلسلة الاحاديث الصحيحة |
|                        | ٣٧ - المفنى                 |
| لابن قدامه             | ٣٨ - المقنع                 |
| لابن قدامه             | ٣٩ - الحللى                 |
| لابن حزم               | ٤٠ - شرح السير              |
| لل امام السرخى         | ٤١ - اعلام الموقعين         |
| لابن القيم             | ٤٢ - الكيائىر               |
| لل امام الذهبى         | ٤٣ - زاد المعاد             |
| لابن القيم             | ٤٤ - احياء علوم الدين       |
| لأبى حامد الغزالى      |                             |





| اسم المؤلف              | اسم الكتاب                           |
|-------------------------|--------------------------------------|
| للمشيخ البهوتي          | ٤٥ - كشاف القناع                     |
| للمشيخ احمد المقدسي     | ٤٦ - مختصر منهاج القاصدين            |
| لعبد القادر عودة        | ٤٧ - التشريع الجنائي في الاسلام      |
| عبد الكريم زيدان        | ٤٨ - احكام الذميين والمستأمنين       |
| <hr/>                   |                                      |
| للامام الشاطبي          | ٤٩ - الموافقات                       |
| ابو الحسن الآمدي        | ٥٠ - الاحكام وأصول الاحكام           |
| العزيب عبد السلام       | ٥١ - قواعد الاحكام في مصالح الانام   |
| ابن عباس البعلبي        | ٥٢ - القواعد والقواعد الاصوليه       |
| الامام الرازي           | ٥٣ - المحصول في علم الاصول           |
| د / عبد الله التركي     | ٥٤ - أسباب اختلاف الفقهاء            |
| ابن منقور النجدي        | ٥٥ - الفواكه العديدة                 |
| عبد القادر بن بدران     | ٥٦ - المدخل في مذهب الامام أحمد      |
| محمد البحيري            | ٥٧ - الحيل الشرعية في الاسلام        |
| د / محمد سلام مدكور     | ٥٨ - نظرية الاباحية                  |
| د / عبد العزيز النعيم   | ٥٩ - أصول الاحكام                    |
| الشيخ الاسلام ابن تيمية | ٦٠ - الحسبة في الاسلام               |
| شيخ الاسلام ابن تيمية   | ٦١ - الجواب الصحيح                   |
| شيخ الاسلام ابن تيمية   | ٦٢ - السياسة الشرعية                 |
| شيخ الاسلام ابن تيمية   | ٦٣ - مجموعة الفتاوى                  |
| للامام ابن مفلح         | ٦٤ - الآداب الشرعية                  |
| للامام ابن القيم        | ٦٥ - الطرق الحكمية                   |
| للامام الخلال           | ٦٦ - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر |
| للقاضي العاودي          | ٦٧ - الاحكام السلطانية               |

| اسم المؤلف             | اسم الكتاب                          |
|------------------------|-------------------------------------|
| للقاضى الماورى         | ٦٨- الاحكام السلطانية               |
| عبد الحى الكمانى       | ٦٩- الترتيب الادارية                |
| عبد الرحمن الشرزى      | ٧٠- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة      |
| محمد محمد القرشى       | ٧١- معالم القرية فى أحكام الحسبة    |
| ابن النحاس             | ٧٢- تنبيه الغافلين                  |
| للامام ابن الجوزى      | ٧٣- تلخيص ابليس                     |
| يحيى ابن عمر           | ٧٤- السور                           |
| جلال الدين العمري      | ٧٥- الامر بالمعروف والنهي عن المنكر |
| ابراهيم الدسوقي        | ٧٦- الحسبة فى الاسلام               |
| عبد العزيز اليدرى      | ٧٧- الاسلام بين العلماء والامراء    |
| لابن الاثير            | ٧٨- الكامل فى التاريخ               |
| ابن كثير               | ٧٩- البداية والنهاية                |
|                        | ٨٠- مقدمة ابن خلدون                 |
| لابن هشام              | ٨١- السير النبوية                   |
|                        | ٨٢- تاريخ الطبرى                    |
| ابن حسام النورى        | ٨٣- كثر العمال                      |
| ابن سيد الناس          | ٨٤- عيون الاثر                      |
| ابوبكر ابن العربى      | ٨٥- العواصم من القواصم              |
| عبد الله بن عبد الوهاب | ٨٦- مختصر السير النبوية             |
| ابن الجوزى             | ٨٧- مناقب عمر بن عبد العزيز         |
| ابن عبد الحكيم         | ٨٨- مسيره عمر بن عبد العزيز         |
| ابو الحسن الندوى       | ٨٩- السيرة النبوية                  |
| حنبل اسحاق بن حنبل     | ٩٠- محنة الامام احمد بن حنبل        |

| اسم المؤلف           | اسم الكتاب                     |
|----------------------|--------------------------------|
|                      | ٩١ - دائرة المعارف الاسلامية   |
| بطرس البستاني        | ٩٢ - دائرة المعارف العربية     |
| محمد فريد وجدى       | ٩٣ - دائرة معارف القرن العشرين |
| البرت الريحانسى      | ٩٤ - الموسوعة العربية          |
| ابن فرحون            | ٩٥ - الطبايا المذهب            |
| السغاوى              | ٩٦ - الضوء اللامع              |
| ابن ادريس الرازى     | ٩٧ - الجرح والتعديل            |
| الزركسى              | ٩٨ - الاعلام                   |
| الاصفهانسى           | ٩٩ - المفردات فى غريب القرآن   |
| ابن منظور            | ١٠٠ - لسان العرب               |
| الفيروز ابادى        | ١٠١ - القاموس المحيط           |
| الشيخ احمد رضا       | ١٠٢ - معجم متن اللغة           |
|                      | ١٠٣ - المصباح المنير           |
|                      | ١٠٤ - مختار الصعاح             |
|                      | ١٠٥ - الفوائد                  |
| ابن القيم            | ١٠٦ - المعش السائر             |
| ضياء الدين بن الاثير | ١٠٧ - مفاتيح الغيب             |
| الانام الرازى        | ١٠٨ - هداية الحيارى            |
| ابن القيم            | ١٠٩ - مفتاح دار السعادة        |
| ابن القيم            | ١١٠ - كشف الظنون               |
| حاجى خليفة           | ١١١ - المعالم والمتعلم         |
| الامام ابو حنيفة     | ١١٢ - رسائل ابن حزم            |
| تحقيق / احسان عباس   |                                |

| اسم المؤلف                           | اسم الكتاب                                      |
|--------------------------------------|-------------------------------------------------|
| أبو الحسن الندوي                     | رجال الدعوة والفكر ١١٣                          |
| د / محمد محمد حسين                   | حصوننا مهدمة من داخل ١١٤                        |
| د / محمد محمد حسين                   | الاسلام والحضارة العربية ١١٥                    |
| أبو الحسن الندوي                     | نحو التربية الاسلامية ١١٦                       |
| أبو الحسن الندوي                     | اهمية التربية والتعليم في الاقطار الاسلامية ١١٧ |
| عبد الرحمن حبنكه                     | مكابد يهودية عبر التاريخ ١١٨                    |
| ترجمة محب الدين الخطيب               | الفارة على العالم الاسلامي ١١٩                  |
| د / حسين مؤنس                        | الاسلام الفاتح ١٢٠                              |
| عمر عودة الخطيب                      | لمحات في الثقافة الاسلامية ١٢١                  |
| د / محمد رشاد سالم                   | المدخل الى الثقافة الاسلامية ١٢٢                |
| عائشة عبد الرحمن                     | الشخصية الاسلامية ١٢٣                           |
| أنور الجندى                          | المؤامرة على العالم الاسلامي ١٢٤                |
| محمد الطهطاوى                        | في الدعوة الى الاسلام بين غير المسلمين ١٢٥      |
| مصطفى خالدى                          | التبشير والاستعمار ١٢٦                          |
| د / محيى الدين عبد الحلیم            | الاعلام الاسلامي ١٢٧                            |
| د / عبد اللطيف حمزة                  | الاعلام في صدر الاسلام ١٢٨                      |
| محمد ابو زهرة                        | ابن تيمية ١٢٩                                   |
| على عبد الحلیم محمود                 | مع العقيدة والحركة والمنهج ١٣٠                  |
| حسان محمد حسان                       | وسائل مقاومة الغزو الفكري ١٣١                   |
| د / عبد الوهاب الشيشاني              | حقوق الانسان وحرياته ١٣٢                        |
| د / جيهان رشتي                       | الاعلام ونظرياته في العصر الحديث ١٣٣            |
| أبو هلال العسكري                     | الفروق في اللغة ١٣٤                             |
| مصطفى وصفى (بحث) في مجلد<br>البحوث . | الحسبة والنظام الاداري ١٣٥                      |

